

مَنْشُورَاتُ الْجَامِعَةِ اللَّيْبِيَّةِ  
كَلِيَّةُ الْأَدَابِ

٧٥٠

مُقَدِّمَةٌ فِي الْفَلَسَفَةِ الْمَعَاصِرَةِ  
دَرَايَسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ وَنَقْدِيَّةٌ لِلاتِّجَاهَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فِي فِلْسَفَةِ الْقَرْنِ الْعَشِيرِنِ

الدكتور ياسين خليل

الطبعة الأولى

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

مقدمة  
في  
الفلسفة المعاصرة

مَنْشُورَاتُ الْجَامِعَةِ اللَّيْبِيَّةِ  
كَلِيَّةُ الْأَدَابِ

مُقَدِّمَةٌ فِي الْفَلَسِيفَةِ الْمَعَاصِرَةِ  
دَرَايَسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ وَنَقْدِيَّةٌ لِلاتِّجَاهَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فِي فِلْسَفَةِ الْقَرْنِ الْعَشِيرِنِ

الدُّكْتُورُ يَاسِينَ خَلِيلُ

الطبعة الأولى

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

مكتبة دار الكتب  
بمكة المكرمة

مكتبة دار الكتب  
بمكة المكرمة

مكتبة دار الكتب  
بمكة المكرمة

# الفهرس

صفحة		
٢٦ - ٩		مقدمة :
١٣٦ - ٢٧	الفلسفة التحليلية	القسم الاول :
٦٣ - ٢٩	جوتلوب فرويجه	الفصل الاول :
٣١ - ٢٩	حياته	
٣٨ - ٣١	تطور فلسفته	
٤٨ - ٣٨	التحليل المنطقي للغة	
٦٣ - ٤٨	اللغة الرمزية	
١٠٦ - ٦٥	برتراند رسل	الفصل الثاني :
٦٩ - ٦٥	حياته	
٧٦ - ٦٩	تطور فلسفته	
٩٠ - ٧٦	الفلسفة والرياضيات	
١٠٠ - ٩٠	الواقعية الجديدة	
١٠٦ - ١٠٠	النظرية المنطقية	
١٣٦ - ١٠٧	لودفيج فيتجنشتاين	الفصل الثالث :
١١٠ - ١٠٧	حياته	
١١٩ - ١١٠	تطور فلسفته	
١٢٥ - ١١٩	الفلسفة والتحليل	
١٣٦ - ١٢٥	اللغة والواقع	
٢٤٩ - ١٣٧	الفلسفة والفيزياء	القسم الثاني :
١٤٩ - ١٣٩	الكون الميكانيكي - اسحق نيوتن	الفصل الاول :

الطريقة ، حياته ، انجازاته  
الفلسفية .

الفصل الثاني : النظرية النسبية والفلسفة ١٥١ - ١٧٠

ألبرت آينشتاين

انهيار الفلسفة الميكانيكية ،  
حياته ، الطريقة ، انجازاته  
العلمية والآثار الفلسفية

الفصل الثالث : النظرية الكمية والسببية ١٧١ - ١٨٢

ماكس بلانك

« الإيمان » في البحث ، أزمة  
السببية ، حل الأزمة

الفصل الرابع : المثالية الرياضية ١٨٣ - ٢٠١

جيمس جينس

انتقادات ، جينس وأفلاطون  
العالم والرياضيات البحتة ،  
المتافيزيقا .

الفصل الخامس : الذاتية الانتخابية ٢٠٣ - ٢٢٣

أرثر أدنجهون

الاستمولوجيا العلمية ، الفيزياء  
ونظرية المعرفة ، طبيعة العالم  
المادي ، بناء العالم

الفصل السادس : الضرورة الطبيعية ٢٢٥ - ٢٤٩

الفريد نورث وايتهيد

نقد الفلسفة الميكانيكية ،

طبيعة الحوادث والديمومة ،  
الطبيعة والميتافيزيقا

القسم الثالث : التجريبية المنطقية - جماعة فينا ٢٥١-٣٥٣

الفصل الاول : نشأة جماعة فينا وتطورها ٢٥٣-٢٦٩

شلك وجماعته ، الجذور التاريخية ، الاهداف ،  
المؤتمرات الفلسفية ، انتشار فلسفتها .

الفصل الثاني : الميتافيزيقا ومبدأ الثبوت ٢٧١-٢٨٧

طبيعة القضية الميتافيزيقية ، أنواع الميتافيزيقا ،  
التجريبية والميتافيزيقية ، مبدأ بوبر وآير

الفصل الثالث : البناء المنطقي للعالم ٢٨٩-٣٠٨

ارنست ماخ ، طريقة البناء ، المفاهيم  
الاولية ، تعريف مفاهيم العلوم التجريبية ،  
مستويات المفاهيم والعلوم في البناء

الفصل الرابع : نظرية العلامات ٣٠٩-٣٢٢

اللغة ، الستاكس ، السيমানطيقا ، البراجماتيقا .  
كارناب وموريس ، لغة الموضوع واللغة الفوقية .

الفصل الخامس : الستاكس المنطقي للغة ٣٢٣-٣٣٧

اللغة كحساب ، اللغة الاولى واللغة  
الثانية ، مفاهيم منطقية .

الفصل السادس : نظرية المعنى والدلالة ( السيمانطيقا ) ٣٣٩-٣٥٣

القضايا الاساسية ، الصدق الشكلي ،  
الصدق المادي ، الصدق التجريبي ،  
الانظمة السيمانطيقية وقواعد الصدق .

## جدول بمعاني الرموز

### ١ - الرموز المستعملة في منطق القضايا ودالات القضايا .

Negation	التنفي	$\neg$
Disjunction	البدل	$\vee$
Conjunction	المطاف	$\wedge$
Implication	الالزام	$\rightarrow$
Equivalence	المساواة	$\longleftrightarrow$
Identily	الذاتية	$=$
one at least	يوجد واحد على الأقل	$(\exists x)$
For all x	كل x	$(x)$
Propositions	قضايا	A, B, C
Predicate	محمول	H

### ٢ - الرموز المستعملة في نظرية الاعداد الطبيعية .

Null	صفر	0
Class-membership	عضو في فئة	$\epsilon$
Class of Natural Numbers	فئة الاعداد الطبيعية	N
Attribute	صفة	M
not equal	لا يساوي	$\neq$
Inclusion	تضمن ( علاقة فئة بفئة )	$\subset$
Successor	تابع ( يلي ، يخلف ، يتبع )	'

# المقدمة

## خصائص الفلسفة المعاصرة

١- ان من ابرز الظواهر في المعرفة الانسانية هو التطور السريع في الحقلين النظري والعملي وتتابع الانجازات العلمية الرائعة في شتى الميادين وتأثر الحياة الاجتماعية والعقلية بهذه الانجازات ، ومساهمة القوميات والحضارات المختلفة في تقدم المعرفة العلمية وتطويرها لخدمة الانسان والاجيال القادمة . لقد ملك التقدم العلمي اسلوب السيطرة على الطبيعة واخضاعها لمشيئة الانسان ، كما استطاع تغيير اوضاعه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ونقد كذلك الى عقله وطريقة تفكيره ليعمل عمله في رسم صور جديدة للكون والحياة .

ان بناء نظرية علمية والتثبت من صحتها بالطرق التجريبية يثير في الوقت ذاته موجات فكرية قريبة وبعيدة تبين ما يترتب على نتائجها من أفكار ومفاهيم ومنطلقات فلسفية جديدة . ان العلاقة بين العلم والفلسفة قديمة ، يثبت ذلك تاريخ تطور الفكر البشري ، اذ كانت المحاولات العلمية

الاولى ممزوجة بالفلسفة ، ثم أخذت الفلسفة بتأثير العلم بعد ان انفصل عنها نتيجة لتطور المنهج العلمي ، ولكنه بدأ يقترب من الفلسفة من جديد عندما احس العلماء بضرورة التأمل وبناء نظرات عامة وشاملة . وفلسفة القرن العشرين تمثل بحق هذا الاتجاه الجديد الى جانب اتجاهات جديدة اخرى ، ولكن ذلك لا يعني مطلقاً ان الفلسفة المعاصرة قد تخلت عن كل التيارات اللاعلمية ، بل اننا نجد من يتلذذ بالميتافيزيقا والافكار غير الواقعية والجدل الفلسفي في الوجود واللاوجود وغير ذلك ، وهم يحسبون ان الفلسفة هي الجدل والبحث عن الماهيات والمقولات العقلية والوجودية . وغايتنا في هذا الكتاب ان نبين جانباً مهماً من التفاعل بين الفلسفة والعلم في الفلسفة المعاصرة المتمثل في الفلسفة والرياضيات ، والفلسفة والفيزياء ، والفلسفة والعلوم في تحقيق الهدف الذي تسعى له في وحدة العلم .

من الضروري قبل دراسة هذه الموضوعات ان نحدد ما المقصود « بالفلسفة المعاصرة » ليكون تركيز الدراسة قائماً على فترة محدودة ونظريات داخلية في هذه الفترة الزمنية . وهذا معناه : انه يجب علينا تحديد الوقت الذي بدأت به الفلسفة المعاصرة ، لنذكر الاطار العام الذي يحدد الفلسفات التي تقع ضمنه ، وبالتالي تقرير الحدود الفاصلة بينها وبين الفلسفة الحديثة . وفي هذا الموضوع بالذات نجد اتجاهات مختلفة نحصرها بالرأين الآتين : —

أ — إن الفلسفة المعاصرة هي فلسفة القرن العشرين . وهذا معناه ان تقتصر دراسة الفلسفة المعاصرة على التيارات الفكرية والعلمية التي ولدت في هذا القرن والتي لا يزال تأثيرها مستمراً حتى الآن .

ب — لا تقتصر الفلسفة المعاصرة على فلسفة القرن العشرين ، بل تضم فلسفة القرن التاسع عشر وما انجزته من تيارات عميقة تتصل بالانسان والكون والمجتمع .

اعتقد انه بالامكان التوفيق بين الرأيين ، فالفلسفة المعاصرة بتياراتها واتجاهاتها لا يمكن ان تنفصل نهائياً عن الفلسفات التي ظهرت في القرون السابقة وفلسفة القرن التاسع عشر بصورة خاصة ، بل اننا نجد ان الفكر الفلسفي تيار مستمر يعتمد جديده على ما سبقه . ولكنني اختلف مع الاتجاه الذي يؤكد على فلسفة القرن التاسع عشر ويهمل فلسفة القرن العشرين مدعياً انها الفلسفة المعاصرة ، وذلك لاعتقادي ان الفلسفة في القرون السابقة تدخل في نطاق الفلسفة الحديثة ، وان الفلسفة المعاصرة هي فلسفة القرن العشرين .

واستناداً الى هذا التحديد الزمني للفلسفة المعاصرة يصبح بمقدورنا ان نفرق بين الفلسفات المنتمية الى الفلسفة الحديثة والاخرى المنتمية الى الفلسفة المعاصرة آخذين بنظر الاعتبار الجذور التاريخية وما تنطوي عليه من اسس علمية وفلسفية . وعلى الرغم من اتجاه الفلسفة نحو العلمية في القرن العشرين ، واستفادتها من المنجزات النظرية والفكرية التي قدمها العلم ، فان الانقسام بين المفكرين حول ما يجب ان تكون عليه الفلسفة وموضوع بحثها لا يزال حاداً ، ويحاول كل فريق ان يثبت وجهة نظره بالدلة العقلية او العلمية . ولاجل توضيح موقفنا من هذه المشكلة يجدر بنا عرضها بالشكل الآتي : -

١ - ان الفلسفة تعنى بالفكر والانسان وعلاقته بالعالم الخارجي الذي يضم المادة والافراد ، فهي اما ميتافيزيقية الاتجاه او مادية الهوية والتفسير .

ب - ان للفلسفة علاقة وثيقة بالعلم وان على الفلسفة ضرورة التخلص من الآثار والافكار الميتافيزيقية . فما دامت المعرفة في تطور دائم يتجه نحو الدقة والعلمية ، فان الفلسفة باعتبارها جزءاً من المعرفة

لا بد ان تصل في النهاية الى العلمية مبتعدة بذلك كلياً عن المعرفة غير القائمة على التجارب أو غير المدعومة بالبرهان .

وقبل ان نقرر موقفنا من هذه المشكلة يجدر بنا استعراض بعض الخطوات التطورية في الفلسفة لتعرف حقيقة على الاتجاه المحرك والشامل فيها . ولأجل ذلك لابد من نظرة سريعة الى الفلسفة اليونانية والوسيطة والحديثة نبيين فيها الطرق التي سارت فيها المذاهب الفلسفية والدوافع الكامنة والظاهرة لوجودها .

نجد في تأريخ الفلسفة تفاعلاً مستمراً بين الحقائق العلمية والتفكير الفلسفي ، بل ان الحقائق العلمية كثيراً ما كانت مادة للتأمل الفلسفي لاستجلاء طبائع الاشياء ومسالكها ، ولوضع النظريات الفلسفية في الكون والانسان . فتأملات المدرسة الطبيعية الاولى ومحاولاتها لتفسير الطبيعة استندت في الاساس على مشاهدات وحقائق علمية مثال ذلك التغير المستمر في الطبيعة وتحول الاشياء كماً وكيفاً وانبثاق اشياء جديدة عن القديمة وهكذا . واقترنت تأملات المدرسة الفيثاغورية بالرياضيات ، فاعتقدت ان المعرفة الحققة تكمن في صفات الاعداد ، وان الاشياء تشكل بصور مختلفة يعبر عنها بالاعداد . لقد واجهت الفيثاغورية مشكلة رياضية هي : إذا افترضنا وجود مثلث قائم الزاوية طول كل من ضلعيه القاعين ستمتراً واحداً ، فان طول الوتر تبعاً لنظرية المثلث القائم الزاوية يساوي  $\sqrt{2}$  ، وتظهر المشكلة عند معرفة النتيجة بلحدر اثنين ، لاننا لا يمكن ان نحصل على عدد صحيح ، بل ان الناتج غير محدود ويساوي تقريباً ١,٤١٤٢١٣٥٦٢٣٦٠٠٠٠ . وهذا يدل على ان العدد قابل للتجزئة الى مالانهاية ، وان محاولة الفيثاغورية في التعبير عن الاشياء بالاعداد تواجه مشكلة حادة . وهنا يتبادر الى الذهن السؤال الآتي : هل يمكن تطبيق هذه النتيجة على الزمان والمكان ؟ وبعبارة اخرى : هل يتألف الزمان من آتات منفصلة ؟

وهل يتألف المكان من وحدات منفصلة ؟ ام هل يتألف الزمان والمكان من متصل غير قابل للتجزئة الى وحدات منفصلة ، لان القسمة فيه لا تصل الى نهاية ؟

وفلسفة أفلاطون هي الأخرى متأثرة بالرياضيات والزعة الفيثاغورية ، وان نظرية المثل ليست الا منهجاً استدلالياً رياضياً ، وان المثل بذاتها شبيهة بالأفكار الرياضية ، وان محاولات التعريف والتحديد للأفكار مثل الفضيلة والعدالة وغيرها في المحاورات تدل بوضوح على تأثير الرياضيات في الفلسفة . اما منطق ارسطو فان أثر المنهج الرياضي البديهي فيه معروف وواضح ، حيث استعان ارسطو بالرموز بدل الكلمات واختار بعض الأفكار الأساسية وبعض البديهيات من الاقيسة ليستعين بها في البرهان وورد الاقيسة الأخرى اليها . واستخدم ارسطو الى جانب ذلك بعض القوانين الاستنتاجية في رد الاقيسة ، وهذا يدل بوضوح على عمق فهمه للبرهان الرياضي وكيفية استخدامه في المنطق .

لقد شهدت الفلسفة في العصور الوسطى تحولات جديدة ظهرت بتأثير الدين ومحاولة التوفيق بين المعتقدات الدينية والحجج الفلسفية ، فابتعدت الفلسفة عن العلم وركزت الفلاسفة اهتمامهم على موضوع الآلهيات والميتافيزيقا ، فانعدم تأثير العلم واصبحت الفلسفة مجرد آراء عقلية ودينية لا صلة لها بالحقائق العلمية . ولا يزال بعض الناس على الرغم من قدم هذا الاتجاه يعتقدون ان الفلسفة لا يمكن ان تتعدى حدود الآراء والمفاهيم والحجج العقلية بعيداً عن تأثير العلم وانجازاته . واذا سمعنا من يقول هذه الاقوال ، فما علينا الا ان ندعه في دواحة من مفاهيم لا تجدي ، وعلى الفلاسفة العلماء مهمة تطوير المعرفة من دون اعتبار الى هؤلاء ، اذ لا يمكن ان نسأل رجلاً يشغل في التنجيم ان

يشرح لنا أحدث النظريات الفلكية ، كذلك لا يمكن ان نسأل الفيلسوف  
 غير العالم ان يشرح لنا أثر النظرية النسبية في الفلسفة . ثم عادت الزعة الرياضية  
 التجريبية الى الفلسفة من جديد بعد ان حققت الرياضيات والفيزياء انجازات  
 علمية رائعة على يد ديكارت وليبنز ونيوتن . فاستخدم ديكارت المنهج  
 الرياضي وقام ليبنز استناداً الى معرفته في الفلسفة والمنطق والرياضيات ببناء  
 لغة عامة *Charakteristica Universalis* ، وحاول سينوزا بناء فلسفته  
 الميتافيزيقية والاخلاقية مستعيناً بالمنهج الهندسي . وقد ساد هذا الاتجاه  
 الذي عرف بالرياضيات التعميمية *Mathesis Universalis* على هذه  
 الفترة . وتقصد بالرياضيات التعميمية محاولة الفلاسفة توسيع مجال الرياضيات  
 بتطبيقها على مفاهيم خارجة عن حدود المعرفة الرياضية ، واخضاع هذه  
 المعرفة بالتالي الى شروط الاستدلال ومنهجية الاشتقاق . الى جانب الخط  
 الرياضي واثره في التفكير الفلسفي ومحاولة الفلاسفة الاقتداء بالمعرفة الرياضية  
 نجد الخط الطبيعي يأخذ طريقه هو الآخر في التأثير على اتجاهات الفكر .  
 واذا كان العلم الطبيعي في القديم جزءاً لا يتجزأ من المعرفة الفلسفية التي  
 اهتمت بايجاد التفسيرات المناسبة لظواهر العالم الخارجي وتغيراته ، فان  
 انفصال العلم الطبيعي عن الفلسفة لم يفصل العلاقة في الاثر والتأثير بين  
 الفيزياء والفلسفة ، بل اصبح هذا العلم من القوة بحيث اخذت مذاهب  
 فلسفية كثيرة بالاستفادة من مناهجه ونتائجه . ان التطور العلمي للفيزياء  
 على يد برونو وكبلر وغاليليو واخيراً اسحاق نيوتن ادى الى تغييرات كبيرة  
 في نظرة الانسان الى الطبيعة والكون ، كما ترك العلم الجديد آثاراً عميقة في  
 كيفية الحصول على المعرفة الصحيحة والابتعاد عن الجدل والكلام العقيم ،  
 وانعكست آثاره على الفلسفة ومناهج البحث ، فكان فرنسيس بيكون شديد  
 التأثير بالاتجاه العلمي الجديد، وقد اعتبر طريق التجربة في البحث والمعرفة

هو السبيل الوحيد لزيادة خبرة الانسان بالحاضر والمستقبل . كما ساهمت الفيزياء في تبديل نظرية المعرفة فحولتها الى اتجاه تجريبي بعد ان سادت فيها النزعة العقلية والميتافيزيقية . وما فلسفة جون لوك وهيوم وجون ستيوارت مل الا الدليل القاطع على فعالية الفيزياء واثرها في التفكير الفلسفي .

وبين جذب الرياضيات والفيزياء للفلسفة بدأ التفكير في الفلسفة ذاتها بأخذ طريقه ، فمن الفلاسفة من جعل الرياضيات والفيزياء المثل الأعلى للمعرفة ، ومنهم من هرب بعيداً في تأمل للطبيعة والكون ليصل الى نظرية عقلية تقف على قدم وساق من المعرفة العلمية الجديده ، ومنهم من أخذ بالبحث عن طرق جديدة للفلسفة تختلف عن الطرق المتبعة في العلوم ، وتستطيع ان تأخذ مكانها في المعرفة الانسانية . ولا تزال هذه الاتجاهات الثلاث هي الرئيسة والسائدة في الفلسفة حتى يومنا هذا ، وسنجدها بوضوح في دراستنا للفلسفات المعاصرة .

لم تفقد الفلسفة كل شيء بعد تطور العلم وزيادة التخصص في فروعها ، بل بقيت الدراسات المنطقية وهي جوهر الفلسفة تسير ببطء حتى منتصف القرن التاسع عشر ، واذا بدفع علمي جديد يأخذ طريقه من الرياضيات الى المنطق على يد جورج بول وجوتلوب فريجه . لقد ساهمت ابحاث جورج بول في خلق المنطق الجبري Algebra of Logic الذي اعتمد الرمزية في التعبير والاشتقاق . وساهمت دراسات فريجه في البرهان على ان اساس الرياضيات منطق ، وان المفاهيم الرياضية تعود بالتعريف الى مفاهيم منطقية . وكانت ابحاثه في تحليل اللغة والمعنى والدلالة فاتحة لتطور جديد في الطريقة الفلسفية وعاملاً مهماً في توجيه الفلسفة نحو تحليل اللغة منطقياً ، واذا بطريقة التحليل المنطقي للغة تأخذ مكاناً بارزاً في الابحاث الفلسفية والمنطقية والعلمية

المعاصرة ، وثبتت مرة بعد أخرى جدارتها في الفلسفة والعلم على السواء .  
ان المرحلة التي بدأت بها صلة المنطق بالرياضيات لم تنف عند حدود البرهان  
على ان الرياضيات مجرد منطق متطور ، بل اخذت بالتطور الى آفاق جديدة  
مستفيدة من المفاهيم المنطقية الجديدة في تطوير انواع او انظمة منطقية اخرى .  
كما كان لظهور المدارس المنطقية الاخرى مثل المدرسة الشكلية Formalism  
بقيادة دافيد هيلبرت D. Hilbert والمدرسة الحدسية Intuitionism  
بزعامه جوزف برور J. Brouwer اثره الكبير في توسيع المعرفة المنطقية  
والفلسفية . وقد حقق برتراند رسل والفريد نورث وايتهيد في كتاب « اصول  
الرياضيات Principia Mathematica اعظم انجاز منطقي وفلسفي ،  
فقد برهن على اشتقاق الرياضيات من المنطق ، كما قدم للمشتغلين في الفلسفة  
منهجاً جديداً في التحليل المنطقي اضافة الى تحقيقه حلم لينتز في بناء لغة  
رمزية عامة .

اخذت الفلسفة تقرب اكثر فأكثر من العلوم حتى اصبحت عند  
رودلف كارناب ليست إلا منطقاً للعلوم ، وبتعبير آخر ان الفلسفة عند  
كارناب هي منطق العلم<sup>(1)</sup> . ان هذه النتيجة الهامة قائمة على دراسة منطقية  
لاسس الرياضيات والفيزياء وإمكانية بناء لغة علمية فيزيائية للعلوم .

وعندما بدأت الفيزياء الحديثة تغير من طريقها التقليدي الذي ورثته  
عن نيوتن ومدرسته الميكانيكية ، وذلك بظهور نظرية الكم لماكس بلانك  
M. Planck والنظرية النسبية لآلبرت آينشتاين A. Einstein ، اصاب  
الفلسفة تبدلات جديدة ظهرت في فلسفات جديدة سنأتي على شرحها ،

---

(1) Carnap, R., The Logical Syntax of Language P. 279

واخذت نظرية المعرفة تتبدل ، وتغيرت اساليب مناهج البحث ، واستطاعت دراسات كثيرة ان توصل بين نظرية المعرفة الجديدة والمنطق لتضعها باسلوب رمزي دقيق . وهكذا اثبتت الفلسفة انها لا تنفك عن العلم في الأخذ منه والتأثير فيه .

نعود الآن الى المشكلة التي اثرناها سابقاً وهي فيما اذا كانت الفلسفة ميتافيزيقية او مادية او لها صلة وثيقة بالعلم ؟ وكان الجواب واضحاً يثبت الصلة المتلازمة بين الفلسفة والعلم وذلك من خلال استعراضنا لتطور الفلسفة وأثر التطورات العلمية فيها . وعلى الرغم من انحسار الميتافيزيقا في فلسفة القرن العشرين ، الا اننا لا نزال نجد من يدافع عن التفكير الفلسفي البعيد عن روح العلم ، خاصة عند اولئك الفلاسفة الذين وجلوا في الفلسفة اداة للتعبير عن اتجاه ديني او لا ديني ، فيحاولوا بالكلام فقط ان يبينوا وجود الله او عدم وجوده ، في حين ان العلم لا يملك القدرة حتى الآن على حل هذا الإشكال ، وان علماء الطبيعة امثال آينشتاين وجينس وادنجتون مقتنعون بوجود خالق للكون ومدير له ، وهذا امر يدخل في حدود الايمان القائم على النظر في قوانين الكون وآيات الله . وطائفة اخرى من الفلاسفة اتخذت الادب وسيلة للتعبير عن بعض الآراء اللاعلمية والمفاهيم الغامضة لتؤثر على سلوك الناس وحياتهم بطريقة لا تختلف كثيراً عن اساليب رجال الدين في العصور الوسطى اللهم الا في جوهر الدعوة ، حيث تدعوا هذه الزمرة من الفلاسفة ( المتكلمين الجدد ) الى الايمان بالكفر والضياح ، بينما كان رجال الدين يدعون الى الايمان بالله والثبوت على تعاليمه . ان الوقت قد حان لنضع الفلسفة في مكانها الصحيح مع العلوم لتعمل بأساليب ومناهج مبتكرة على تطوير المعرفة والوصول بالانسان الى ادراك الحقائق ، من دون ان نقحم

أنفسنا في مواضيع هي من صلب الدين والعقيدة، وشتان ما بين الفلسفة القائمة على العقل والتجربة وبين الدين القائم على الايمان والقلب والعاطفة . وسنحاول في دراسة خصائص الفلسفة المعاصرة ان نكرس اهتمامنا على الجوانب العلمية فيها ، وهو الاتجاه السائد في فلسفة القرن العشرين .

٢- ان من ابرز الظواهر الفلسفية في الفلسفة المعاصرة انثاق التيار التحليلي والتجريبي القائم على اسس علمية رياضية وفيزيائية ، ووقوف هذا التيار ضد الفلسفة الميتافيزيقية معتبراً اياها مجرد كلام فارغ لا اساس له من اليقين العلمي ، بل وتثبيت مبدأ رفض الميتافيزيقا والتخلص منها في الفلسفة والعلوم في منهاجه الفلسفي . وقد يقول البعض ان الموقف المناهض للميتافيزيقا نجده بوضوح كذلك في الفلسفات التجريبية السابقة ، فهي مرفوضة عند هيوم ، وتعتبر مرحلة وسطى بين اللاهوتية والوصفية عند كونت ، وان الفكر البشري قد تخطاها منذ زمن بعيد عندما بدأ العلم يشق طريقه على اسس تجريبية ، وأنها لا علمية اسطورية عند ماركس وفورباخ وماخ . وقبل تحليل هذا الاتجاه يجدر بنا أن نفهم المقصود من الميتافيزيقا . من المعروف ان الفلسفة تحتوي على خمسة حقول رئيسة هي : -

الميتافيزيقا Metaphysics ، نظرية المعرفة Epistemology ،  
المنطق Logic ، علم الاخلاق Ethics ، علم الجمال  
Esthetics .

فالميتافيزيقا فرع من فروع الفلسفة وليس الفلسفة جميعها ، ولكننا قد نجد في الوقت ذاته ان الفروع الاخرى لا تخلو من الميتافيزيقا ، فما هي الميتافيزيقا ؟

الميتافيزيقا هي ذلك الحقل الفلسفي الذي يتخذ من المفاهيم المتصلة بالمطلق والزمان والمكان المطلقين والروح والجوهر والارادة وغير ذلك مادة اساسية لبناء طراز فكري معين يستعين بالعقل البحت او بالحدس كمنهج .

يقتصر هذا التعريف على ذكر المفاهيم الفلسفية التقليدية ، وهو التعريف الذي اعتاد الناس استعماله للميتافيزيقا والفلسفة في بعض الاحيان . ولكن تحليل طبيعة الميتافيزيقا واختلافها عن طبيعة العلوم يؤدي بنا الى توسيع التعريف المتقدم ، لاننا قد نحكم على قضايا لا تتصل بهذه المفاهيم انها ميتافيزيقية مثال ذلك قولنا « ان الاثير مادة مرنة تحمل الموجات الكهربائية المغناطيسية » لذلك وجب علينا الآن ان نوسع التعريف ليضم كل انواع الميتافيزيقا . ولجل ذلك علينا واجب دراسة طبيعة القضايا الميتافيزيقية . ولتحقيق ذلك نطرح الأسئلة الآتية : —

هل يمكن اشتقاق القضايا الميتافيزيقية من التجربة ؟

هل يمكن اشتقاق القضايا الميتافيزيقية او البرهان عليها رياضياً ؟

اذا كانت القضايا الميتافيزيقية مشتقة من التجربة ، فلا يمكن اعتبارها ميتافيزيقية ، بل جزءاً من العلوم ، لان الميتافيزيقا ليست تجريبية ولا تعتمد المنهج التجريبي اساساً للوصول الى حقائقها . وهذا معناه ان المفاهيم الميتافيزيقية مجرد افكار تجريدية خالية من المعنى التجريبي . واذا كانت طبيعة القضايا الميتافيزيقية تتحدد بكونها خالية من المعنى من الوجة التجريبية ، فماذا تكون طبيعتها من الوجة الرياضية او البرهانية ؟

من المعروف ان الطريقة البرهانية تخضع لاعتبارات منطقية تتصل ببناء النظام والاشتقاق مع استيفاء لشروط اساسية في الترميز الرياضي وخلق قضايا

الرياضيات والمنطق من التناقض . واذا حللنا الميتافيزيقا فانا لا نجد فيها الطبيعة الرياضية ولا يمكن اشتقاق قضاياها بطريقة منطقية استدلالية . وعلى هذا الاساس نصل الى القول بأن القضايا الميتافيزيقية تختلف من حيث الطبيعة عن القضايا التجريبية والبرهانية ، وهي بالتالي ليست علمية ولا يمكن الحكم عليها بالصدق أو بالكذب ، لأن القضية تكون صادقة اذا كانت مطابقة للواقع او خاضعة لاعتبارات منطقية ( انها اما بديهية او قضية مشتقة من البديهيات ) ، وتكون كاذبة اذا كانت غير مطابقة للواقع او مبرهن على كذبها .

ان الاتجاه المعاصر في رفض الميتافيزيقا قائم على التحليل المنطقي للعبارة واللغة بصورة عامة مع تحليل طبيعة القضايا في العلوم الرياضية والتجريبية ، وبذلك يختلف عن الاتجاهات الفلسفية السابقة في رفض الميتافيزيقا ، وهي الاتجاهات التي اعتمدت المادية أو التجريبية عقيدة رفضت بموجبها العقائد الاخرى باعتبارها اسطورية وخيالية . اما الاتجاه المعاصر فانه يضع الميتافيزيقا تحت معاول التحليل مبيناً ان قضاياها ومفاهيمها فارغة لا معنى لها ولا يمكن الحكم عليها بالصدق أو بالكذب . وقد اتخذ فلاسفة التحليل في رفضهم للميتافيزيقا قاعدتين هما : -

ا - ضرورة تحليل التركيب اللغوي وقواعد اللغة واستعمالاتها لمعرفة الاسباب التي أدت بالفلاسفة الميتافيزيقيين الى بناء قضايا مضللة .

ب - ضرورة تحليل الجانب الاستمولوجي للمفاهيم والعبارات والقضايا لمعرفة صلتها بالعالم التجريبي او خلوها من هذه الصلة تماماً ، في حين انها تظهر وكأنها تتحدث عن اشياء قائمة .

يرى فتنجشتاين « ان معظم القضايا والاسئلة التي كتبت حول مواضيع

فلسفية ليست كاذبة ، بل لا معنى لها ، واننا لذلك لا نستطيع الاجابة على هذا النوع من الاسئلة مطلقاً ، بل علينا ان نبين سخافتها . ان معظم أسئلة وقضايا الفلاسفة ناتجة من حقيقة اننا لا نفهم منطق لغتنا <sup>(1)</sup> .

ان القضية الميتافيزيقية في استخدامها بعض المفاهيم المضللة تظهر وكأنها تشير الى شيء ما قائم في العالم الخارجي ، ولكن التحليل الدقيق لها يبين بشكل قاطع انها لا تشير الى شيء في العالم المادي . كما ان استعمال الفلاسفة للغة التداول وهي لغة الحياة اليومية في التعبير عن آرائهم ادى الى وقوعهم في اخطاء كثيرة ناتجة بسبب غموض اللغة واستخدامها الكثير للاستعارة والمجاز والتشبيه . لقد ابتعد العلم الطبيعي عن غموض لغة الحياة اليومية باستخدام لغة رمزية رياضية دقيقة التعبير مع تحديد واضح للمفاهيم المستخدمة في البحث ، واذا استخدم علماء الفيزياء مفهوم الطاقة والكتلة والزمان وغير ذلك . فانهم لا يربطون تفكيرهم بمعان هذه المفاهيم في الحياة اليومية ، بل يقررون بالدقة العلمية المعاني الجديدة لها . اما في الفلسفة فان الفلاسفة قد سقطوا بين لغة الحياة اليومية ولغتهم الخاصة ، فنجدهم يتأرجحون في استعمال المفاهيم بين معانيها الاعتيادية وما يفكرون به من معان جديدة . وقد اشار برتراند رسل الى الازدواجية في استعمال المفاهيم عند مناقشته للمذهب المثالي لبركلي <sup>(2)</sup> ، فيرى ان كثيراً من الاغاليط الناتجة من سوء استعمال المفاهيم او استعمالها بمعان مختلفة قد ساد تاريخ الفلسفة . ويختلف موقف جورج مور بصدد الميتافيزيقا ، فيرى بطريقته التحليلية ان المشكلة تظهر عند محاولة الاجابة على اسئلة من دون اكتشاف بصورة دقيقة السؤال الذي ترغب بالاجابة عليه ، وان ما يعوز

(1) Wittgenstein, L., Tractatus Logico-philosophicus 4.003

(2) Russell, B., The Problems of Philosophy P. 37

الفلاسفة هو التحليل والتمييز . فليست الميتافيزيقا سخيقة ، بل ان ما تقدمه مشوب بالتعقيد والغموض ، وان مهمة التحليل هو اكتشاف هذا التعقيد والغموض . وفي مقالته المنشورة سنة ١٩٠٣ تحت عنوان « رفض المثالية »<sup>(١)</sup> ومقالته التي احتوت موقفه الفلسفي تحت عنوان « دفاع عن الفهم المشترك »<sup>(٢)</sup> يؤكد ببساطة وجود العالم الخارجي والذات الإنسانية مع رفض قاطع لآراء المذاهب المثالية التي ترى ان العالم الخارجي روحاني او عقلي . ان العالم عند مور يتألف من أجسام مادية ممتدة في المكان ، وان الحواس على اتصال مباشر بها ولا يمكن لشخص ان ينكر وجود صخرة ما اذا شاهدها واحسها ، واذا لم يصدق او شك بوجود الصخرة ، فان عليه ان يجرب الضرب عليها بقدمه ليعرف انه لا يستطيع ان ينخرقها . ان موقف مور هذا هو موقف علماء الفيزياء الذين يسمون بوجود العالم الخارجي والاجسام المادية القائمة فيه ومن دون ان يزجوا انفسهم في متاهات فلسفية في الوجود وعدمه . فبرى عالم الفيزياء ماكس بلانك ان الفيزياء النظرية قائمة على اساس افتراض وجود حوادث حقيقية لا تعتمد على الحواس ، لان التأكيد على الحقائق الحسية وحدها يقودنا الى فردية لا عقلية Irrational Solipsism . ومن اجل تفاديها علينا ان نفترض وجود عناصر اخرى لا تعتمد على شخصية المشاهد ولا على وقت ومكان المشاهدة<sup>(٣)</sup> .

٣- امتازت الفلسفة المعاصرة اضافة الى اتجاهها في رفض الميتافيزيقا بأنها تحولت عن الطريق التقليدي الى ممارسة أسلوب جديد في البحث ، وقد

(1) Moore, G., Refutation of Idealism.

(2) Moore, G., A Defence of Common Sense.

(3) Planck, M., The Philosophy of Physics P. 21.

ساعدت التحولات العلمية الكبيرة التي ظهرت في أوائل القرن العشرين على تقوية التيار العلمي وتوجيه الفكر الفلسفي من نزعتة المثالية اللاعلمية الى التشابك المتفاعل مع الفكر العلمي المتطور . وكان السؤال الذي راود الفلاسفة في هذه الفترة هو كيف يمكن للفلسفة ان تكون علمية ؟ وهل تستطيع الفلسفة استحداث منهج جديد يساعد العلم في تقدمه ؟

قبل الاجابة عن هذه الاسئلة لا بد لنا ان نميز بين تعبيرين ظهرا في كتابات الفلاسفة هما : - فلسفة العلم Philosophy of Science  
والفلسفة العلمية Scientific Philosophy

نقصد بالتعبير الاول « فلسفة العلم » محاولات الفلاسفة الاستفادة من النتائج العلمية التي تحققها العلوم واخضاعها داخل اطار فلسفي محدد يبين صلات النتائج والاستنتاجات الفلسفية المترتبة عليها . ومن هذه الفلسفات ما قام به جيمس جينس في كتاب « الكون الغامض »<sup>(١)</sup> الذي ناقش ما توصل اليه علماء الفيزياء من حقائق في طبيعة المادة والكون ليصل بعد ذلك الى تقرير وجود عقل او مهندس عظيم صمم الكون تبعاً لقوانين رياضية ، وهكذا يقع جينس في مثالية رياضية Mathematical Idealism بدأت تنمو من اعتقاده ان الرياضيات البحتة هي الصيغة التي ترسم للكون ابعاده الحقيقية . ويصدق الشيء نفسه بصدد فلسفة ارثر ادنجتون<sup>(٢)</sup> الذي استفاد هو الآخر من الانجازات العلمية في حقل الفيزياء النووية والفلكية

---

(1) Jeans, J., The Mysterious Universe.

(٢) لأدنجتون مؤلفات كثيرة يعرض فيها فلسفته في الفيزياء الحديثة تذكر أهمها :

Eddington, A., The Philosophy of Physical Science  
The Nature of the Physical World.

لبناء فلسفة مثالية ذاتية جديدة وعرض نظرية جديدة في المعرفة ، وقد عرفت فلسفته بالذاتية الانتخابية Selective Subjectivism . وإلى جانب ذلك نجد الفريد نورث وايتهد<sup>(١)</sup> يضع فلسفة شاملة للكون أساسها الصيرورة الطبيعية والديمومة ، وقد اتخذ من حقائق الفيزياء والبيولوجيا مادة لفلسفته في الوجود والمعرفة .

ونقصد بالتعبير الثاني « الفلسفة العلمية » محاولات الفلاسفة وبعض العلماء في بناء طرق جديدة للفلسفة تكون عوناً للعلم في أبحاثه ودراساته ، بحيث يمكن القول ان للفلسفة طريقة علمية في صياغة الحقائق التي تتوصل لها . وقد حدثت دراسات كثيرة في هذا الاتجاه اتخذت شكلين رئيسيين هما :

- ١ - المنطق وما يقدمه من مناهج ومفاهيم برهانية وتجريبية .
- ٢ - نظرية المعرفة وما تقوم به من تنسيق معرفة الانسان بطريقة جديدة تستفيد من المعرفة العلمية .

انصبت محاولات فلاسفة التحليل امثال برتراند رسل<sup>(٢)</sup> وفلاسفة جماعة فيينا على ايجاد مناهج علمية في الفلسفة ، وقد اتخذوا من التحليل المنطقي للغة أساساً لهذا الغرض ، وقد ساعد هذا الاتجاه ما حققه المنطق من انجازات في حقل الرياضيات . ان طريقة التحليل المنطقي للغة هي المنهج العلمي الجديد في الفلسفة ، حيث اثبتت جدارتها في القدرة على التمييز بين

---

من مؤلفاته الرئيسية في هذا المجال نختار :

- (1) Whitehead, A.N., The Concept of Nature.  
Process and Reality.
- (2) Russel, B., Our Knowledge of the external world  
« As a Field for Scientific Method in Philosophy »

مفاهيم وقضايا الميتافيزيقا من جهة وفي إيجاد قواعد علمية تشمل الاستقراء والاستدلال من جهة أخرى. وما الدراسات التي قامت بها جماعة قينا وغيرها في هذا المجال الا الدليل القاطع بأن طريقة التحليل المنطقي تقوم بتعزيز العلم ومشاركته في إنجازاته. ومن الانجازات العلمية الرائعة للفلسفة العلمية ما قام به كارناب في كتابه «الستاكس المنطقي للغة»، حيث اقام قاعدة منطقية للمنطق والرياضيات والفيزياء وبرهن على القضايا التي تخص هذه العلوم، فأصبحت الفلسفة عنده منطق العلوم.

اضافة الى ما تقدم نجد محاولات جديدة في نظرية المعرفة تستهدف الاستفادة من المعرفة العلمية لبناء نظرية واضحة في المعرفة معتمدة على ما يقدمه المنطق من ادوات جديدة، وقد تجلت هذه المحاولات في اتجاهات فلسفية كثيرة اهمها :-

أ - استخلاص نظرية المعرفة المرتبطة بالتحويلات العلمية الجديدة والاستفادة منها في فهم المشكلات الفلسفية وحلها. ومن الامثلة على ذلك ما اثارته النظرية النسبية والكمية وما فتحت من آفاق في المعرفة. ومن المدافعين عن هذا الاتجاه جماعة برلين *Berliner Gruppe* التي تأسست سنة ١٩٢٨ بزعامة رايخنباخ *H. Reichenbach* والتي ترى ان الفلسفة العلمية هي طريقة فلسفية تقوم بتطوير نتائج العلوم المختلفة بالتحليل والتقد وحل المشكلات الفلسفية المتعلقة بها.

ب - بناء نظرية عامة في المعرفة تبين كيفية اشتقاق المفاهيم والمبادئ المختلفة للعلوم. والغاية من هذه النظرية هو البرهنة على انه بالامكان اشتقاق المفاهيم والمبادئ العلمية بطريقة منطقية بعد

اختيار قاعدة تجريبية تعتمد الخبرة اساساً ، وبالتالي تحقيق ما يسمى في الفلسفة وحدة العلوم . وكانت جماعة فينا من اكثر الجماعات الفلسفية تأكيداً على ضرورة وحدة العلم . وقد قام كارناب في كتابه « البناء المنطقي للعالم »<sup>(١)</sup> سنة ١٩٢٨ بمحاولة بناء نظرية معرفة عامة اختار لها قاعدة بنائية اشتق منها عالم الخبرة الحسية وعالم الفيزياء وعالم السيكلوجيا ومفاهيم الحضارة .

٢- الاستفادة من الدراسات المختلفة للغة التي قام بها علماء من شتى الاختصاصات ، فكانت اللغة موضوع بحث علم اللغة والانثروبولوجيا وعلم النفس والاجتماع وعلم المنطق والفلسفة وغيرها ، فحاول الفلاسفة توحيد هذه الجهود لوضع نظرية عامة في اللغة تكون اساساً لجميع العلوم محققة وحدتها من جهة ومبينة صلتها بالنظرية من جهة اخرى . فكانت ابحاث تشارلس موريس في « اساس نظرية العلامات »<sup>(٢)</sup> خير ممثلة لهذا الاتجاه ، فاشتراط نظرية عامة سماها السيميوطيقا Semiotic ونظريات اخرى فرعية هي الستاكس Syntax والسيمانطيقا Semantics والبراجماتيقا Pragmatics .

(1) Carnap, R., Der Logische Aufbau der Welt.

(2) Morris, Ch. W., Foundations of the Theory of Signs.

القِسْمُ الْأَوَّلُ

الفَلَسَفَةُ التَّحْلِيلِيَّةُ



## الفصل الأول

### جوتلوب فريجه

Gottlob Frege

ولد جوتلوب فريجه في الثامن من شهر نوفمبر ( تشرين الثاني ) سنة ١٨٤٨ في فيزمر Wismer بالمانيا وتوفي في السادس والعشرين من يوليو ( تموز ) سنة ١٩٢٥ في بادكلابن Bad Kleinen عن سبعة وسبعين عاماً .  
امتاز فريجه عن معاصريه واسلافه علماء الرياضيات انه كان ثاقب البصيرة دقيق التحليل للعلم الذي اصبح اختصاصه وهو الرياضيات . فجمع بين الدقة الرياضية وعمق التحليل الفلسفي للمفاهيم والمبادئ الرياضية . فهو يذكرنا بسلفه البعيد لينتز الذي كان هو الآخر عالماً رياضياً وفيلسوفاً دقيق العبارة عميق التحليل . وكانت حصيلة تجاربه وإبحاثه انه وضع لأول مرة علم المنطق في طريق جديد يرتبط بالرياضيات واسسها ، كما كانت لابتكاراته في علم المنطق الاثر الكبير في تطويره وتحقيق هدفه في ارجاع الرياضيات الى مفاهيم واصول منطقية . عاش فريجه حياته مدرساً خاصاً Privatdozent في جامعة ينا Jena منذ سنة ١٨٩٦ حتى ١٩١٧ واعتزل التدريس حتى وفاته .

يعتبر فريجه المؤسس للمدرسة المنطقية Logistics المعاصرة ، وله الفضل في تطوير الطريقة التحليلية في المنطق واللغة ، وهي الطريقة التي أصبحت في الفلسفة المعاصرة الاسلوب العلمي للبحث الفلسفي . كما كانت أبحاثه في فلسفة اللغة والمعنى الباعث لاتجاهات فلسفية جديدة ، وما تزال الدراسات المنطقية والفلسفية تستمد من مؤلفاته وأبحاثه الشيء الكثير . وعلى الرغم من أهمية بحوثه وابتكاراته وطريقته الرمزية الجديدة ، إلا أن هذه البحوث بقيت غير معروفة في الأوساط الفلسفية والرياضية مدة طويلة حتى استطاع رسل العثور عليها وإدراك أهميتها في المنطق والرياضيات ، الأمر الذي جعل رسل يكتب ملحقاً في آخر كتابه «مبادئ الرياضيات»<sup>(1)</sup> بين فيه نظريات فريجه المنطقية . وقد ترك إهمال أبناء وطنه لمؤلفاته أثراً شديداً في نفسه .

كانت محاولاته العديدة تستهدف تحقيق غاية أساسية هي إرجاع علم الحساب إلى المنطق ، ولكن منهجاً كهذا يحتاج إلى منطق متطور من حيث المفاهيم والطريقة ، وهو أمر لم يكن قد نضج بعد ، فالدراسات المنطقية الحديثة منذ أيام لينتز لم تقدم الشيء الكثير في الاتجاه الذي يريد فريجه السير فيه . وعلى الرغم من تطور المنطق عند جورج بول G. Boole ووارنست شرودر E. Schröder ، إلا أن برنامج فريجه بحاجة إلى استحداث أفكار منطقية جديدة والكشف عن النظرية الاستدلالية للقضايا ودالات القضايا . أدرك فريجه أهمية برنامج لينتز في بناء حساب منطقي أو فلسفي Calculus Philosophicus فوصفه بأنه عظيم ، وهو الحساب الذي إرادته لينتز للفلسفة لتتحول من طريقها التقليدية في الجدال العقيم وتصبح لغتها مطبوعة على هيئة حسابية . لم يحقق لينتز برنامجه ، ولكنه بقي هدفاً عظيماً من أهداف الفلسفة والمنطق والرياضة ، وإذا لم يتحقق دفعة واحدة ، فإن

(1) Russel, B., The Principles of Mathematics 1903.

خطوات متعاقبة في طريق تحقيقه كفييلة بأن تحوله من مجرد حلم الى حقيقة ، وما برنامج فريجه الا خطوة اساسية في هذا الطريق .

وعلى الجانب الآخر في حقل الرياضيات فان الامر يبدو اسهل بكثير ، فقد شهدت الرياضيات في القرن السابع عشر والثامن عشر تطورات هائلة ، كما كان لاجتاث علماء الرياضيات في القرن التاسع عشر امثال جاوس Gauss وديدكند Dedekind وكانور Cantor الاثر الكبير في ابراز نظرية الاعداد الطبيعية وتعريف الاعداد والعلامات باعداد وعلامات اخرى . ولكن ذلك لم يقنع فريجه ، لانه كان يرمي الى ابعاد من ذلك بكثير . فالتحليل المنطقي للاعداد جعله يعتقد ان لا بد من تعريف العدد لتحديد معناه ، ولا يتم ذلك الا بتطوير الجهاز الفكري للمنطق . وقد جاءت مؤلفاته المنطقية الرئيسة خير شاهد على ذلك ، حيث قام باستحداث طريقة رمزية جديدة مع مجموعة كافية من الافكار المنطقية ، فكانت كلها عاملاً مهماً حقق به فريجه برنامجه في اشتقاق علم الحساب من المنطق .

## I - تطور فلسفته

كتب فريجه عدداً كبيراً من الاجتاث على هيئة كتب ومقالات ، وقد تناول فيها الموضوعات الآتية : -

١ - تطوير نظرية استدلالية منطقية تظهر فيها القابلية على الاشتقاق والدقة الرمزية .

٢ - تطوير نظرية في المعنى والدلالة وتقدير اهميتها بالنسبة للدراسات المنطقية والفلسفية .

٣ - تطوير طريقة جديدة في التحليل المنطقي لمفاهيم الرياضيات والمنطق .

٤ - اشتقاق علم الحساب من المنطق والبرهان على ان الرياضيات منطق متطور .

تستخدم الرياضيات البرهان لاثبات ان قضية ما صادقة ، فاذا كانت لدينا مجموعة من القضايا لم تثبت من صدقها بعد ، فان البرهان هو المعيار الوحيد لاثبات صدقها ، وهذا معناه ان قضية ما صادقة إذا كان لها برهان ، والمقصود بالبرهان سلسلة محدودة من قضايا هي اما بديهيات او مبرهات سبق البرهان عليها ، بحيث تتعاقب هذه القضايا بالزمام منطقي فتكون القضية الناتجة مشتقة من القضية او القضايا السابقة . وعملية البرهان تستلزم وجود قوانين منطقية او بديهيات وقوانين استنتاجية نقرض صدقها ، اما القوانين الاخرى فان صدقها يكون بارجاعها الى البديهيات . وفي ذلك يقول فريجه انه اذا ما طرح سؤال عن السبب الذي يدعونا الى معرفة أن قانوناً منطقياً صادق ، فان المنطق يستطيع الاجابة بأنه يرجع الى قانون منطقي آخر<sup>(1)</sup> . وهذا يدل على ان العملية البرهانية والاستدلالية في الرياضيات تقوم على المنطق ، وان الغاية المنطقية تتحقق في ايجاد النظرية المنطقية التامة للاستدلال او الاشتقاق . وفي ذلك كانت محاولة فريجه في كتابه اللغة الرمزية « *Begriffschrift* » تستهدف بناء لغة صورية للمنطق والرياضيات ، وهي اللغة التي تصورها قادرة على تحقيق جزء من برنامج لينتز .

ويمكن فريجه بالفعل من بناء لغة منطقية دقيقة قادرة على التعبير المنطقي والرياضي الدقيق ، بحيث يكون بالامكان التعبير عن جميع القضايا المنطقية . ويجب ان نعرف هنا ان بناء مثل هذه اللغة الدقيقة ليس بالامر البسيط ، خاصة واننا نعرف ان لغة الحياة اليومية لا تصلح لان تكون اداة للتعبير الدقيق او لغة من هذا النوع . فكان على فريجه ان يقوم ببناء لغة رمزية تستوفي شروطاً منطقية معينة تتعلق بالبناء المنطقي من جهة وبالطريقة الرمزية من جهة اخرى . وفي سبيل تحقيق بناء اللغة اختار فريجه بعض الافكار المنطقية لتكون قاعدة في بناء البديهيات والمبرهات ، واختار بديهيات وقوانين استنتاجية ، وبين

(1) Frege G., Grundgesetze der Arithmetik XVII.

جدارة طريقته الرمزية في التعبير عن بعض القضايا المنطقية والرياضية .  
وبذلك يكون فريجه المؤسس الاول للنظرية المنطقية للقضايا ودالات القضايا ،  
وهي النظرية الاستدلالية التي لا يمكن لعالم الرياضيات والمنطق الاستغناء  
عنها في البرهان واشتقاق القضايا .

ان اختيار فريجه لطريقة رمزية جديدة تختلف عن الطريقة المعمول بها  
في الرياضيات جعل نظريته غير معروفة في الاوساط المنطقية والرياضية .  
ولو اختار الطريقة المعروفة في التعبير الرياضي ، لأصبحت أبحاثه ذات  
فائدة اعظم . ان اختياره لطريقة رمزية جديدة يعود الى حرصه على اظهار  
سلسلة القضايا في البرهان مرئية وواضحة واني اعتقد ان طريقته جديدة  
باتباعها وتطويرها لما تتمتع به من مرونة ودقة فائقة .

يظهر ان فريجه قد اطلع على الدراسات المنطقية المعروفة في ايامه فوجد  
خلطاً بين المنطق وعلم النفس ، بل لقد ذهب بعضهم الى اعتبار المنطق  
جزءاً من علم النفس ، فاكسب المنطق صفة سيكولوجية ، واعتاد المناطقة  
السيكولوجيون على تناول القوانين المنطقية من زاوية نفسية . ان هذا الاتجاه  
يقف من دون شك حائلاً بين فريجه وتحقيق برنامجه في اشتقاق علم الحساب  
من المنطق ، فكان عليه ان يخلص المنطق من الآثار السيكولوجية والميتافيزيقية  
ويضع الحدود الفاصلة بين علم المنطق وعلم النفس . ووجد من جهة اخرى  
ان تعريفات العدد عند بعض علماء الرياضيات غير كافية وان لبعض الفلاسفة  
والمناطق آراء خاطئة في طبيعة قضايا علم الحساب ، فكان عليه ان يبين  
طبيعة القضايا الحسابية بمناقشة تحليلية لآراء المؤلفين ويسير بخطوات منطقية  
في سبيل تعريف العدد بعد ان تناول بالتحليل آراء الكثيرين في العدد وبين  
الاحطاء فيها . وقد جاءت هذه الآراء بالتفصيل والتحليل في كتابه « اسس  
علم الحساب »<sup>(1)</sup> المنشور سنة ١٨٨٤ ، وهو البحث المنطقي الرياضي في

---

(1) Frege, G., Die Grundlagen der Arithmetik 1884.

مفهوم العدد . تناول فريجه في هذا البحث طبيعة قضايا علم الحساب ، وهل قوانين الحساب حقائق استقرائية ، وكان بذلك يرد على قول جون ستيوارت مل بأن القضايا الحسابية استقرائية . ثم ناقش رأي كانت وغيره في طبيعة قوانين الحساب وهل هي قوانين تركيبية قبلية *Synthetic Apriori* او تحليلية *Analytic* . وكانت الخطوة التالية حول آراء بعض المؤلفين عن فكرة العدد ، حيث ناقش آراء كانتور وشرودر وغيرهم ، وخلص اخيراً الى تحليل لفكرة العدد والادوات المنطقية التي يحتاجها في التعريف . وبذلك وضع فريجه تعريفه للعدد والاعداد الطبيعية مستعيناً بالافكار والعلاقات المنطقية ، فحقق بذلك ارجاع نظرية الاعداد الطبيعية الى المنطق . ونشر فريجه عدة مقالات علمية تدل على اهتمامه بتطوير علم المنطق من جهة والسعي الخيث لوضع نتائجه النهائية التي حصل عليها من كتاباته الاولى في نظام منطقي كامل المنطقية تتوفر فيه شروط الدقة الرمزية والتحليلية والاشتقاقية والبرهانية .

ناقش فريجه في مقالته « الدالة والفكرة »<sup>(1)</sup> مفهوم الدالة في الدراسات الرياضية واعطى اخيراً مفهومه الاساسي للدالة والذي يمثل تطوراً في تفكيره المنطقي ، لأنه سبق ان ناقش مفهوم الدالة في كتابه « اللغة الرمزية » وتبين له من خلال المناقشة ان مفهوم « الدالة » في الرياضيات لا يختلف عن مفهوم « الفكرة » في المنطق ، وبهذه الطريقة اراد ان يبرهن ان بين الرياضيات والمنطق علاقة متينة ، وان الرياضيات ليست الا منطقاً متطوراً . وفي هذه المقالة بالذات يقدم لنا فريجه تعبيراً منطقياً جديداً وهو قيمة الصديق « *Wahrheitswert* » الذي يعتبر العصب الضروري في الدراسات المنطقية والفلسفية المعاصرة . ووضح كذلك الفرق بين الدالات والافكار ، اذ من الضروري ان لا نخلط بين دالة من الدرجة الاولى *Funktion erster Stufe* مع دالة اخرى من

(1) Frege, G., Funktion und Begriff 1891.

الدرجة الثانية Funktion zweiter Stufe . وكذلك الامر بالنسبة للأفكار التي تعتبر دالات لها حدّان او اكثر .

وفي مقالة اخرى تحت عنوان « حول المعنى والدلالة »<sup>(١)</sup> يناقش فريجه الاسماء والعبارات والقضايا واضعاً بذلك نظريته في اللغة وتحليل المعنى المرتبط بالرموز وما تشير اليه هذه الرموز من دلالات شبيهة . لقد ادرك فريجه ان الفلاسفة وعلماء اللغة يخلطون بين المعنى والدلالة ، فكان عليه ان يميز بينهما من جهة ويبين اهمية هذا التمييز في الدراسات المنطقية من جهة اخرى . وقد اتخذ في بداية مقالته من الذاتية وتحليلها مقترحاتاً لالتقاء الضوء على الاختلاف بين الاسماء في المعنى والدلالة واختلاف العبارات من حيث الفكرة والشيء الذي تشير اليه ، وتقرير ان الرمز والمعنى والدلالة هم الابعاد الحقيقية للغة ، وان التحليل المنطقي يوضح لنا العلاقة بين الرمز والمعنى وبين الرمز والدلالة والعلاقة بين الرموز فيما بينها في عبارات وقضايا . ولهذه المقالة أهمية كبيرة في الدراسات المنطقية والفلسفية فقد استفاد منها رسل في نظريته في العبارة الوصفية واستفاد منها فتحشتاين في نظريته اللغوية ، وطورها رودلف كارناب في كتابه « المعنى والضرورة »<sup>(٢)</sup> بعد اجراء بعض التعديلات عليها .

لم يتوقف تحليل فريجه للغة منطقياً عند هذا الحد ، بل استمر في التحليل المنطقي للأفكار والاشياء وعلاقة الفكرة بالشيء في مقالة له تحت عنوان « الفكرة والشيء »<sup>(٣)</sup> المنشورة سنة ١٨٩٢ ، والتي كانت تمثل اضافة منطقية جديدة وتوضيحاً لأفكاره المنطقية التي سبق ان نشرها والتي وجدت بعض الانتقادات من قبل كيري B. Kerry . فالفكرة « Begriff » في فلسفة فريجه

(1) Frege, G., Über Sinn und Bedeutung 1892.

(2) Carnay, R., Meaning and Necessity P. 118, § 28.

(3) Frege, G., Über Begriff und Gegenstand 1892.

أداة منطقية بحتة لا علاقة لها بالناحية النفسية ، لأن الخلط بين المعنى المنطقي للفكرة والمعنى السيكلولوجي لها يؤدي الى عدم فهم ما يقصد اليه فريجه . اراد فريجه في مقالته ضرورة التمييز الواضح بين الفكرة والشيء الذي يقع تحتها ، علماً ان الفكرة عنده هي معنى لمحمول ، اما الشيء فيمكن ان يكون معنى لموضوع (١) .

يظهر لنا من هذه المقالة ان هناك ترابطاً ومشابهة بين « المعنى والفكرة » و « الدالة والشيء » ، وهذا يعني ان المعنى هو الفكرة التي نعبر عنها بلغة ، وانها تختلف عن الشيء الذي يقع تحتها او عن الدلالة التي يشير اليها المعنى . ولهذا التمييز اهمية كبيرة في الدراسات المنطقية والفلسفية ، إذ اصبح الآن اساساً للتمييز بين القضايا والافكار العلمية والفلسفية ، كما انه مفيد في التحليل المنطقي لمعرفة فيما اذا كانت عبارة ما فارغة أو لها معنى او دلالة .

اما بحثه الاخير الذي يمثل قمة انتاجه في فلسفة الرياضيات فهو « القوانين الاساسية لعلم الحساب » (٢) ، وقد تضمن جميع دراساته السابقة بشكلها الناضج والمتكامل ، واستطاع ان يربط به المنطق بالرياضيات ربطاً وثيقاً ، وذلك يبرهانه بأن علم الحساب مشتق من المنطق وصادر عنه . وبالرغم من اهمية هذا البحث الا انه لم يلق ما يستحقه من تقدير علمي وبقي غير معروف في الاوساط العلمية العامة حتى اكتشفه برتراند رسل سنة ١٩٠٣ ، وبين اهمية العلمية المتضمنة في بحوث فريجه المنطقية . واعطى رسل في نهاية بحثه المعروف « مبادئ الرياضيات » (٣) المنشور سنة ١٩٠٣ ملحقاً لخص فيه

(١) Frege, G., Funktion, Begriff, Bedeutung [Begriff und Gegenstand] P. 70.

(٢) Frege, G., Grundgesetze der Arithmetik vol. I, vol. II.

(٣) ناقش رسل في كتابه The Principles of Mathematics نظرية فريجه في المعنى والدلالة ونظريته في الدالة والفكرة ، ونظريته في الفكرة والشيء ، وكان يناقش ما توصل اليه فريجه من نتائج بما قدمه هو من أبحاث في هذا الصدد ، وناقش رسل نظرية فريجه المنطقية في =

نظريات فريجه المنطقية . ولقد اظهر رسل من ناحية اخرى ان في نظرية فريجه المنطقية تناقضاً ، وحاول فريجه ان يخرج من الازمة باعطاء بعض الحلول لهذا التناقض ، ولكن بدون جدوى . فكان ذلك فاتحة لظهور نظرية الانماط المنطقية Logical Types لحل المتناقضات المعروفة في المنطق والحساب .

تناول فريجه في الجزء الاول من بحثه « القوانين الاساسية لعلم الحساب » الاصول المنطقية التي يقوم عليها بناء اللغة الرمزية ، فناقش الدالة والفكرة والعلاقة ، وقدم بوضوح طريقة قراءة صيغ ومعاني اللغة الرمزية . ثم انتقل بعد هذا العرض لبدائيات لغته المنطقية الى القوانين او الطرق الاستنتاجية والقواعد الخاصة في تطبيق الصيغ وتحويلها . وبهذه الخطوات المنطقية التي اصبحت الآن من العمليات الجوهرية في بناء الانظمة المنطقية المختلفة ينتقل فريجه الى الجزء المهم من اللغة الرمزية وهو تعيين القوانين الاساسية او البديهيات والقوانين ، ومن ثم اشتقاق بعض القضايا من هذه القوانين .

اما الخطوة الثانية بعد بناء اللغة المنطقية ، فهي بلا شك تهتم بالعدد وتقديم البراهين الكافية للقضايا التي تخص الاعداد مثال ذلك برهان بعض القضايا التي تخص العدد صفر والعدد واحد .

اما الجزء الثاني من القوانين الاساسية لعلم الحساب ، فانه يتناول نقداً للنظريات الخاصة بالاعداد الصماء Irrationale Zahlen ، كما نجد في هذا البحث بالذات نظرية فريجه في التعريف والقواعد التي يجب ان يستوفيهما التعريف . وبالإضافة الى ذلك نجده يبحث في نظرية العلاقات والفئات ويضع بعض القوانين او القضايا المهمة في هذا المضممار .

---

=الحساب وتعريفه للعدد الذي يشبه تعريف العدد عنده . وتظهر أهمية هذا الملحق في المقارنات التي يعقدها رسل بين ما توصل اليه وما توصل إليه فريجه من نتائج . كما نجد انتقادات منطقية هامة لبعض الافكار التي يستعملها فريجه في منطقته .

واضافة الى كل ما تقدم من الابحاث الاساسية نشر فريجه كذلك مقالات كثيرة تناولت مواضيع فلسفية ورياضية شتى ، ناقش فيها اسس الهندسة كما في مقالته حول اسس الهندسة *Über die Grundlagen der Geometrie* المنشورة سنة ١٩٠٣ ومقالات اخرى تناولت الفكرة والنفي من الجانب المنطقي . وهناك مقالات اخرى فيها انتقادات ومناقشات لبعض علماء الرياضيات والمفكرين في عصره .

## II - التحليل المنطقي للغة

ان تطور افكار فريجه نحو ربط الرياضيات بالمنطق واهتمامه الكبير باللغة الرمزية والمفاهيم المنطقية والرياضية قد يثير بعض التساؤلات عن اهمية هذه الدراسات بالنسبة للفلسفة ، وهل يمكن اعتبار فريجه فيلسوفاً الى جانب كونه عالماً في الرياضيات والمنطق ؟ وحسباً لمثل هذه التساؤلات ارى ضرورة دراسة الجوانب الفلسفية في ابحاثه واهميتها في اكثر من حقل واحد من حقول الفلسفة وفروعها .

ان من الامور المسلم بها في الفلسفة هي ان الدراسات الفلسفية لا تقتصر على الميتافيزيقا وعلم الاخلاق ، وان معظم الفلاسفة منذ نشأة الفلسفة في اليونان اتجهوا الى دراسة الطبيعة والفكر والمجتمع ، كما ان ابحاث معظم الفلاسفة المحدثين تدور حول المعرفة والمنطق . ولقد كان نصيب فريجه في المنطق ونظرية المعرفة كبيراً ، فهو مؤسس المنطق الرياضي والفلسفة الرياضية من جهة ورائد من رواد التحليل المنطقي من جهة اخرى ، ولم يبحث فريجه في مفاهيم الميتافيزيقا والاخلاق ، بل نجده في اكثر من موضع في مؤلفاته مناهضاً للميتافيزيقا عاملاً على ابعادها من المنطق والمعرفة . وقد ربط بين المنطق ونظرية المعرفة في فلسفة متناسقة ومنسجمة ، بحيث يصعب على المتبع لابعائه ان يجد في فلسفته تناقضاً وغموضاً وتردداً في اصدار المبادئ الحاسمة ، بل نجد فيلسوفاً يقوم بتطوير المفاهيم التي تخدمه في سبيل تحقيق برنامج الفلسفي ،

من دون ان يغير الخط العام لفلسفته .

يمكننا الآن من اجل اعطاء صورة مجسمة لفلسفته ان نتناول بالبحث مواقف الرئيسة من المشكلات التي كان يعالجها ، وهذه المواقف هي : -

١ - موقفه من لغة الحياة اليومية واللغة الرمزية .

٢ - موقفه من المنهج العلمي في المنطق والرياضيات .

٣ - موقفه من نظرية المعرفة .

اذا استعرضنا تاريخ الفلسفة وجدنا ان كبار الفلاسفة امثال افلاطون وارسطو وديكارت وليبنز وكانت وغيرهم اهتموا بدراسة موضوعات فلسفية كثيرة واتخذوا مواقف من المشكلات التي درسوها ، فكانت مواقفهم هي مواقف فريجه الفلسفية الذي جاء بعدهم ، فلقد كانت ابحاث ارسطو المنطقية في الاورغانون تبين موقفه من لغة الحياة اليومية واللغة الرمزية وغايته في تطوير منهج استدلالي برهاني . واستهدف ديكارت بناء طريقة متأثرة بالرياضيات لتحليل المشكلات الفلسفية من جهة والوصول بهذ المنهج الى الحقائق اليقينية من جهة اخرى . وما برنامج لينتز في بناء لغة رمزية في الفلسفة ليستعوض بها عن لغة التداول والجدل العقيم الا املاً عظيماً بقي يراود افكار العلماء والفلاسفة في سبيل تحقيقه ، وهو يمثل بحق موقف لينتز من الفلسفة والعلم بصورة عامة .

لم يكن فريجه خارجاً عن هذا الخط التطوري الكبير ، بل كان حلقة كبيرة من حلقاته ، واصبح بالدراسات والنتائج التي حققها من كبار فلاسفته ومثليه . واذا لم يهتم فريجه بدراسة المشكلات التي اعتادها الفلاسفة من قبله مناقشتها ، فانه قدم حلولاً كثيرة بطريقة غير مباشرة لمشكلات فلسفية مستعصية . ان اهتمامه بتحليل اللغة والكشف عن تراكيبها وغموض معان عباراتها قد سلط الضوء على كثير من المشكلات الفلسفية التي ظهرت الى الوجود نتيجة سوء استعمال لقواعد اللغة . كما كان

لاهتمامه بتطوير منهج تحليلي للغة الحياة اليومية والمنطق والرياضيات ،  
الاثـر الكـبـيـر فـي الـاخـذ بـطـرـيـقـة الـتـحـلـيـل الـمنـطـقـي عـلـى اسـاس انـها الطـرـيـقـة  
الـعـلـمـيـة فـي الفـلـسـفـة . اـمـا عـزـوفـه عـن مـنـاقـشة طـبـيـعـة الـاشـيـاء وظـواهـرـها  
واهتمامه من جهة ثانية بعلاقة اللغة بالعالم الخارجي ، فقد كان طبيعياً  
للغاية ، لانه يرى أن يبدأ كما يبدأ العالم من دون ان يزج نفسه بمتناهات  
تعوقه من الوصول الى غايته . واننا نجد هذا الموقف بصورة جلية عند  
لودفيج فيتغنشتاين الذي يرى ان الفلسفة فعالية تحليلية وليست علماً  
من العلوم يجانب العلوم الطبيعية<sup>(1)</sup> .

وساهم فريجه في تطوير نظرية المعرفة العلمية ، وما تحليله لانواع  
القضايا وطبيعتها في المنطق والرياضيات والعلوم التجريبية الا الدليل القاطع  
على اهتمامه بالمعرفة العلمية وعزوفه عن مناقشة المعرفة الساذجة التي يحصل  
عليها الفرد عن طريق الحواس . واذا عُرِفَت القضايا منذ «كانت» بأنها  
قبلية تحليلية Analytic Apriori وقبلية تركيبية Synthetic Apriori  
وبعدية تحليلية Anatytic Aposteriori وبعدية تركيبية Synthetic  
Aposteriori ، فان تحليل فريجه لقضايا علم الحساب واعتبارها قبلية  
تحليلية قد اغلق الباب امام تحليل «كانت» واعتباره القضايا الحسابية قبلية  
تركيبية كما رفض ان تكون قضايا الحساب حقائق استقرائية ، وبذلك  
اغلق الباب كذلك امام جون ستيوارت مل في اعتبار القوانين الطبيعية  
والحسابية حقائق استقرائية .

ولم يصل فريجه الى هذه النتائج من دون ان يكون لديه المنهج العلمي  
الذي يستعين به ، بل اعتمد طريقة التحليل المنطقي للمفاهيم والافكار  
في لغة الحياة اليومية ولغة المنطق والرياضيات ، مبتغياً معرفة القواعد  
الاستنتاجية والقوانين المنطقية اضافة الى معرفة في طبيعة الافكار والمفاهيم

---

(1) Wittgenstein, L., Tractatus Logico-philosophicus 4.111

المستخدمة لبناء نظريته المنطقية العامة . واتخذت طريقة التحليل المنطقي عدة اوجه يكمل بعضها بعضاً ، وكانت اهم هذه الواجه ما يأتي : -  
أ - تحليل لغة التداول والاستفادة من المقومات او الافكار والروابط المنطقية الموجودة فيها ، مع بيان عدم صلاحيتها لان تكون لغة علمية دقيقة

ب - تعريف المفاهيم والافكار المستخدمة في المنطق والرياضيات ووضع القواعد الخاصة بالتعريف .

ج - كشف القوانين والمبادئ الاساسية في الرياضيات ، وبيان كيفية الحصول عليها من الافكار والروابط والعلاقات المنطقية عن طريق تركيبها في صيغ هي اما بديهيات او قوانين استنتاجية .

من المعروف ان لغة التداول ليست الا اداة يستخدمها الانسان لنقل افكاره ومشاعره وعواطفه الى الآخرين مستخدماً بذلك عبارات صوتية او كتابية شرط ان يراعي قواعد معينة لا يجوز اهمالها ، لان في اهمالها خطراً يؤدي الى عدم القدرة على التفاهم ، فيمتنع النقل الفكري بين الناس . فليست لغة التداول مجرد سبل من الاصوات غير المنتظمة ، بل نجدها تخضع لقواعد صوتية وصرفية ونحوية تبين لنا الكيفية التي تشكل بها لغة الحياة اليومية . ومن ناحية اخرى فان بين العبارات والفكر علاقة جوهرية وان بين العبارات والدلالات او الاشياء في العالم الخارجي علاقة تظهر واضحة عندما يحاول الانسان وصف ظاهرة او شيء او حادثة في العالم المادي . ولكن استعمالات اللغة الكثيرة والاستعارة والتشبيه والمجاز فيها قد زاد من تعقيداتها في المعنى ، واتعمقت هذه الفعالية في حقول كثيرة سواء كانت في الحياة اليومية او في الادب ، واصبح للفظه واحدة اكثر من معنى حقيقي ومجازي . وكان من جراء هذه الاستعمالات ان زادت اللغة غموضاً وايهاماً ، واصبحت العبارات غير دقيقة في

التعبير ، بحيث لا يمكن الاعتماد عليها في التعبير عن حقائق الرياضيات والمنطق والعلوم الطبيعية . لذلك نجد ان العلماء في هذه العلوم يحاولون بناء لغات اصطناعية رمزية للتعبير الدقيق وتفادياً للاخطاء التي تنشأ من استعمال لغة التداول . ولكن ذلك لا يعني مطلقاً ان العلوم اهتمت دراسة اللغة ، بل بالعكس ، اذ نشطت دراسات كثيرة لبحث الالوجه المختلفة للغة وكان نصيب المنطق بينها بحث تراكيبيها ومعانيها والاستفادة من المقومات المنطقية فيها . تناول فريجه في مؤلفاته ومقالاته تحليل لغة التداول ، وكانت مقالته «حول المعنى والدلالة» من اكثر المقالات دراسة للغة وصلتها بالمنطق ؛ فقد تناول الاسماء والعبارات والقضايا وهي تمثل بلا شك جزءاً اساسياً في علم المنطق . فاذا اهتمنا دور الشخص المتكلم والانطباعات النفسية التي قد تثيرها اللغة عند استعمالها ، فاننا نميز ثلاثة مستويات تكون اساساً للدراسة المنطقية ، وهذه المستويات هي :-

١- مستوى الرموز والصيغ والتراكيب والاشكال ، وتتجلى في هذا المستوى الناحية الصورية للغة من دون ان يكون للمعنى دور رئيسي فيها .

٢- مستوى المعنى ، وتتجلى في هذا المستوى الناحية الفكرية للغة وارتباط الافكار بالرموز والصيغ والاشكال .

٣- مستوى الدلالة ، وتتجلى فيه الناحية الشبئية او المادية التي تشير اليها العبارات اللغوية المختلفة ، فهي -اي الصفة الشبئية - ليست في اللغة ذاتها ، بل خارجة عنها .

يناقش فريجه الاسماء والعبارات والقضايا على ضوء المستويات الثلاثة ، ويتخذ من مبدأ الذاتية منطلقاً له لتحليل اللغة ، فيتساءل فيما اذا كانت الذاتية علاقة ؟ وهل هي علاقة بين الاشياء Gegenstände ؟

ام أنها علاقة بين الاسماء او بين اشارات لاشياء؟<sup>(1)</sup> . يجب فريجه على هذه الاسئلة من خلال موقف اتخذه في كتابه « اللغة الرمزية Begriffschrift » يتلخص ان الذاتية علاقة بين اشارات لأشياء ويعبر عن هذه العلاقة بالشكل الآتي : ان الإشارة أ والإشارة ب لهما محتوى فكري واحد ، بحيث يمكن وضع أ مكان ب في كل الامكنة وبالعكس<sup>(2)</sup> . يتضح من هذا التحديد ان الذاتية بين الاسماء يمكن ان تتخذ الاشكال الآتية : -

أ = أ . وتكون القضية في هذه الحالة تحليلية لا نحتاج الثبوت من صدقها بالرجوع الى العالم الخارجي ، لان صدقها واضح من تركيبها فقط .

أ = ب هي قضية تحتاج للثبوت من صدقها الى معرفة تجريبية تبين ان دلالة الاسم أ هي دلالة الاسم ب . وهذا امر يميز القضية الاولى أ = أ عن القضية الثانية أ = ب ، فعندما نجد ان الاولى لا تضيف شيئاً جديداً الى خبرتنا ، نجد ان الثانية توسع من خبرتنا باضافة معرفة جديدة ، واذا كانت الاولى قضية تحليلية فان الثانية قضية تركيبية . ولتوضيح هذه المعان يلجأ فريجه الى اعطاء امثلة تبين اختلاف الاولى عن الثانية . ومن هذه الامثلة ما يأتي : -

١- نجم الصباح هو نجم الصباح

٢- نجم الصباح هو نجم المساء

عندما يسمع احدنا القضية الاولى « بان نجم الصباح هو نجم الصباح » يترك على الفور صدقها من دون حاجة الى الثبوت منها بالتجربة ، في

(1) Frege, G., Funktion, Begriff, Bedeutung [Über Sinn und Bedeutung] P. 38

(2) Frege, G., Begriffsschrift P. 15.

حين ان القضية الثانية «نجم الصباح هو نجم المساء» بحاجة الى التجربة للثبوت من صدقها لمعرفة ما اذا كانت الدلالة لنجم الصباح هي الدلالة نفسها لنجم المساء. وفي ذلك نحتاج الى معرفة فلكية ، فاذا ثبت ان الجرم السماوي للاسمين واحد كانت القضية صادقة ، واذا ثبت عكس ذلك كانت القضية كاذبة. وفي حالة القضية الثانية نعرف ان الجرم السماوي واحد ، وهذا يثبت صدقها .

نستنتج من ذلك ان للاسم اضافة الى كونه جزءاً اساسياً في اللغة معنى ودلالة ، وانه اذا ارتبط المعنى بالاسم فليس ضرورة ان يرتبط الاسم بالدلالة ، لانه من الممكن ان نحصل على اسماء لها معنى من دون ان يكون لها دلالة مثال ذلك قولنا «حورية البحر» وهو اسم اذا ما ذكر نفهم معناه ، ولكننا لا نجد في الطبيعة ما يدل عليه : فالاسم باعتباره رمزاً لغوياً له معنى ، وهذا المعنى هو الفكرة Der Gedanke ، واذا كان للاسم دلالة ، فان دلالاته هي الشيء Der Gegenstand الذي يشير اليه الاسم<sup>(1)</sup> .

فالاسم نجم الصباح له معنى يختلف عن المعنى المرتبط بالاسم نجم المساء ، وانه اذا قيل لاحد الناس ان نجم الصباح هو نجم المساء ، فانه يفهم معنى القضية ولكنه لا يستطيع ادراك صدقها او كذبها الا اذا ادرك ان دلالة نجم الصباح هي دلالة نجم المساء ، وبعبارة اخرى ان يكون الشيء الذي يشير اليه الاسم الاول هو الشيء نفسه الذي يشير اليه الاسم الثاني .

يستقل فريجه بالتحليل المنطقي الى دراسة خصائص القضية ، والملاحظ هنا ان فريجه يعتبر القضية مجرد اسم وهو رأي لا اساس له من الصحة ،

(1) Frege, G., Funktion, Begriff, Bedeutung [Über Sinn und Bedeutung] P. 42.

وقد بين فتجنشتاين في مقالة له<sup>(١)</sup> خطأ فريجه في ذلك . ويمكن الخطأ في ان الاسم يشير الى شيء وله معنى ، فهو لا يحتمل الصدق او الكذب ، في حين ان العلامة الفارقة للقضية هي قيمة الصدق على اساس انها اما صادقة او كاذبة . ويظهر ان السبب الاساسي لوقوع فريجه في الخطأ هو اهتمامه الكلي بالمعنى والدلالة واعتبار قيمة الصدق للقضية دلالة وهي شيء تشير اليه القضية كما يشير الاسم الى شيء في العالم الخارجي . يرى فريجه ان اسم العلم ( كلمة ، رمز ، مجموعة رموز مترابطة ، عبارة ) ينطق معناه ويدل او يشير الى دلالة ، خاصة وان دلالة اسم العلم هو الشيء ذاته الذي يختلف عن المعنى بكونه خارجاً عن نطاق المستوى اللغوي . فنحن نعبّر بواسطة الرمز عن معناه ونشير الى دلالة<sup>(٢)</sup> .

استناداً الى هذا التحديد العام يكون للقضية معنى ودلالة اضافة الى كونها تؤلف جزءاً اساسياً في اللغة ، ومعنى القضية هو الفكرة التي تعبر عنها ، اما الدلالة فانها قيمة الصدق « Wehrheitswert » . ولتمييز بين المعنى والدلالة للقضية نتصور اولاً قضية مؤلفة من عدد معين من الكلمات ولتكن « رسل فيلسوف انكليزي » ؛ فهذه قضية تتغير من ناحية المعنى اذا استعضنا عن الاسم « رسل » بالعبارة « مؤلف كتاب مبادئ الرياضيات » ، ونحصل تبعاً لذلك على القضية : « مؤلف كتاب مبادئ الرياضيات فيلسوف انكليزي » . فالقضية الاولى تختلف من ناحية المعنى عن القضية الثانية ، وذلك لان الفكرة في القضيتين مختلفة . فبالنسبة للشخص الذي يعرف رسل تكون القضية الاولى صادقة ، وهذا يعني أن الفكرة مطابقة للدلالة او الشيء . اما بالنسبة للشخص الذي يعرف

---

(1) The Journal of Philosophy [vol. LIV, No. 9: April 24, 1957] P. 232.

(2) Frege, G., Funktion, Begriff, Bedeutung [Über Sinn und Bedeutung] P. 42.

رسل ولكنه لا يعرف انه مؤلف كتاب مبسدىء الرياضيات ، فان الامر مختلف وعنده ان القضية تحتمل الصدق او الكذب . وبعبارة اخرى : ان الفكرة في القضية الاولى تختلف عن الفكرة في القضية الثانية ، وهذا ما جعل الفرد يتردد في معرفة فيما اذا كانت القضية الثانية صادقة او كاذبة بالرغم من ان القضية الثانية لها الدلالة للقضية الاولى .

واذا طبقنا التحليل المنطقي الآنف الذكر على الاسماء والعبارات والقضايا من زاوية الدلالة او الاشياء التي تشير اليها ، فاننا بالامكان ان نحصل على النماذج الآتية : -

ا - اسم له معنى وليس له دلالة ، فهو اسم فارغ

ب - عبارة لها معنى وليس لها دلالة ، فهي عبارة فارغة

ج - قضية لها معنى وليس لها دلالة ، فهي قضية فارغة .

فالاسم « تنين » مثلاً يطلق على حيوان اسطوري ينفخ النار وله عدة رؤوس ، وفي الواقع لا نجد للاسم دلالة حقيقية ، فهو اذن اسم فارغ . والعبارة « رئيس شرطة القمر » لها معنى نفهمه ، ولكن لا نجد دلالة حقيقية تبين وجود شخص على ظهر القمر ، فهي عبارة فارغة . والقضية « الامبراطور الروماني الحالي حاكم مستبد » لها معنى نفهمه من سياق القضية وترتيب اجزائها ، ولكننا لا نجد لها دلالة حقيقية ، لانه لا يوجد امبراطور روماني حالياً ولا يمكن الحكم عليه بانه حاكم مستبد او عادل ، فالقضية على هذا الاساس فارغة .

ان نتائج هذا التحليل مهمة للدراسات المنطقية والفلسفية ، وعلى اساسها نستطيع الحكم فيما اذا كانت عبارة او قضية ما علمية او غير علمية ، لها دلالة حقيقية او فارغة .

ومن جهة اخرى نجد ان التحليل المنطقي عند فريجه استبعد الجانب النفسي او السيكولوجي من دراساته للغة والمنطق ، وغايته في ذلك ان

يبتعد التحليل عن الذاتية ويلتزم الموضوعية ، فلا يهتم بالانطباعات او  
الاتفعالات التي تثيرها الاسماء والعبارات والقضايا ، بل يركز اهتمامه  
على تلك الجوانب التي تخضع للبحث العلمي الموضوعي ، فالفكرة مثلاً  
تمتزج بجوانب تصورية وانفعالية ، ولكن منهج فريجه التحليلي يستبعد  
هذه الجوانب ويهتم بالجانب المنطقي للفكرة<sup>(١)</sup> . واننا لنجد في مؤلفات  
فريجه وخاصة في كتابه «اسس علم الحساب» تحليلاً واضحاً لعلاقة  
علم النفس بالمنطق وتأكيداً دائماً على ضرورة استبعاد جميع الآثار  
النفسية من علم المنطق . وقد لخص فريجه منهجه التحليلي بالنقاط الآتية : -

١- ضرورة فصل الجانب السيكلوجي عن الجانب المنطقي ،  
والجانب الذاتي عن الجانب الموضوعي .

٢- يجب البحث عن دلالة الالفاظ في نطاق القضية وليس  
على افراد .

٣- ضرورة التمييز بين الفكرة Begriff والشيء دائماً<sup>(٢)</sup>

ان القواعد التحليلية الثلاثة مرتبطة بعضها ببعض ، وغاية فريجه  
منها تتلخص في ابراز الجانب المنطقي وتطويره ليكون بعد ذلك الاساس  
القوم للرياضيات ومفاهيمها ، اذ لا يمكن ربط علم الرياضة بعلم  
النفس ، ولا يمكن تطوير علم المنطق اذا كان محصوراً في دائرة علم  
النفس او اذا كانت مفاهيمه ممزجة بتصورات ذاتية . كما أن تأكيد  
فريجه على الجانب الموضوعي والدلالات الحقيقية للالفاظ يقدم لنا الدليل  
على ان الاتجاه الفلسفي عنده تجريبي وواقعي يبتعد عن الذاتية والسيكلوجية .  
فالفكرة ليست ذاتية ، بل موضوعية وان لم يكن لها وجود قائم مثل

(1) Ibid., P. 41-44.

(2) Frege, G., Die Grundlagen der Arithmetik (X)

الاشياء ، لأنها عامة عند الافراد ومرتبطة باللفظ لا تتغير نتيجة الانفعال والتصور الذاتي الفردي . وقد تناول فريجه تحليل الفكرة والشيء واختلافهما في مقالته « حول الفكرة والشيء »<sup>(1)</sup> . فليست الفكرة كالشيء وهي ليست مثل التصور الذاتي ، ولكنها في الوقت نفسه جزء من الافكار التي يتناقلها الانسان من جيل الى آخر ، فهي على هذا الاساس عامة لا تخضع لاعتبارات فردية او ذاتية ؛ فمن الضروري ان نميز بين الشيء والفكرة ولا نخلط بينهما .

### III : اللغة الرمزية

ويتخذ التحليل المنطقي عند فريجه شكلاً آخرًا يكمل به ما بدأ في تحليل اللغة والمنطق وضرورة استبعاد الآثار النفسية المرتبطة بالافكار والمفاهيم المنطقية والرياضية . واذا كانت غاية فريجه ربط الرياضيات بالمنطق ، فمن الضروري ان تكون لديه المعدات المنطقية اللازمة لتحقيق غرضه في ارجاع علم الحساب الى المنطق . وقد تركزت اجاث فريجه المنطقية على تعيين المفاهيم المنطقية ، فتناول في كتابه « اللغة الرمزية » الافكار المنطقية والروابط التي تؤلف الف بناء اللغة المنطقية على اساس انها اوليات النظرية الاستدلالية التي يقوم عليها علم المنطق والحساب ، وهذه الاوليات هي : -

أ - الثابت والمتغير

ب - القضية Das Urteil

ج - الشرطية او الإلزام Die Bedingtheit

د - النفي Die Verneinung

(1) Begriff und Gegenstand.

٨ - الذاتية (المساواة) Die Inhaltsgleichheit

و - الدالة Die Funktion

ز - الكلية Die Allgemeinheit

وبواسطة الالتزام والنفي استطاع فريجه ان يعرف بقية الروابط المنطقية وهي البديل المتصل والبديل المنفصل والعطف والانعطف<sup>(١)</sup>. وهذا معناه ضرورة التمييز بين الافكار المعرفة Defineables والافكار غير المعرفة Undefineables لأنه ليس من المعقول ان نعرف الافكار بافكار اخرى الى مالا نهاية ، فمن الضروري ان تكون لدينا بعض الافكار الواضحة التي لا تحتاج الى تعريف هي اللامعرفات . وقد ادرك فريجه اهمية التعريف في النظرية المنطقية ، ففي الوقت الذي عرف الروابط المنطقية من دون ان يستخدمها نجده في كتابه «اسس علم الحساب» يؤكد على امكانية استخدام التعريف في بناء البرهان<sup>(٢)</sup>.

يميز علماء الرياضيات بين الرموز على اساس انها تقع في فئتين : الفئة الاولى وتضم الحروف الابطدية من دون ان تعين القيمة العددية لها ، وتسمى هذه الحروف عادة بالمتغيرات ونقصد بها الرموز التي ليس لها معنى ثابت . اما الفئة الثانية فتضم العلامات  $\times$  ،  $-$  ،  $1$  ،  $2$  ... التي نعرف معناها وتسمى الثوابت ونقصد بها الرموز التي لها معنى ثابت .

ينظر فريجه الى القضية من الزاوية الرمزية من جهة وفيما اذا كانت مجرد قضية او انها قضية صادقة من جهة اخرى . ولتوضيح هذا الموقف يرمز الى القضية A ويشير الى كونها قضية بالشكل الآتي : -

(١) انظر « نظرية جوتلوب فريجه المنطقية » - الافكار الأولية في المنطق - للدكتور ياسين خليل - مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد - العدد العاشر سنة ١٩٦٧ .

(2) Frege, G., Die Grundlagen der Arithmetik IX.

— A

اما اذا اراد القول ان القضية A صادقة فانه يختار خطأ عمودياً في نهاية الخط الاقي للدلالة على صدق القضية A

└ A

وعلى ضوء هذا التحليل يكون للموضوع والمحمول معان جديدة ، فهو يرى ان ليس للمفهوم القديم للموضوع والمحمول مكان في منطقته<sup>(1)</sup> ، وان المحمول يشترك في جميع القضايا ، فاذا قلنا « مات سقراط محكوماً عليه بشرب السم » فان المحمول حسب نظرة فريجه يكون بالشكل الآتي : — « ان موت سقراط محكوماً عليه بشرب السم » حقيقة ، حيث تشير عبارة « حقيقة » الى المحمول اما القضية « موت سقراط محكوماً عليه بشرب السم » فهي الموضوع . وهكذا نستطيع ان نطلق على كل قضية بقولنا انها حقيقة فتصبح موضوعاً لمحمول هو « حقيقة » .

ترتبط القضايا بروابط منطقية مثل الالزام والعطف والبدل والمساواة ، وتتميز بأنها روابط اثينية تقوم بربط قضيتين . فالالزام باعتباره رابطة اولية غير معرقة في منطق فريجه يتحدد مفهومه بالشكل الآتي : —

B ← A

ان القضية A يلزم عنها القضية B ، بمعنى ان القضية المركبة « B ← A » تكون صادقة في حالة صدق A و B معاً ، وفي حالة كذب A وصدق B وفي حالة كذبهما معاً ، وتكون كاذبة في حالة واحدة هي عند صدق القضية A وكذب القضية B . وبمعنى آخر انه لا يمكن الحصول على نتيجة كاذبة من مقدمة صادقة .

(1) Frege, G., Begriffsschrift P. 2.

وللنفي دوره الرئيس في التعريف ، فهو مع الالتزام يكونان الاساس لتعريف بقية الروابط المنطقية ، وخصيصته المنطقية هي انه يقلب قيمة صدق القضية ، فاذا كانت القضية صادقة اصبحت بفعل النفي كاذبة وبالعكس .

حلل فريجه الذاتية في كتابه « اللغة الرمزية » ثم عاد اليها ثانية في مقالته « حول المعنى والدلالة » ولكن من دون ان يطرأ تغيير جوهري في فهمه لهذه العلاقة المنطقية وناقش مفهوم « الدالة » في بحوث كثيرة ، وكان في كل بحث يضيف تحديداً او صفات جديدة لها . فناقش في بحثه الاول « اللغة الرمزية » هذا المفهوم باعتبار صلته بالقضايا او بتعبير ادق « بدالات القضايا » ، ثم ناقش الدالة في مقال تحت عنوان « الدالة والفكرة »<sup>(١)</sup> ، حيث بين فيه العلاقة الوثيقة بين هذا المفهوم الرياضي والمفهوم المنطقي . وناقش موضوع الدالة في مقالة اخرى تحت عنوان « ما هي الدالة »<sup>(٢)</sup> . واخيراً ناقش فريجه هذا المفهوم واضعاً تحديده النهائي في كتابه الرئيس « القوانين الاساسية لعلم الحساب »<sup>(٣)</sup> .

ولبيان هذا المفهوم نسوق بعض الامثلة : —

١ — الهيدروجين اخف وزناً من غاز الكاربون

٢ — سقراط انسان .

٣ — عاصمة الجمهورية العراقية .

لدينا في المثال الاول قضية تتميز بكونها تحتوي على علاقة هي « اخف من » وحين هما « الهيدروجين » و « غاز الكاربون » . ولكننا نستطيع

(1) Funktion und Begriff.

(2) Was ist eine Funktion?

(3) Grundgesetze der Arithmetik vol. I.

ان ننظر اليهما على اساس انها ذات حد واحد متغير ، فبامكاننا الاستعاضة عن «الهيدروجين» بغاز آخر هو «الوكسجين» ، بينما يبقى الجزء الثاني «اخف من غاز الكاربون» ثابتاً . وعلى هذا الاساس تنقسم القضية الى جزئين : الجزء الثابت والجزء المتغير . ويطلق فريجه اسم الدالة على الجزء الثابت بينما يكون الجزء المتغير حداً لها .

ومن الممكن النظر الى هذه القضية على اساس انها مؤلفة من حدين هما «الهيدروجين» و «غاز الكاربون» ودالتهما وهي «..... اخف من .....» وهذا معناه ان الحدين متغيران و «.... اخف من .....» هي الدالة . اما بالنسبة للمثل الثاني فان بامكاننا الاستعاضة عن الحد «سقراط» باسماء اخرى مثل «افلاطون» و «احمد» و «رسل» وغيرها ، مع بقاء الجزء الآخر «انسان» ثابت . وبذلك يكون الجزء المتغير من القضية هو الحد والجزء الثابت هو الدالة التي لها حد معين . ويصدق التحليل نفسه بالنسبة للمثل الثالث الذي يتألف بدوره من جزئين : الجزء الثابت وهو «عاصمة» والجزء المتغير وهو «الجمهورية العراقية» .

ومن هذا التحليل فصل الى نتيجة هامة هي : اذا ما وجد في عبارة ما رمز بسيط او مركب في مكان واحد او اكثر ، بحيث نستطيع الاستعاضة عنه برمز او رموز اخرى ، فان الجزء غير المتغير في العبارة يسمى «دالة» ، في حين يسمى الجزء المتغير «حدها» . كما يظهر من التحليل المتقدم ان الدالة وحدها في جميع الحالات ناقصة وغير تامة ، وان الحد يشكل جزءاً متكاملًا معها<sup>(1)</sup> . ويرى فريجه مثل هذا الرأي في الجزء الاول من كتابه «القوانين الاساسية لعلم الحساب» ، حيث يقول : ان جوهر الدالة يقع في الجزء من العبارة ، وان الدالة ناقصة

---

(1) Frege, G., Funktion, Begriff, Bedeutung P. 19-20.

وبحاجة الى ما يكملها<sup>(1)</sup>. وقد يكون للدالة حد واحد او اكثر تتحول الى قضية في حالة اقران اشياء بالحدود وصفات او علاقات بالدالة. وترتبط الكلية بالدالة، لان الكلية دالة فيها ثابت منطقي يدل على الكل، ولهذا الثابت الدور المهم في منطق الدالات، وان فريجه يعرف بواسطته والنفي الثابت المنطقي الآخر الذي يدل على الجزئية ويعبر عنه منطقياً بالعبرة «واحد على الاقل». وهذا يدل على ان الكلية عند فريجه اساسية في تعريف الجزئية وانهما يكونان جوهر منطق الدالات.

لم يتوقف فريجه عند بناء اللغة الرمزية في بحثه الاول، بل بقي يسعى الى تطوير مفاهيم منطقية جديدة في مقالاته وابحاثه. ووقف امام سؤال فلسفي مهم يحاول الاجابة عليه هو «ما هو العدد؟» مستعيناً بافكار منطقية بحتة ومن دون ان ترتبط فلسفته بميتافيزيقا او حلول سيكولوجية. ان البحث في العدد وامكانية تعريفه وارجاع علم الحساب الى المنطق خلق جواً جديداً لا عهد للفلاسفة وعلماء الرياضيات به من قبل، فاذا وقف الفيلسوف يحجب عن السؤال تعثرت اجابته بسبب المعرفة الرياضية، واذا صادف عالم الرياضيات هذا السؤال اعتقد ان ذلك من اختصاص الفلسفة ولا علاقة له بالرياضيات، ولكن الحقيقة هي ان البحث لفكرة العدد هو واجب الرياضيات والفلسفة على السواء<sup>(2)</sup>. لكن الفلسفة التي يفهمها فريجه لا علاقة لها بالميتافيزيقا، لانها البحث في الأسس واستجلاء الافكار الاولية او الاساسية للمفاهيم الرياضية، وان المنطق هو العلم المؤهل لأداء المهمة. وفي سبيل البحث في اسس العدد يجب اولاً تطوير او ابراز تلك الافكار المنطقية التي تساعد فريجه في تحقيق غايته. وفي تحليله للعدد تبرز اهمية التمييز بين الفكرة والشيء

(1) Frege, G., Grundgesetze der Arithmetik P. 5

(2) Frege, G., Die Grundlagen der Arithmetik V.

الذي يقع تحتها ، فاذا قلنا على سبيل المثال «عاصمة الجمهورية العراقية» فاننا امام فكرة يقع تحتها شيء واحد هو «بغداد» ، وفي مجال الاعداد نستطيع ان نضع تعريفاً للعدد على هذا المنوال ونسوق على سبيل التوضيح العدد صفر .

نفترض ان المفهوم  $F$  ينتمي اليه العدد صفر « ٠ » او يقع تحته ، فما هي الخصيصة التي يجب توفرها في  $F$  لكي يكون الصفر واقعاً تحته ؟ لا شك ان يكون المفهوم خالياً من اي شيء ، وهذا معناه ان العدد « ٠ » ينتمي الى مفهوم  $F$  اذا لم يقع شيء ما تحت المفهوم  $F$  . ولكن هذا التعريف لم يقدم شيئاً علما انه استخدم مكان «الصفر» لفظة نافية في الحد المعرف ، لذلك يجب وضع تعريف آخر اكثر دقة . ولكن سرعان ما يطرأ على الذهن السؤال الآتي : - هل العدد في رأي فريجه مجرد شيء او صفة ؟ ونجد الاجابة واضحة بان لا يمكن للعدد ان يكون شيئاً مستقلاً او صفة يمكن ادراكها لشيء خارجي ، لان العدد غير مدرك حسياً وليس صفة لشيء خارجي <sup>(١)</sup> . ولا ثبات صدق هذا القول تأخذ العدد صفر على سبيل المثال ، فهو لا يمكن ان يكون صفة محسوسة لشيء خارجي ، كما لا يمكن ان يكون له وجود محسوس في العالم الخارجي . فاذا قلنا ان للارض تابعا واحداً هو القمر ، فاننا نقرن العدد واحد بشيء محسوس هو القمر ، ولكننا لا يمكن ان نجد اي شيء للعدد صفر . فالعدد في رأي فريجه ليس صفة مثل اللون والصلابة وغيرها من الصفات التي يجردها الذهن من الاشياء ، وهو ليس بالشيء الطبيعي القائم في العالم الخارجي ، كما انه ليس ذاتياً او تصوراً <sup>(٢)</sup> . اذن ما هو العدد ؟

ان تصور فريجه للعدد وعلم الحساب بصورة عامة ينبع من نظريته

(1) Ibid., P. 70.

(2) Ibid., P. 58.

التحليلية التي تستهدف إيجاد العناصر المنطقية المكونة للعدد وعلم الحساب ، ومعنى ذلك أن العدد مفهوم منطقي ليس غير . وفي سبيل اثبات منطقية العدد يطور فريجه بعض المفاهيم الأساسية لتكون أساساً لتعريف العدد . وعلى الرغم من أن التعريف السابق لا يخدم الغرض ، إلا أن احتوائه على مفهوم منطقي هو « ينتمي إلى المفهوم  $F$  أو يقع تحت المفهوم  $F$  » يقدم لنا العون للوصول إلى تعريف العدد . ومن المفاهيم المنطقية الأخرى التي استعان بها في التعريف : —

أ — ما صدق المفهوم *Umfang des Begriffes* أو الفئة

ب — المساواة العددية *Gleichzähligkeit*

توصل فريجه إلى مفهوم « ما صدق المفهوم » من تحليله لمفاهيم في علم الهندسة المتعلقة بالذاتية ، بحيث أصبحت الصياغة المنطقية للمساواة العددية معتمدة على ما صدق المفهوم ، فنقول : « أن المفهوم  $F$  يساوي عددياً المفهوم  $G$  » رغبة منا في الإيجاز . ولا شك أن المساواة العددية بين مفهومين تعني وجود علاقة واحد بواحد بين أفراد ما صدق الفكرة الأولى والثانية<sup>(1)</sup> . وقد استخدم فريجه هذا التعريف للمساواة العددية في تعريفه للعدد .

ويعرف فريجه المساواة العددية بالشكل الآتي : « يقال أن مفهومين (أو فئتين) متساويان عددياً ، إذا كانت بين الأشياء التي تقع تحت المفهوم (أو الفئة)  $F$  لها علاقة واحد بواحد مع الأشياء التي تقع تحت المفهوم (أو الفئة)  $G$  »<sup>(2)</sup> .

ويعرف فريجه بعد تعريفه للمساواة العددية العدد بالشكل الآتي : —

(1) Ibid., P. 79.

(2) Ibid., P. 79, 85.

« ان العدد الذي ينتمي الى المفهوم ( الفئة )  $F$  هو ما صدق المفهوم « يساوي عددياً المفهوم  $F$  »<sup>(1)</sup> ويقصد بالتعبير « يساوي عددياً المفهوم  $F$  » ما يأتي : — إذا كانت لدينا الفئة  $F$  والفئة  $G$  — فانهما تكونان متساويتين عددياً في الماصدق ، اذا كان العدد الذي ينتمي إلى  $F$  مساوياً للعدد الذي ينتمي إلى  $G$  . وبممكننا توسيع هذا الشرط بتطبيقه على جميع الافكار : ان جميع الفئات التي تساوي  $F$  هي مساوية لـ  $G$  وعلى هذا الاساس يمكن تعريف العدد كذلك بالشكل الآتي : — ان العدد لفئة  $F$  هو فئة جميع الفئات المساوية لـ  $F$  .

ان استعمال فريجه للفئة له اهمية كبيرة في اخضاع علم الحساب الى المنطق ، خاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار نظرية جورج كانتور  $G. Cantor$  في الفئات والاعداد اللامتناهية . وبالفعل نجد فريجه بعد تعريفه للعدد والبرهان على بعض قضايا علم الحساب المهمة استناداً الى التعريفات ينتقل الى مناقشة نظرية كانتور في الاعداد اللامتناهية . ان الغاية التي ابتغها فريجه هي اخضاع افكار وقضايا علم الحساب الى افكار وقضايا منطقية ، فهو يعرف الصفر مثلاً بأنه العدد الذي ينتمي إلى المفهوم « ليس مساوياً لذاته »<sup>(2)</sup> ، ويعرف الواحد « ١ » بأنه عدد ينتمي إلى المفهوم « مساوياً ٠ »<sup>(3)</sup> وبذلك يكون باستطاعتنا القول أن العدد ١ يتبع الصفر مباشرة في ترتيب الاعداد الطبيعية .

نستنتج من التعريفات المتقدمة ان العدد فئة ، وان المساواة العددية بين عددين مثلاً تكون في حالة وجود علاقة واحد بواحد بين الاشياء التي تقع في الفئة الاولى والاشياء التي تقع في الفئة الثانية . وان الصفر عدد

(1) Ibid., P. 79-80.

(2) Ibid., P. 87.

(3) Ibid., P. 90.

ينتمي اليه المفهوم « لا يساوي ذاته » ، وبعبارة اخرى ان الصفر عدد ينتمي اليه مفهوم لا يقع تحته شيء . ويبرهن فريجه مستعيناً بهذه التعريفات على بعض القضايا الاساسية لعلم الحساب ، ومن هذه القضايا ما يأتي : —  
 اذا كانت أ تتبع . في سلسلة الاعداد الطبيعية ، فان  $أ = ١$  .  
 اذا كان ١ عدداً ينتمي الى الفئة F ، وكان الشيء أ واقعاً تحت الفئة F وكذلك الشيء ب واقعاً تحت الفئة ، فان  $أ = ب$  .

\* \* \*

ان عملية التعريف اساسية في الدراسات العلمية باعتبارها تمثل طريقة منطقية في تحديد المفاهيم التي يستخدمها الباحث ، ولكن للتعريف حدود لا يستطيع تجاوزها . فلا يمكن ان نعرّف كل شيء ، بل انه ليس من الضروري ان نعرّف جميع المفاهيم ، ففي المنطق والرياضيات مفاهيم كثيرة ، ولكننا نفترض بعض هذه المفاهيم على اساس انها لا معرفّات نقوم بواسطتها بتعريف المفاهيم الاخرى . واذا كانت غاية فريجه ارجاع علم الحساب الى المنطق عن طريق تعريف المفاهيم الحسابية الاساسية بواسطة مفاهيم منطقية ، فان بين هذه المفاهيم المنطقية ما لا يمكن تعريفه . واذا سلمنا جدلاً بتعريف جميع المفاهيم ، فانا سنضطر الى استخدام مفاهيم اخرى تحتاج هي بدورها الى تعريفات وهكذا من دون ان نصل الى نقطة ابتداء ، فلا بد اذاً من التسليم بعدد من المفاهيم غير المعرّقة . وقد تزداد هذه المفاهيم او تنقص تبعاً لحاجة الباحث واجتهاده ، ولكن يحرص المناطقة على ان يكون عدد المفاهيم غير المعرّقة اقل ما يمكن ، شرط ان يكون بمقدورنا تعريف جميع المفاهيم الاخرى بواسطتها .

من ذلك نجد ان للتعريف في النظرية المنطقية عند فريجه اهمية جوهرية ، لانه لا يقصد من وراء التعريف اعطاء معنى قاموسي للمفهوم ،

بل يشترط ان يكون للتعريف دوره المنطقي في النظرية والبرهان <sup>(١)</sup> .  
ونظراً للاهمية التي يراها فريجه في التعريف ، فانه لا بد من وضع شروط  
اساسية تجعل التعريف بعيداً عن الاخطاء التي لو حصلت فقد تؤدي  
بالنظرية المنطقية الى التناقض ، لذلك يتناول فريجه التعريف كعملية  
منطقية ومنهجية بالبحث واضعاً له الشروط التي يجب توفرها فيه ، وقد  
ناقش مبادئ التعريف في الجزء الاول من كتابه «القوانين الاساسية  
لعلم الحساب» <sup>(٢)</sup> وفي الجزء الثاني من الكتاب نفسه <sup>(٣)</sup> ، واهم ما جاء  
في الجزئين من مبادئ هي : -

١- يجب ان يكون لكل اسم في التعريف معنى ، فالاسم الذي نريد  
تعريفه والذي نطلق عليه عبارة «الاسم المعرف» يجب ان  
يكون الحد المعرف له حاوياً على اسماء معروفة المعنى ، بحيث  
نستطيع بعد التعريف فهم الحد المعرف .

٢- لا يمكن تعريف الرمز او الاسم مرتين او اكثر بتعريفات  
مختلفة ، لان ذلك من شأنه ان يثير الازباك والغموض ، فاذا  
ما عرف رمز ما فان عليه ان يحتفظ بهذا التعريف اينما وجد  
في مكان آخر . اما اذا كان الامر غير ذلك بان يعرف الرمز  
بتعريف يخدم مسألة معينة ويُسْتبدل التعريف في مكان آخر لكي  
يطابق الوضع الجديد ، فان للرمز عندئذ عدة معان مختلفة ،  
وهذا امر غير جائز في التعريف .

٣- يجب ان يكون الاسم المعرف بسيطاً فلا يحتوي على رموز ثانوية  
او معروفة او توضيحية ، لان تركيب هذه الرموز يسبب

(1) Frege, G., Die Grundlagen der Arithmetik IX.

(2) Frege, G., Grundgesetze der Arithmetik Vol. I. P. 51.

(3) Ibid., Vol. 2. P. 69.

الأرباك والغموض ، لذلك لا بد أن يقتصر الاسم المعرف على الرموز التي لا بد أن تعرف وأن تعريفها ضرورة منطقية .

٤- يجب أن يكون الاسم المعرف مساوياً في الدلالة والقيمة للاسم المعرف ، بحيث نستطيع الاستعاضة عن الاسم المعرف بالاسم المعرف أينما نجده في العمليات المنطقية

٥- لا يجوز ذكر الاسم المعرف أو جزء منه في الحد المعرف لأن مثل هذا التعريف يقودنا إلى حلقة مفرغة ، لذلك من الضروري أن لا يذكر الحد المعرف في الحد المعرف .

أن الغاية من التعريف كما يراها فريجة وعلماء المنطق تكمن في تحديد المعنى للرمز بشكل تام ، بحيث لا توجد أية ثغرة فيه قد تؤدي إلى الغموض والأرباك ، فلا يمكن أن يوجد شيء يبقى في غموض بعد تعريفه ، لأن التعريف عملية تحديد دقيقة لمعنى الرمز . لقد استطاع فريجة إلى جانب تحقيق هذه المبادئ في التعريف ، أن يستخدم التعريفات في نظريته المنطقية ، وأن يحولها إلى صيغ رمزية تمثل جزءاً لا يتجزأ من اللغة الرمزية التي طورها في القوانين الأساسية لعلم الحساب . أن نظرية فاحصة لهذا الكتاب تطلعننا على حقائق هامة يمكن تلخيصها على النحو الآتي : -

١- إيجاد لغة رمزية دقيقة التعبير استخدمها فريجة في التعبير عن

النتائج التحليلية التي توصل إليها من خلال ممارسته للبرهان الرياضي وتحليله الدقيق للمفاهيم . وهذا معناه : -

أ - تقديم نظرية منطقية في الاستنباط والاشتقاق تكون أساساً لكل عملية برهانية في المنطق والرياضيات .

ب - تعريف المفاهيم الرياضية بمفاهيم منطقية تحقيقاً لبرنامجها في إرجاع الرياضيات إلى المنطق .

٢- وضع منهج عام للدراسات المنطقية والرياضية على السواء يشترط فيه الرمزية والدقة في التعبير وتكامل السلسلة الاستنتاجية من دون حاجة الى استخدام شروحات جانبية تُفسد عملية البرهان الرمزية البحتة ، وهذا معناه : -

أ - ضرورة التمييز بين البديهيات والمبرهنات ، والاخذ بالطريقة البديهية في المنطق والرياضيات ، وهي الطريقة التي بدأ بها اقليدس في الهندسة .

ب - استبعاد الشروحات الجانبية في عملية البرهان والاكتفاء بالصيغ الرمزية وقدرتها على الانتقال من خطوة الى اخرى تلزم عنها بمساعدة القوانين الاستنتاجية .

ان المنطق الرياضي مدين لفرجه في وضع منهج متكامل الجوانب في كيفية بناء اللغة الرمزية والاصول التي تقوم عليها ، وقد كانت ابحاثه المنطقية منذ ان نشر كتابه « Begriffsschrift » تشير الى قدرته الكبيرة في بناء المنطق والنظرية المنطقية ، وانا نتيبن ببساطة معالم طريقته في بناء اللغة الرمزية في الخطوات الآتية : -

١- تعيين واضح للافكار الاولى وتمييز ثابت بين اللامعرفات والمعرفات من الافكار . فقد جاء في بحثه الاول « اللغة الرمزية » انه ناقش الافكار الآتية : -

المتفسيرات والثوابت ، القضية ، الشرطية ، البدل المتصل والمنفصل ، العطف ، النفي ، الذاتية ، الدالة والكلية . وبين بطريقته الرمزية الجديدة القدرة على تعريف البدل والعطف وروابط منطقية اخرى بواسطة النفي والشرطية فقط ، وتعريف الجزئية بواسطة الكلية والنفي .

٢- تعيين واضح للبديهيات ، وقد وردت في بحثه « اللغة الرمزية » تسع متوزعة على النحو الآتي : -

ثلاث بديهيات تستخدم الشرطية او الالتزام فقط  
ثلاث بديهيات تستخدم الشرطية والنفي  
بديهيتان متصلان بالذاتية  
بديهية تتصل بالكلية .

٣- تعيين للقوانين الاستنتاجية ، واستخدم فريجه قانون الشرط المنطقي المعروف Modus Ponens ، وقانون التعويض .

٤- اعطاء بعض القضايا المهمة والبرهنة عليها ، وذلك لبيان فعالية اللغة الرمزية وقدرتها على البرهان .

لقد اصبحت هذه الطريقة في بناء اللغة المنطقية احد الاسس الرئيسة في المنطق الرياضي ، كما استخدمها فريجه من جديد وعلى نطاق اوسع في كتابه الرئيس القوانين الاساسية لعلم الحساب ، بعد ان اجرى بعض التعديلات والاضافات الجديدة فيما يخص الدالات ، وذلك لسبب مهم هو ان فريجه يضم في بحثه حصيلة دراساته وابحاثه التي نشرها بعد « اللغة الرمزية » والتي احتوت تغيرات جوهرية في الدالة مع تطوير لبعض المفاهيم اضافة الى تعريف العدد واخضاع نظرية الاعداد الطبيعية الى المنطق . فكان على فريجه مهمة تنظيم هذه النتائج في نظام استدلالي يستخدم الرمزية التي طورها في اللغة الرمزية والمفاهيم المنطقية الجديدة التي عرف بواسطتها العدد والمفاهيم الحسابية الاخرى ، ويكون بذلك قد حقق غايته في ارجاع علم الحساب الى المنطق .

لقد حقق فريجه الى جانب ما انجزه في الرياضيات والمنطق تلك الشروط التي كانت نصب اعين علماء الرياضيات دائماً في بناء منهج علمي متين يعتمد الرمزية والدقة ، فقد اشترط ان يكون البرهان كاملاً

من حيث استخدامه للصيغ والرموز من دون حاجة الى استخدام لغة الحياة اليومية في البرهان . واشترط ان تكون القضايا في العملية البرهانية متتابعة يلزم بعضها عن البعض الآخر ، فاذا كانت البديهيات صادقة بالضرورة ، فان كل قضية تلزم عن البديهيات او المبرهنات التي سبق البرهان عليها تكون صادقة ، اذ لا يمكن اشتقاق قضية كاذبة من مقدمات صادقة . واشترط كذلك ان يكون الانتقال من قضية الى اخرى خاضعاً لقوانين استنتاجية ومن دون ان نفترض انها قائمة على الرغم من عدم ذكرها ، اذ لا بد من ذكرها وذكر الدور المنطقي الذي تقوم به ، واشترط ان يكون البرهان دقيقاً بحيث لا يترك شيئاً ضرورياً يدخل في العملية الاستدلالية الا ودخل فيها ، فلا يمكن الانتقال من قضية الى اخرى دون ذكر القانون الذي يتم بموجبه الانتقال<sup>(١)</sup> .

واخيراً لا بد من كلمة نقولها بصدد هذا الفيلسوف الكبير الذي يعد بصدق مؤسس المنطق الرياضي والفلسفة الرياضية من جهة ورائداً من رواد الفلسفة التحليلية التي سادت فلسفة القرن العشرين . ولا تزال أبحاثه محل دراسة الباحثين ، لا سيما ان اثرها في برتراند رسل كان عظيماً ، فهي التي وجهته الى الطريق الذي يجب ان يسلكه في اشتقاق الرياضيات من المنطق . وعلى الرغم من اكتشاف رسل التناقض في نظام فريجه وهو التناقض الذي يتصل « بفترة جميع الفئات التي ليست اعضاء بذاتها ، فاذا كانت هذه الفئة عضواً في ذاتها ، فانها ليست عضواً في ذاتها ، واذا لم تكن عضواً في ذاتها ، فانها عضو في ذاتها » ، فان القيمة العلمية لنظريات فريجه المنطقية تكمن في النقاط الآتية : -

١- تطوير المنطق والنظرية المنطقية ، بحيث اصبح علم المنطق

---

(١) انظر « نظرية جوتلوب فريجه المنطقية » - الطريقة في المنطق - لدكتور ياسين خليل في مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد سنة ١٩٦٦ .

أكثر فعالية في الدراسات الرياضية والعلمية بصورة عامة .  
فقد فتح باباً أمام إيجاد أنواع أخرى من المنطق في القرن  
العشرين .

٢- بيان الصلة بين المنطق والرياضيات وإمكانية اشتقاق علم  
الحساب من قاعدة منطقية ، وتحويل البرهان الرياضي  
إلى مجرد خطوات منطقية استدلالية .

٣- المساهمة الفعالة في تطوير منهج العلوم الرياضية والمنطقية ،  
وذلك بإيجاد طريقة رمزية دقيقة تتجلى فيها البرهانية والاشتقاقية  
من دون الاستعانة بالشروح الجانبية والإيضاحات التي لا مبرر  
لها . وبذلك يكون قد قام بتطوير منهج أقليدس الهندسي في  
البدسيات والبرهان إلى أبعد حدوده .

٤- بيان إمكانية تحقيق حلم أو برنامج لينتز الفلسفي في الاستعاضة  
عن لغة الحياة اليومية بلغة فلسفية تعتمد الرمزية ليستطيع  
الفلاسفة التعبير عن الحقائق بدقة من دون الدخول في متاهات  
وجدال لا فائدة منه . وأن فريجه بعمله هذا يكون رائداً للرياضة  
الفلسفية .

٥- تثبيت طريقة التحليل المنطقي وفعاليتها في توضيح التراكيب  
المنطقية والرياضية وإزالة الغموض والالتباس وتعريف الأفكار  
والمفاهيم بطريقة محددة . وقد أصبحت هذه الطريقة في فلسفة  
القرن العشرين هي الطريقة العلمية في الفلسفة .



## الفصل الثاني

### برتراند رسل

Bertrand Russell

يعتبر رسل رائداً لفلسفة التحليل وشيخاً للفلسفة المعاصرة لما قدمه للفكر الفلسفي والعلمي في القرن العشرين من انجازات ونظريات وآراء كان لها اكبر الأثر في توجيه تيارات فلسفية ومنطقية اجتاحت أوروبا والعالم الغربي بصورة عامة . فلم يكن بالفيلسوف الذي يخلق متأملاً في الفضاء باحثاً عن الحقيقة وراء حجب الغيب ، بل كان الفيلسوف العالم الذي جمع بين دقة العالم في فحص الحقائق ورعاية افق الفيلسوف الذي يتخذ من حقائق العلم اساساً لبناء النظرة الفلسفية . وقد اكتسب هذه الخصائص بفضل تربيته البيتية والجامعية والتبع العلمي والفلسفي ، على الرغم من فقدته والدته وهو في الثانية من عمره وفقد والده وهو في الثالثة ، فقد حرصت جدته على القيام بشؤون تعليمه ، فكانت ذات اثر كبير في توجيهه . وعندما بلغ رسل الثانية عشرة من عمره اهدت اليه جدته « الكتاب المقدس » وقد سجلت على الورقة التالية لغلافه بعض الآيات التي تركت اثراً قوياً في نفسه ، على الرغم من عدم اعتقاده بالمسيحية .

بدأ رسل دراسة كتاب « الاصول » لافليدس وهو لم يزل في عامه الحادي عشر ، فولد فيه نشوة علمية وجمالية كبيرة ، وهو امر يدل على ميل رسل نحو الرياضيات وحبه للطريقة الاستنتاجية فيها . وعندما بلغ سن الثامنة عشرة ذهب الى كمبردج ، وكان الفريد نورث وايتهد استاذ الرياضيات فيها وهو الذي اختبر رسل في امتحان الدخول . والتقى رسل بعدد من الطلبة الذين اصبحوا فيما بعد اصدقاء له ، وكانت تجمعهم المناقشات الجدلية في امور عامة ومتفرقة تناولت الشعر والفلسفة والسياسة والاخلاق وشتى نواحي الحياة الفكرية . وكان من بين اصدقاء رسل « ماكتاجارت » الفيلسوف الهيجلي المعروف الذي أثر ولاشك في رسل خلال هذه المرحلة من تطوره الفكري ، اذ جعله شديد الايمان بهيجل بعيداً عن الاتجاه التجريبي التقليدي الذي ساد انكليترا من قبل . ولم يجد رسل الوقت الكافي للدراسة فلاسفة آخرين امثال « كانت Kant » الا في السنة الرابعة بعد ان قضى ثلاث سنوات في دراسة الرياضيات .

انصرف رسل الى دراسة الفلسفة والرياضيات وقد ساعده على هذا التفرغ ما كان له من المال إذ لم يكن بحاجة الى عمل يكسب قوته منه . وقد بدأ بالابتعاد عن الفلسفة الهيجلية عندما قرأ كتاب هيجل « المنطق الاكبر » حيث وجد فيه كلاماً فارغاً ومشوشاً يكتشفه الغموض والابهام فيما يتصل بالرياضيات . وكان عام ١٩٠٠ من الاعوام الحاسمة في تطوره الفكري ، حيث التقى بعدد من المفكرين اثناء زيارته للمؤتمر الدولي للفلسفة الذي انعقد في باريس ، وكان الاستاذ بيانو G. Peano حاضراً المؤتمر وشارك في مناقشاته وقد اعجب رسل بدقة طريقة بيانو ومعالجته لقضايا الرياضيات والمنطق ، فطلب منه ان يطلعه على مؤلفاته .

بدأ رسل في التفكير بارجاع الرياضيات الى المنطق وايجاد صلة وثيقة بين مفاهيم الرياضيات ومفاهيم المنطق ، وقد تمت محاولته باصدار كتابه المعروف « مبادئ الرياضيات » الذي خطط فيه برنامجه العام في تحقيق ارجاع

الرياضيات الى المنطق . وكان اطلاعه على مؤلفات جوتلوب فريجه المنطقية خير دافع له في الوصول ببرنامجه الى غاياته ، وساعده في ذلك وايتهيد في تحليل موضوعات لها صلة بعلم الحساب والاعداد الطبيعية وارجاع علم الحساب والرياضيات بصورة عامة الى افكار واصول منطقية . وهكذا ظهر نتيجة لهذا التعاون بين رسل ووايتهيد كتابهما الشهير « اصول الرياضيات » الذي يقع في ثلاثة اجزاء .

كتب رسل في شتى الموضوعات تناولت الفلسفة والمنطق والسياسة والاقتصاد والاجتماع والرياضيات والفيزياء وغيرها ، بحيث يمكن القول انه من ابرز فلاسفة القرن العشرين عامة ، لما قام به من انجازات علمية ضخمة . ولا نريد ان نبين أثر رسل في شتى التيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية والعلمية بالتفصيل ، بل نقتصر على ذكر آثاره في الفلسفة المعاصرة وما أحدثته فلسفته في التيار التحليلي والمنطقي والاپستمولوجي من تغييرات جوهرية .

١ - كانت ابحاثه في فلسفة الرياضيات فاتحة عهد جديد لتطورات ضخمة في المنطق الرياضي وفي تطوير انظمة منطقية مختلفة . ولم يكن تأثيره في النتائج التي حصل عليها فحسب ، بل في الطريقة الرمزية الدقيقة التي استخدمها في التعبير عن حقائق المنطق والرياضيات ، وهي الطريقة التي جددت حيوية الفلسفة في امكانية تحقيق حلم ليبنتز وبرنامجه في بناء لغة رمزية عامة للتعبير عن جميع الحقائق . كما اظهرت الطريقة الرمزية غموض اللغة الطبيعية واختلاف تراكيب القضايا على الرغم من اتفاق بعض اجزائها في اللفظ ، وهذا امر له دلالة كبيرة في الدراسات الفلسفية والانظمة الفلسفية التي تستخدم هذه اللغة ، فكثيراً ما تظهر القضايا الفلسفية وكأنها تتحدث عن وقائع ، ولكن التحليل المنطقي يثبت انها قضايا مضللة ناتجة عن اخطاء في قواعد المنطق واللغة .

٢- انعكست طريقته الرياضية في دقة التعبير على الناحية الفلسفية ، وكانت جميع مؤلفاته تبين بشكل واضح أثر الرياضيات والمنطق حتى أصبح التحليل عند رسل يمثل الجانب الأكبر في فلسفته . وكان مهتماً بتطوير طريقة علمية للفلسفة يستطيع الفيلسوف بواسطتها الوصول الى نتائج علمية ذات فائدة ، وكانت طريقة التحليل المنطقي للغة هي الطريقة التي طبقها رسل على مجالات كثيرة في الفلسفة والرياضيات والفيزياء وعلم النفس . واصبح لهذه الطريقة تأثير كبير في جميع الدراسات التحليلية المعاصرة ، وكانت جماعة فيينا في برنامجها العام وابحاثها متأثرة بطريقة التحليل المنطقي لرسل وسعت الى تطويرها وتوسيع مداها لتصل الى الهدف الذي وضعت امامها وهو وحدة العلوم . ويمكننا القول ان الفلسفة التحليلية لرسل قد خطت طريقاً جديدة للفلسفة لا تزال الكثير من المدارس الفلسفية سائرة فيه .

٣- وكان أثر رسل في الفلسفة ( نظرية المعرفة ) كبيراً فهو أحد مؤسسي مذهب الواقعية الجديدة « Neo. Realism » ومذهب النظرية المنطقية Logical Atomism ، فقد تناول بالتحليل بعض المشكلات الفلسفية الرئيسية في كتابه « مشكلات الفلسفة »<sup>(١)</sup> و « معرفتنا للعالم الخارجي »<sup>(٢)</sup> وحدد موقفه من المذهب المثالي ومن العالم الخارجي ليصل الى تقسيم المعرفة الى مباشرة ومعرفة بالوصف ويبين طبيعة المعرفة ومنابعها الحسية والعقلية . ولم يقتصر على بحث هذه المشكلات ، بل تناول في كتابه « معرفتنا للعالم الخارجي » مشكلات لها صلة بالعلوم مثل الاستمرارية واللانهاية

(1) Russell, B. The Problems of Philosophy [1912].

(2) Russell, B., Our Knowledge of the external World [1914].

وصلة عالم الفيزياء بعالم الحس . واننا نجد الفلسفة المعاصرة تناقش تلك الموضوعات التي بدأها رسل والتي جمعت بين الفلسفة والعلم من جهة وغيّرت اتجاه الفلسفة عامة من جهة اخرى . وكان من تأثير الذرية المنطقية انها كانت مدرسة التحليل المعترف بها قبل ظهور الوضعية المنطقية التي استفادت من ابحاث رسل التحليلية ووضعت لنفسها اتجاهها الفلسفي المنطقي والتجريبي .

## I - تطور فلسفته

ان اهم ما تمتاز به فلسفة رسل انها غير منغلقة على نفسها في اطار عقائدي او فكري محدود وثابت ، بل انها فلسفة منفتحة تتأثر بالاحداث والنظريات العلمية والفلسفية فتأخذ منها وتزيد عليها الكثير ، وبذلك تنمّي المعرفة الفلسفية وتفتح لها أبواباً جديدة في الموضوع والطريقة معاً ، وهي في عملها وفعاليتها الدائبة تعكس في الوقت ذاته طريقة رسل وتفكيره في معالجة المشكلات المختلفة على ضوء حصيلة علمية استمدتها من الرياضيات والمنطق والعلوم الطبيعية . وامتازت فلسفة رسل بكونها اقرب الى الموضوعية في البحث ، وهذه ميزة لم نجدها عند كثير من الفلاسفة ، اللهم الا من كان فيلسوفاً وعالمًا او عالماً فيلسوفاً ، فلم يلتزم رسل بالدفاع عن وجهة نظر واحدة ، ولم يهاجم الفلسفات الاخرى بالجدل العقيم والحجج الكلامية ، بل كان يغيّر وجهة نظره اذا اقتنع علمياً وتحليلياً انها غير قادرة على تقديم نتائج مفيدة للعلم والحياة ، بل اننا نجده يعدل عن فلسفة او نظرية كاملة في سبيل الوصول الى نظرية فلسفية اكثر عمقاً وملائمة . ان هذه الخصيصة هي في جانب رسل وليست ضده كما يحلو للبعض ان يتخذها حجة ، لان الفيلسوف العالم لا يمكن ان يتغلق على نظرية فلسفية واحدة الا اذا كانت لديه مبررات علمية ، فاذا كان العلم في تطور مستمر وكانت بين الفلسفة والعلم علاقة وثيقة ، فان

التغيرات العلمية لا بد ان تؤثر في وجهة نظر الفيلسوف العالم فتغير من آرائه وفلسفته . والقرن العشرون هو من اكثر القرون تعرضاً لتبدلات وتحولات علمية كبيرة سواء كانت هذه التحولات في النظريات الفيزيائية والرياضية والاجتماعية ام كانت في مناهج البحث . لقد عكس رسل هذه التحولات في أطر فلسفية كثيرة منذ ان بدأ الكتابة في الفلسفة في أوائل القرن العشرين حتى الآن ، فهو يمثل الفلسفة المعاصرة خير تمثيل اضافة الى كونه شيخ الفلاسفة في هذا القرن .

اما مصادر فلسفته فيمكننا استعراضها بالشكل الآتي :-

١ - تأثر بالفلسفة المثالية لكانت وهيغل ، ثم رفض هذه الفلسفة ، فشأت عنده نزعة مناهضة للميتافيزيقا . واتجه صوب الفلسفة التجريبية الانجليزية ، الا انه لم يأخذ بها كما هي ، بل استعان بطريقة التحليل المنطقي في سبيل فحص حججها ، فرفض حجة بيركلي المثالية وبيّن السبب الرئيسي في وقوع بيركلي في الخطأ الذي أدى الى المثالية<sup>(١)</sup> .

٢ - تأثر بالطريقة الرمزية التي استحدثها بيانو وتلاميذه في المنطق والرياضة فدرس الانجازات المنطقية والرياضية للمدرسة الايطالية . ثم نضجت عنده فكرة مؤداها ان الرياضيات منطق متطور وانه بالامكان اشتقاق الرياضيات من مفاهيم واصول منطقية . وقد ثابر رسل على تحقيق هذا البرنامج الذي اصبح فيما بعد من اهم الانجازات العلمية في القرن العشرين . ولا يمكن ان ننسى الاثر الكبير الذي تركه جوتلوب فريجه في فلسفة رسل المنطقية والرياضية ، خاصة اذا عرفنا ان فريجه هو اول من برهن بطريقة رمزية خاصة على ان

---

(1) Russell, B., The Problems of Philosophy Ch. IV.

الرياضيات تعود الى المنطق وان النظرية الاستدلالية Theory of Deduction جزء من المنطق ، وان المفاهيم الرياضية تعرف بمفاهيم منطقية . لقد استفاد رسل من كتابات فريجه المنطقية في مؤلفه الرئيس « اصول الرياضيات » الذي اشترك في تأليفه الفريد نورث وايتهيد .

٣- تأثر رسل بمقالات فريجه التحليلية في « المعنى والدلالة » وفي « الفكرة والشيء » وغيرها اضافة الى استفادته من كتب فريجه الاخرى وما احتوته من تحليلات عميقة للغة وعلاقتها بالافكار والأشياء وقد احتوت هذه المقالات والكتب على طريقة دقيقة في التحليل المنطقي للافكار والمفاهيم اضافة الى دقة التمييز التي امتلكها فريجه في التفريق بين ما هو منطقي وغير منطقي . لذلك نستطيع القول ان رسل مدين لفريجه بالطريقة التحليلية ، وهي الطريقة التي أصبحت بعد ذلك الطريقة العلمية في الفلسفة .

٤- استمد رسل الخطوط الرئيسة لنظريته في الذرية المنطقية من تلميذه وزميله لودفيج فيتجنشتاين ، وقد ظهر هذا التأثير بوضوح في المحاضرات التي القاها تحت عنوان « فلسفة الذرية المنطقية »<sup>(١)</sup> ، والتي حاول فيها تحليل علاقة اللغة بعالم الوقائع ، وهي العلاقة التي كرس فيتجنشتاين جزءاً كبيراً من فلسفته لدراستها . وكانت محاولة رسل في هذا الاتجاه الفكري قائمة على بناء نظرية معرفة تحليلية مستعينة بالافكار المنطقية والطريقة المنطقية في التحليل . وعلى الرغم من مشاركة فيتجنشتاين في هذه الفلسفة ، الا اننا نلمس بعض الاختلافات بينهما الى جانب اتفاق الكثير من وجهات النظر بينهما ،

---

(1) Russell, B. The Philosophy of Logical Atomism [1919].

بحيث يمكننا القول ان رسل وفتجنشتاين معاً صاحبا نظرية الذرية المنطقية .

٥- تأثر رسل بالتائج الفلسفية للنظرية التسمية والتائج العلمية لاتجاه واطسون في علم النفس ، فكان ذلك دافعاً اساسياً لوضع اتجاه فلسفي جديد يبين اسسه في كتابه « تحليل العقل »<sup>(١)</sup> ، حيث اقترح نظرية « الهيولى المحايدة » لتفسير الظواهر النفسية والطبيعية . فاذا كان علم الطبيعة الحديث يتعد عن المادية ، وكان علم النفس الحديث يتعد عن الاستبطان الذاتي نحو المادية والموضوعية ، فان التفكير الفلسفي لرسل يفترض « الهيولى المحايدة » التي تتميز بأنها ليست مادية وليست روحية أو نفسية بل هي الجلد الاعلى لهذه الظواهر التي تصدر عنها .

٦- وعندما اخذت جماعة فيينا بطرح مذهبها الفلسفي المتمثل في رفض الميتافيزيقا والعمل على وحدة العلوم مع اتخاذ التحليل المنطقي للرموز والمعنى والدلالة ، بدأ رسل في معالجة المشكلات ذاتها ولكن من وجهة نظر مختلفة . ولا ننكر هنا أثر رسل في جماعة فيينا ، فهو الملهم لهم في تحليل الرياضيات والمنطق وفي اتخاذ التحليل المنطقي كطريقة علمية جديدة لحل المشكلات المعروفة في نظرية المعرفة وحل المتناقضات المعروفة في المنطق والرياضيات .

واستخدم رسل في كتابه « بحث في المعنى والصدق »<sup>(٢)</sup> طريقة الوضعية المنطقية في مناقشة اللغة وتركيبها والأسس الایستمولوجية في المعرفة ، ولكنه حصل على نتائج تختلف عن تلك التي توصل اليها اعضاء وجماعة فيينا .

---

(1) Russell, B., The Analysis of Mind [1921].

(2) Russell, B. An Inquiry into Meaning and Truth [ 1940 ]

اضافة الى ما تقدم فان كتابات رسل الاخرى في الدين والسياسة والأخلاق والاجتماع غزيرة بالمعرفة التي استمدتها من فلاسفة آخرين واضاف اليها الكثير . وسنقوم باستعراض تطور فلسفته على ضوء النقاط الآتية الذكر والكتب التي تؤيدها وتشير اليها بجلاء تام .

ناقش رسل في كتابه « مبادئ الرياضيات » اللامعرفات أو المفاهيم الاولى في الرياضيات فحدد الرياضيات البحتة بأنها فئة من قضايا لا تحتوي ثوابت غير الثوابت المنطقية . وهذا يدل ان الثوابت الرياضية تتحدد بالثوابت او الافكار المنطقية ، وان تعريف الرياضيات بهذه الصورة يبين العلاقة الوثيقة بين الرياضيات والمنطق . ولكي يبرهن على ان الرياضيات مشتقة من المنطق بدأ رسل بتحديد مجالات المنطق الرمزي ، وهي المجالات التي تضم حساب القضايا *Calculus of Propositions* ، وحساب دالات القضايا *Calculus of Propositional Functions* ، وحساب الفئات *Classes* ، وحساب العلاقات *Calculus of Relations* ، وكان هدفه من ذلك تطوير الجهاز المنطقي لاشتقاق الرياضيات من المنطق . وقد ناقش رسل مفهوم « العدد » في سبيل تعريفه مستعيناً بالفئات وبعض العلاقات المنطقية ، وبذلك يكون قد وضع فلسفته الرياضية في اختبار لاشتقاق نظرية الاعداد الطبيعية التي تؤلف جوهر علم الحساب من المنطق . ولم يكتب رسل بذلك ، بل حلل الكمية والترتيب واللانهاية والمكان وما يتعلق بالميكانيك . ولقد اكتشف رسل عندما قدم كتابه للطبع ان عالماً رياضياً هو جوتلوب فريجه قد سبقه في هذه المحاولة وان له مؤلفات منطقية تبين امكانية اشتقاق علم الحساب من المنطق ، فحدا هذا برسل ان يكتب ملحقاً للكتاب استعرض فيه النظريات المنطقية والفلسفية لفريجه .

ان لكتاب رسل « مبادئ الرياضيات » اهمية تاريخية فقط ، لأن معظم

ما ورد فيه من افكار ونظريات قد اعيد صياغته وعُدِّلت نظرياته في كتاب « اصول الرياضيات »<sup>(١)</sup> الذي اشترك في تأليفه الفريد نورث وايتهيد ، وصدر في ثلاثة اجزاء متعاقبة ، وهو الكتاب الذي يعتبر بحق اكبر انجاز منطقي ورياضي في القرن العشرين لما احتواه على طريقة رمزية دقيقة واستدلالية منطقية ونظريات غايتها ارجاع الرياضيات البحتة الى مفاهيم واصول منطقية .

ان الاتجاه المنطقي الذي كان اساس تفكير رسل في ارجاع الرياضيات الى المنطق ، اصبح اساساً لدراسات فلسفية عديدة ، بحيث يمكننا القول ان فلسفة رسل منطقية في قواعدها وفلسفية في اتجاهاتها . وقد ظهر هذا التأثير بوضوح في كتابه « مشكلات الفلسفة » الذي عرض فيه بعض المشكلات الفلسفية المتعلقة بالمظهر والحقيقة وطبيعة المادة والمذهب المثالي والمعرفة المباشرة والمعرفة بالوصف الى جانب الاستقراء والكماليات وغيرها . واتصف الكتاب بأنه يمثل بداية تطور جديد للمذهب الواقعية ، فهو من جهة يرفض المذهب المثالي المتمثل في فلسفة بيركلي ، ومطوراً نظريته في الحقائق الحسية Sense-data من جهة اخرى . ولكنه في الوقت ذاته يقع في ميتافيزيقا عندما يؤكد وجود الكماليات Universals في مناقشة فلسفية لنظرية افلاطون في المثل وعلاقة اللغة بالكماليات . واتجه رسل وجهة اخرى تبتعد عن نظرية الكماليات بعد ان ادرك ان طريقة التحليل المنطقي للغة هي الطريقة العلمية في الفلسفة وانما وحدها تساعدنا على حل الكثير من المشكلات الفلسفية ، فكان كتابه الفلسفي الآخر « معرفتنا للعالم الخارجي » اول عرض لهذه الطريقة ، حيث ناقش فيه اهمية المنطق بالنسبة للفلسفة ، ومعرفتنا للعالم الخارجي والعلاقة بين عالم الحس وعالم الفيزياء ونظرية الاستمرارية واللاهية وغيرها . وقد اظهر رسل في هذا الكتاب البدايات الاولى لفلسفته الجديدة المعروفة بالذرية

---

(1) Russell, B., & Whitehead, A.N., Principia Mathematica [Vol. 1-111, 1910-1913].

المنطقية ، فقد اهتم بالتحليل وبالحقائق الحسية واهمية حل المشكلات الفلسفية بالطريقة الجديدة ، وفضل منطق العلاقات في الحل .

تأثر رسل بآراء فتنجشتاين في تحليل اللغة وعلاقتها بعالم الوقائع عندما كان الاخير تلميذاً وزميلاً لرسل ، وهكذا بدأت فلسفة رسل التحليلية تسير في طريقها الواقعي متأثرة بآراء فتنجشتاين حتى اختمرت في « فلسفة الذرية المنطقية » . ففي بداية سنة ١٩١٨ القى رسل عدة محاضرات في موضوعات فلسفية ومنطقية ناقش فيها الوقائع « Facts » والقضايا ، وتقييم القضايا الى بسيطة او ذرية Atomic Propositions ومركبة او جزيئية Molecular Propositions والقضايا العامة والعبارات الوصفية ونظرية الانماط المنطقية والميتافيزيقا .

وكما اثرت الرياضيات والمنطق في تحديد اتجاهات رسل الفلسفية ، فان التطور الكبير الذي رافق علم الفيزياء كان هو الآخر عاملاً هاماً في تحديد اتجاهات جديدة في فلسفته . واذا كان تصور العلم في القرن التاسع عشر ميكانيكياً ، فان النظرية النسبية والكمية قد بدلت هذه النظرة جذرياً ، كما ساعدت علم المناهج على تطوير طرق جديدة في البحث العلمي . تناول رسل علاقة هذه النظريات العلمية بالفلسفة في كتابه « تحليل المادة »<sup>(١)</sup> ، حيث ناقش فيه التحليل المنطقي لعلم الطبيعة متناولاً النظريات التي سبقت النسبية ثم تناول نظرية الكم والنسبية الخاصة والعامة وغيرها من الموضوعات العلمية الجديدة . ثم قام بتطوير نظريته في الحقائق الحسية بربطها بعلم الطبيعة ومناهج البحث وذلك على اساس ان الحقائق الحسية هي اول الطريق نحو بناء النظريات . وكان من تأثير النظريات الفيزيائية الحديثة انها قدمت لنا حلولاً لمشكلة الزمان والمكان ، وهي المشكلة التي شغلت الفلاسفة منذ زمن بعيد ، فحاول رسل الاستفادة من النظريات فلسفياً لرسم صورة للعالم الطبيعي

---

(1) Russell, B., The Analysis of Matter [1927].

مستعيناً بطريقته في التحليل المنطقي .

وعندما بدأت جماعة فينا بالتبشير بالمبادئ الفلسفية الجديدة وهي رفض الميتافيزيقا ومناقشة الأسس العلمية للعلوم ووحدة العلم ، وذلك عن طريق تحليل اللغة الفلسفية والعلمية ، وهو الطريق الذي بدأه فريجه ورسل وقتجشتاين وجد رسل نفسه امام تيار فلسفي جديد يتفق معه في نقاط كثيرة ويختلف معه في نقاط اخرى ، فكان كتابه « بحث في المعنى والصدق » خير مُعَبِّر عن اتجاهه في معالجة المسائل التي طرحتها جماعة فينا للبحث ، اذ ناقش فيه الكلمة والجمل واجزاء الكلام والالفاظ المنطقية والمقدمات والقضايا الاساسية والستاكس وغيرها ، وتوصل الى حلول ونتائج لا تتفق في تحليلها مع ما توصلت اليه جماعة فينا .

يظهر لنا مما تقدم ان فلسفة رسل قد استفادت من التطورات العلمية من اجل بناء فلسفة علمية ، وقد حققت هذه الفلسفة كثيراً من الانجازات في حقل الطريقة او مناهج البحث وفي حقل وحدة العلوم وفي الاستفادة من المنطق في تحليل المعرفة العلمية وبناء نظرية معرفة تستمد مقوماتها من العلوم وتعتمد في البناء على الطريقة المنطقية .

\* \* \*

## II : الفلسفة والرياضيات

يمثل المنطق في فلسفة رسل الاساس الذي تقوم عليه تحليلاته للرياضيات والمشكلات الفلسفية ، ولا نقصد هنا بالمنطق ما هو متعارف عليه عند الفلاسفة ، بل ذلك العلم المتطور الذي له علاقة بالرياضيات . واذا كان المنطق جزءاً هاماً في الفلسفة ، فان صلة الفلسفة بالرياضيات تصبح وطيدة ، ويكون للتعبير « فلسفة رياضية » دلالة علمية تتحدد بنوع العلاقة بين الفلسفة والرياضيات . وقد استخدم رسل هذا التعبير في كتاب له تحت عنوان « مقدمة في الفلسفة

الرياضية»<sup>(١)</sup>، حيث ناقش فيه نظرية الاعداد الطبيعية وتعريف العدد والعلاقات والنهاية والاستمرارية وغير ذلك من المفاهيم الرياضية . وكانت محاولاته منصبية على اثبات ان الرياضيات منطق متطور . وانه بالامكان ارجاع المفاهيم الرياضية الى اخرى منطقية . ولكي نتفهم علاقة الفلسفة بالرياضيات من الضروري ان نحدد دور الفلسفة والحقل الذي له صلة بعلم الرياضة ، اذ لا يعقل ان تكون بين مفاهيم الفلسفة الميتافيزيقية اية علاقة بالرياضيات ، كما لا يعقل ان تكون بين مفاهيم علم الاخلاق او علم الجمال اية علاقة بالعلم البرهاني . ان المقصود بالفلسفة هنا ما يأتي : —

١ — الفلسفة باعتبارها طريقة في التحليل المنطقي .

٢ — الفلسفة باعتبارها علم المنطق .

بالنسبة للنقطة الاولى نجد ان رسل قد طور طريقة فلسفية جديدة بدأها جوتلوب فريجه في تحليل مفاهيم الرياضيات لمعرفة الأسس التي تقوم عليها النظرية الرياضية ، وامكانية اخضاع بعض المفاهيم الى اخرى لنصل الى المفاهيم الاولى . ولا يتوقف التحليل المنطقي عند هذا الحد ، بل يقوم بتحليل المفاهيم وعلاقاتها بعضها ببعض ، وهذا يستدعي تحليلاً للبناء الذي تستخدمه الرياضيات والعلاقات الضرورية بين الرموز وعلاقة الصيغ الرياضية بعضها ببعض . اصف الى ذلك ان طريقة التحليل المنطقي تشترط تحديد المفاهيم وتعريفها بالدقة التامة ، وهذا امر بالغ الاهمية لما له من علاقة بنظرية التعريف المنطقية من جهة وفائدة كبيرة في المعرفة الرياضية من جهة اخرى . وعلى هذا الاساس تكون طريقة التحليل المنطقي ذات وظيفة علمية تلخص في تعريف المفاهيم ومعرفة العلاقات والرموز الاولى واستجلاء التراكيب الرياضية وطريقة علاقة الرموز والعلاقات في الصيغ الرياضية المختلفة وتحليل النظرية الرياضية بصورة عامة .

(1) Russell, B., Introduction to mathematical Philosophy [1919]

اما بالنسبة للنقطة الثانية فان المنطق يمثل اهم جزء في الفلسفة وهو صاحب العلاقة بالرياضيات ، ولأجل توضيح ذلك ، فان علينا تحديد المقصود بالمنطق . المنطق علم استدلاي يهتم بتحليل القضايا والبرهان ، وهو علم استدلاي بمعنى ان جوهره يقوم على الاستنباط من مقدمات هي اما بديهيات او مبرهنات ( قضايا سبق البرهان عليها ) ، وهذا امر يستدعي التحليل والبرهان . فلأجل اثبات ان قضية ما صحيحة ، فان علينا تقديم برهان لها بمعنى ان تكون مشتقة من بديهيات او مبرهنات بمساعدة قوانين استنتاجية .

بالاضافة الى ما تقدم فان للمنطق كعلم مفاهيم منطقية خاصة سنأتي على ذكر ما يلزم منها للبحث ، ومن هذه المفاهيم تتكون القضايا التي تنقسم بدورها الى بديهيات ومبرهنات ، فنقوم بالبرهان على كل قضية تنتمي الى النظام بواسطة البديهيات وقوانين الاستنتاج ، وذلك باتباع طريقة برهانية تنتقل بواسطتها من قضية الى اخرى لازمة عنها او مشتقة منها حتى ننتهي الى استنتاج القضية التي نريد البرهان على صحتها .

اذا استطعنا الآن ايجاد علاقة بين مفاهيم الرياضيات والمنطق بتطبيق طريقة التحليل المنطقي ، فاننا نكون قد اثبتنا وجود رباط بين الفلسفة والرياضيات . وبالفعل فان دراسات فريجه ورسل كانت منصبة على تعريف المفاهيم الرياضية بمفاهيم منطقية ، وبعبارة اخرى : ارجاع المفاهيم الرياضية الى مفاهيم منطقية . كما ان التحليل المنطقي للبرهان يثبت هو الآخر ان الاشتقاق الرياضي يقوم على طريقة المنطق في الاشتقاق والقوانين المنطقية . فاذا استطعنا ابراز النظرية الاشتقاقية او الاستدلالية المنطقية كاملة ، فان البرهان الرياضي يتحول الى برهان منطقي ، وتصبح الرياضيات من حيث المفاهيم والبرهان منطقية . وبذلك يمكن القول ان الرياضيات تمثل منطقاً متطوراً ، وان المنطق هو العمق الفكري والقاعدة الاساسية للرياضيات . وهكذا تصبح العلاقة وثيقة بين الفلسفة والرياضة ويكون للعبارة « الفلسفة الرياضية » معناها الواضح . ويظهر الارتباط الوثيق بين المنطق والرياضيات

في تعريف رسل للرياضيات البحتة بقوله « الرياضيات البحتة هي فئة جميع القضايا ذات الشكل « ق تستلزم ل » حيث تكون ق و ل قضايا تحتوي على متغير واحد او اكثر كما تكون المتغيرات نفسها في القضيتين ، ولا تحتوي ق و ل اي ثوابت ما عدا الثوابت المنطقية . والثوابت المنطقية كلها افكار يمكن تعريفها بواسطة الحدود الآتية : الالزام ، علاقة الحد بفئة هو عضو فيها ، وفكرة بحيث « Such that » وفكرة العلاقة وغير هذه الافكار التي تكون متضمنة في الفكرة العامة للقضايا التي لها الصورة ( او الشكل ) المذكورة (١) .

يبين تعريف رسل للرياضيات البحتة انه يرجع الثوابت الى منطقية فقط ، وهذا يدل على ان اساس الرياضيات منطق ، وانه لمن الصعب التمييز بين الحدود التي تفصل الرياضيات عن المنطق ، لانهما في اعتقاد رسل شيء واحد . فالمقدمة الرياضية تتألف من ثوابت رياضية ومتغيرات ، وان هذه الثوابت تعود بالتالي الى ثوابت منطقية ، وبذلك تصبح المقدمة الرياضية محتوية على ثوابت منطقية فقط ، وتتحول الرياضيات الى منطق . وقد يبدو هذا القرار غريباً لأول وهلة ، خاصة عند اولئك الذين يعتقدون ان الرياضيات معقدة ومتفرعة ، وانه من الصعب ارجاعها الى المنطق . وفي سبيل ازالة هذا الاستغراب من الطريق نرى ان نفترض بداية للرياضيات تسير منها نحو التعقيد وبناء النظريات المختلفة . واول ما يلفت الانتباه هو الاعداد البسيطة والعمليات الاربع من جمع وطرح وضرب وقسمة باعتبارها اوليات الرياضيات . اما الاعداد الكسرية فانها تمثل خطوة في التعقيد تليها الاعداد الحقيقية والمركبة وهكذا ، كما نبدأ بالجمع والضرب وننتهي بالتفاضل والتكامل ، وهكذا تنعقد الرياضيات في طريقها البنائي . ولكننا لو قمنا بتحليل الاعداد البسيطة لمعرفة المفاهيم التي تستند اليها ، فانا سنجد ان البداية التي تعقدت منها الرياضيات ترجع

(1) Russell, B., The Principles of Mathematics P. 3.

الى قاعدة منطقية بسيطة ، بحيث اننا نستطيع تعريف مكونات علم الحساب الاولى بمفاهيم منطقية ابسط منها . وعندئذ اذا بدأنا عملية الارجاع او الرد من اعقد النظريات الى الابطسط منها ، ثم الى الابطسط ، فاننا سنصل في نهاية الامر الى القاعدة المنطقية التي لا تعود الى قاعدة ابسط منها . ولجل بيان نظرية رسل المنطقية من الضروري ان نتعرف على معاني المفاهيم التي يستخدمها في المنطق ، لانها تؤلف الاساس المنطقي لنظريته . فمن المعروف منذ ايام ارسطو ان المنطق يهتم بالاشكال وان الاستدلال المنطقي المعروف بالقياس يعتمد كلياً على الشكل دون المعنى . وقد استخدم ارسطو بالفعل رموزاً او حروفاً للتعبير عن القياس وضروبه المنطقية . وفي منطق ارسطو نميز بين المتغيرات والثوابت المنطقية ، كما نميز في الرياضيات بين الاجزاء المتغيرة والاجزاء الثابتة . ونميز في منطق رسل كذلك بين المتغيرات والثوابت ، ولكنه استخدم لفظ « المتغير » بمعنى اوسع من استعماله في الرياضيات . ففي الرياضيات نستخدم المتغير على اساس كونه رمزاً يشير الى عدد او كمية غير معينة ، بينما نقصد بالمتغير في المنطق الرياضي اي رمز يكون معناه غير معين ، وان عملية تثبيت معان له هي بمثابة اعطاء قيم ، لان المعاني هي قيم المتغير ، وان هذه القيم ليست ثابتة او محدودة ، بل انها تؤلف مجموعة اشياء او قضايا او فئات او دالات او علاقات .

يميز رسل في المتغيرات نوعين : متغير محدود ومتغير غير محدود . ويختلف النوع الاول عن الثاني في قدرة استيعاب القيم . فالاول لا يشمل الا على قيم محدودة ، بينما يستطيع الثاني استيعاب قيم غير محدودة . اما الثوابت فانها تتميز عن المتغيرات في كونها غير متغيرة القيمة ، وانها ذات معنى او قيمة معينة لا تتغير . والثوابت او الروابط المنطقية التي يستخدمها رسل في منطق القضايا هي النفي والبدل والعطف والالزام والمساواة . فاذا افترضنا ان الرمز  $A$  يشير الى قضية صادقة فان نفي القضية التي يعبر عنها بالشكل  $A -$  تكون كاذبة وبالعكس . واذا افترضنا  $A$  و  $B$  قضايا فان البدل

الذي يعبر « بالقضية A او القضية B » يكون شكلة «  $A \vee B$  ». اما العطف فيمكن التعبير عنه « بالقضية A والقضية B » ويكون شكله المنطقي «  $A \wedge B$  ». ويكون الشكل المنطقي للالزام «  $A \rightarrow B$  » ومعناه « اذا A فان B ». ويكون الشكل المنطقي للمساواة «  $A \longleftrightarrow B$  » ومعناه ان « A هي B »<sup>(1)</sup>. ان القضايا A و B هي قضايا بسيطة ، وان هذه الرموز البسيطة مع الروابط المنطقية تكون رموزاً معقدة او قضايا مركبة ، وان صدق القضايا المركبة يعتمد على صدق او كذب القضايا المكونة لها . فاذا كانت لدينا القضايا المركبة الآتية : -

$$A \vee B, \quad A \wedge B, \quad A \rightarrow B, \quad A \longleftrightarrow B$$

فان صدق هذه القضايا يعتمد على صدق او كذب القضايا A ، B من جهة ، والوظيفة المنطقية التي يؤديها الثابت المنطقي من جهة اخرى . فالقضية  $A \vee B$  تكون صادقة في حالة صدق القضايا المكونة لها او في حالة كذب احدهما ، وتكون كاذبة في حالة واحدة عند كذب القضيتين معاً . اما القضية  $A \wedge B$  فانها تكون صادقة في حالة واحدة وذلك عند صدق القضايا المكونة لها ، وتكون كاذبة في حالة كذب احدهما او كليهما . وتكون القضية الالزامية  $A \rightarrow B$  صادقة في حالة صدق الاولى والثانية ، وفي حالة كذب الاولى وصدق الثانية ، وفي حالة كذب الاثنين معاً ، وتكون كاذبة في حالة واحدة عند صدق القضية الاولى A وكذب القضية الثانية B التي تلزم عنها . اما القضية المركبة  $A \longleftrightarrow B$  ، فانها تكون صادقة في حالة صدق الاثنين او كذبهما معاً ، وتكون كاذبة في حالة كذب احدهما وصدق الاخرى .

---

(1) ان الرموز المستعملة هنا ليست الرموز التي اختارها رسل ، فان لديه طريقة رمزية خاصة ، ولكننا آثرنا استعمال هذه الطريقة لاعتبارات تتعلق بالطبع ولكي نضمن وحدة الطريقة في الترميز في هذا البحث ، مع العلم ان ليس بين الطريقتين اختلاف في الجوهر ، خاصة اذا علمنا ان لكل باحث ومدرسة حق اختيار الطريقة الرمزية التي يستطيع بواسطتها التعبير عن الحقائق الرياضية والمنطقية .

ان هذه الثوابت المنطقية ليست مستقلة الواحدة عن الاخرى ، بل يمكن تعريف بعضها بالبعض الآخر . ولقد وجدنا في منطق فريجه في القضايا انه اختار النفي والالزام كأفكار غير معرفة ، عرف بواسطتها بقية الروابط المنطقية . وهنا نأتي على اختلاف بين منطق فريجه ومنطق رسل ، وذلك بأن اختار رسل النفي والبدل أفكاراً غير معرفة ، عرف بواسطتها بقية الروابط المنطقية . ومن الضروري ان نشير هنا الى ان مسألة اختيار الافكار غير المعرفة تعتمد على الطريقة التي يتبعها عالم المنطق ، وليست هناك مفاضلة في الاختيار . وسوف نجد انه من الممكن ان نختار رابطة واحدة نعرف بواسطتها بقية الروابط . وبناءً على ما تقدم نميز الآن بين الافكار او الرموز غير المعرفة في حساب رسل المنطقي وهي النفي والبدل ، وبين الافكار او الرموز المعرفة وهي ما تبقى من الرموز مثل الالزام والعطف والمساواة التي يمكن تعريفها بالطريقة الآتية : —

$$1) \quad A \rightarrow B = Df \quad \neg A \vee B$$

$$2) \quad A \wedge B = Df \quad \neg (\neg A \vee \neg B)$$

$$3) \quad A \longleftrightarrow B = Df \quad (A \rightarrow B) \wedge (B \rightarrow A) \quad (1)$$

وبعد تعريف الروابط المنطقية بواسطة النفي والبدل ينتقل رسل الى اختيار بديهيات منطق القضايا التي تتألف من ست بديهيات يستخدم فيها البدل والالزام كروابط ، بينما يحصل على بقية الروابط عن طريق التعريفات المتقدمة . وبديهيات منطق القضايا هي <sup>(2)</sup> : —

١ — اي شيء يلزم عن مقدمة صادقة يكون صادقاً

$$2) \quad (A \vee A) \rightarrow A$$

$$3) \quad (B \rightarrow (A \vee B))$$

$$4) \quad (A \vee B) \rightarrow (B \vee A)$$

$$5) \quad (A \vee (B \vee C)) \rightarrow (B \vee (A \vee C))$$

$$6) \quad (B \rightarrow C) \rightarrow (A \vee B \rightarrow A \vee C)$$

(1) Principia Mathematica vol. I, P. 12

(2) Ibid, P. 13.

لقد استخدم رسل بعض القوانين الاستنتاجية المهمة في منطق القضايا والتي يكون بموجبها الانتقال من قضية الى اخرى ضرورياً ليتم البرهان والاستدلال . ولقوانين الاستنتاج اهمية كبيرة لأنها تقوم بربط القضايا فيما بينها في النظام ، فنشتق من قضية او مجموعة قضايا قضية معينة جديدة . والقوانين الاستنتاجية التي اختارها رسل هي : -

١- قانون التعويض Rule of Substitution الذي ينص على انه يمكن الاستعاضة عن متغير قضية بقضية اخرى شرط ان يكون هذا التعويض حاصلًا في جميع الامكنة التي يوجد فيها متغير القضية ، وان تكون القضية الاخرى نفسها في جميع الامكنة التي تحل فيها .

٢- قانون الشرط المنطقي Modus Ponens الذي ينص على انه يمكن الحصول على الصيغة الجديدة B من صيغتين هما A و  $A \rightarrow B$  .  
وبعبارة اخرى : اذا كانت  $A \rightarrow B$  صادقة وكانت A ، فاننا نستنتج منها B .

ومن الافكار الاولى غير المعرفة التي يستخدمها رسل في منطق الرياضيات ، وبصورة خاصة في حساب دالات القضية هي الكلية . وفي سبيل توضيح هذه الفكرة المنطقية علينا اولاً معرفة ما المقصود من عبارة دالة قضية Propositional Function . تعرف القضية عادة بأنها عبارة لغوية مفيدة تحمل الصدق او الكذب ، اما دالة القضية فانها صيغة لا يمكن الحكم عليها بالصدق او بالكذب ، وذلك لوجود متغير واحد او اكثر لم تحدد قيمته بعد . واذا ما اعطيت قيم للمتغير او للمتغيرات ، فان هذه الصيغة تتحول بعد ذلك الى قضية تحمل الصدق او الكذب . فدالة القضية بناءً على ذلك تكون صيغة او عبارة فيها متغير واحد على الاقل ، من الممكن ان تصبح قضية في حالة تعيين قيمة او قيم لمتغيراتها . فالعبارة « أ انسان » هي دالة قضية استناداً الى التعريف

وتصبح قضية عندما نعين قيمة للمتغير « أ » مثال ذلك « سقراط انسان » .  
ان دالة القضية تعتمد اذاً على عدم تعيين قيم لمتغيراتها . ولدالات القضايا اهمية  
كبيرة في المنطق ، لانها الاساس في اشتقاق مفاهيم الرياضيات ، فالدالات  
الرياضية بأنواعها مشتقة من دالة القضية .

فاذا كانت لدينا دالة قضية مثل  $Hx$  ، فان جميع القيم التي تحول هذه  
الدالة الى قضية تؤلف مجموعة او فئة ، واذا كانت لدينا مجموعة نهائية او غير  
نهائية تحقق الدالة ، فاننا نقول : « جميع  $x$  اذا كانت  $x$  لها صفة  $H$  » . ويعبر  
عنها بالصيغة الآتية  $Hx (x)$  ونسمي هذا التعميم بالكلية وهو سور من اسوار  
القضايا . ومن الافكار الرئيسة في هذا المنطق المتغير الظاهر *Apparent*  
*variable* او المتغير المقيد *Bound variable* في اصطلاح بعض المناطق ،  
والمتغير الحقيقي *Real variable* او المتغير الحر *Free variable* .  
ولاجل توضيح معان هذه المتغيرات ، فان علينا ان نعرف سلوكها في الصيغ  
المنطقية . فالصيغة  $Hx (x)$  فيها متغير  $x$  ولكنه يختلف عن المتغير  $x$  في الصيغة  
 $Hx$  ، ففي الحالة الاولى نجد ان  $x$  يرتبط بسور من اسوار القضايا بينما يبقى  
المتغير  $x$  في الحالة الثانية غير مرتبط بسور قضية . وبناءً على ذلك يكون المتغير  
المرتبط بسور القضية متغيراً ظاهراً او مقيداً ، بينما يكون المتغير غير المرتبط  
بسور قضية متغيراً حقيقياً او حراً . ويظهر المتغير المقيد في دالة قضية فيها  
سور جزئي يعبر عنه بالرمز  $(\exists x)$  ومعناه « يوجد واحد على الاقل » مثال  
ذلك الصيغة الآتية  $Hx (\exists x)$  . ونستطيع تعريف سور القضية هذا بواسطة  
سور القضية الكلي والنفي بالطريقة الآتية : —

$$(\exists x) Hx = Df \quad \neg [ (x) \neg Hx ]$$

ومعناها : « توجد قيمة واحدة على الاقل لـ  $x$  تجعل  $Hx$  صادقة وهذه  
العبارة تساوي في التعريف قولنا « ليست كل القيم التي تحقق  $x$  ليست  $H$  » .  
ومن القوانين او الافكار الاساسية الاخرى في منطق رسل « الذاتية *Identity* »  
التي يعرفها مستعيناً بالدالات .

$$x = y = \text{Df } (H) [ H x \rightarrow H y ]$$

ومعناها : تكون  $x$  هي  $y$  اذا كانت جميع الصفات المتوفرة في  $x$  متوفرة في  $y$  كذلك . ان الذي يظهر من تعريف الذاتية هو ان الكلية فيها من مستوى جديد ، وذلك لان الكلية هنا هي كلية محمولات وليست كلية افراد . وفي سبيل ان يكون التمييز في المستويات تام الوضوح وضع رسل نظريته في الانماط المنطقية Logical Types .

ان هذه الافكار والتعريفات الاساسية في منطق الدالات ومع بعض البديهيات المضافة الى بديهيات منطق القضايا تؤلف الاصول المنطقية لحساب دالات القضايا . والصيغ الآتية بديهيات في منطق دالات القضايا .

$$(x) H x \rightarrow H y$$

وتعني : اذا كانت  $H$  مقولة على كل  $x$  ، فانها مقولة على  $y$  . او كما يعبر عنها رسل : ما يقال على الكل يقال على اي فرد<sup>(1)</sup> .

$$H y \rightarrow (\exists x) H x$$

وتعني : اذا كانت  $H$  مقولة على  $y$  فانها مقولة على  $x$  على الاقل . وبعبارة اخرى : اذا كانت  $H y$  صادقة فان  $H x$  صادقة في بعض الاحيان<sup>(2)</sup> .

الى جانب البديهيات المتقدمة في منطق القضايا ودالات القضايا بديهيات اخرى ضرورية في منطق رسل الرياضي ، وخاصة في اخضاع الرياضيات الى المنطق . ومن البديهيات المهمة في هذا الصدد ما يأتي : -

١ - بديهية الاخضاع Axiom of Reducibility وهي : -

انه لكل دالة مهما اختلف ترتيبها ، توجد لها دالة حملية تساويها

(1) Ibid., P. 19.

(2) Ibid., P. 19.

صورياً . وصيغتها المنطقية هي <sup>(١)</sup> -

$$(\exists f) [(x) Hx = fx]$$

٢ - بديهية اللانهاية Axiom of Infinity وهي : -

« اذا كان  $x$  عدداً اصلياً استقرائياً Inductive Cardinal Number فان العدد الذي يليه موجود <sup>(٢)</sup> .

٣ - بديهية التعداد Multiplicative Axiom وهي : « لكل فئة تتألف من فئات لا تكون واحدة منها فئة فارغة Null-Class توجد فئة واحدة على الاقل لها حد واحد مشترك مع فئة من الفئات المذكورة <sup>(٣)</sup> .

نجد في هذه البديهيات ان رسل يستخدم مفهوم « الفئة » وهو مفهوم له اهمية بالغة في المنطق الرياضي ، وبصورة خاصة في نظرية الفئات المنطقية او نظرية المجموعات الرياضية Mengenlehre . ويستخدم رسل الفئات في تعريف العدد مستعيناً ببعض العلاقات الضرورية لذلك .

لقد طور رسل نظرية الفئات فأصبحت جزءاً هاماً في منطقته تعرف بحساب الفئات Calculus of Classes . ولما كانت الغاية ايجاد العلاقة بين المنطق والرياضيات من ناحية الافكار والمفاهيم ، فمن الضروري ان نتعرف على الفئة اولاً لاهميتها في هذا المجال . يُعرف رسل الفئة مستعيناً بدالة القضية . ولتوضيح هذا الاجراء نأخذ دالة قضية فيها حد واحد ومحمول واحد فقط مثال ذلك « أ انسان » ففي هذه الدالة يوجد متغير واحد هو أ يمكن ان نستعيز عنه او نضع مكانه افراداً كثيرين امثال احمد ورسل وسقراط

(1) Ibid., P. 56.

(2) Russell, B., Introduction to mathematical Philosophy P. 131

(3) Principia Mathematica P. 122.

وغيرهم ، فتحول الدالة الى قضية . وهذا معناه ان كل واحد من هذه الاسماء يعطينا في الاخير قضية صادقة ، وتكون مجموعة الاشياء التي تحقق دالة القضية هي الفئة . وعلى هذا الاساس يمكن تعريف الفئة بالشكل الآتي : -  
الفئة هي كل الاشياء التي تحقق دالة قضية<sup>(1)</sup> .

واذا حللنا الفئة منطقياً فاننا نميز بين المحمول او الصفة التي تحمل على الاشياء وهي ما نعرف في المنطق بالمفهوم Connotation ، ومجموعة الاشياء التي يقال عليها المفهوم وتعرف بالمصادق Denotation . وعلى هذا الاساس يمكن ان ننظر الى العلاقات بين الافراد والفئات ، وبين الفئات والفئات تبعاً لمفهوم الفئة وما صدقتها . فعلاقة عضو في فئة Class-membership يمكن تعريفها بالشكل الآتي : -

$$x \in H = \text{Df } H x$$

ومعناها : ان  $x$  عضو في فئة  $H$  اذا كانت  $H$  مقولة على  $x$  .  
وتكون فئة مساوية لفئة أخرى عددياً اذا كان المصادق واحداً للفئتين .  
واذا كانت لدينا فئة لا ينتمي اليها ولا عضو واحد ، فانها فئة فارغة Null-  
Class ، بينما تكون الفئة التي تضم جميع الاشياء هي الفئة العامة Universal Class .

استخدم رسل نظرية الفئات في ارجاع نظرية الاعداد الطبيعية الى المنطق، ومن المعروف ان الرياضيات البحتة ترجع الى نظرية الاعداد الطبيعية ، فاذا كان بمقدورنا ارجاع هذه النظرية الى افكار ومبادئ منطقية ، فان ذلك بمثابة البرهان على ان اصل الرياضيات منطق ، وان الرياضيات البحتة تصبح مجرد منطق متطور .  
لقد استطاع عالم الرياضيات الايطالي G. Peano اخضاع نظرية الاعداد الطبيعية الى عدد من الافكار والبديهيات ، فأثبت انه بالامكان اشتقاق نظرية

(1) Ibid., P. 23.

الاعداد الطبيعية من ثلاث افكار وخمس بديهيات ، وهذه الافكار هي : -  
 العدد Number والتابع Successor والصفر Null . ويقصد ببيانو بالعدد  
 فئة الاعداد الطبيعية ، أما التابع فانه العدد الذي يلي في سلسلة الاعداد الطبيعية .  
 والبديهيات الخمس هي : -

$$1 - 0 \in N \quad \text{الصفـر عضو في فئة الاعداد الطبيعية}$$

وبتعبير آخر ان الصفـر عدد

٢ - اذا كان عدد ما عضواً في فئة الاعداد الطبيعية ، فان العدد الذي  
 يليه عضو في الفئة كذلك . وبعبارة اخرى : التابع لأي عدد هو  
 عدد .  
 $2 - (n) [ n \in N \rightarrow n' \in N ]$

٣ - اذا كان عدد ما عضواً في فئة الاعداد الطبيعية ، فان التابع لهذا العدد  
 لا يمكن ان يكون العدد صفر . وبعبارة اخرى :

$$3 - (n) [ n \in N \rightarrow n' \neq 0 ] \quad \text{الصفـر ليس تابعاً لأي عدد}$$

٤ - اذا كان لدينا عدداً ، وكان العدد الذي يلي ( يتبع ) العدد الاول  
 مساوياً للعدد الذي يلي ( يتبع ) الثاني ، فان العددين متساويان

$$4 - (n)(m) [ n \in N \wedge m \in N \wedge n' = m' \rightarrow n = m ]$$

٥ - تكون اية صفة متتمية إلى جميع الاعداد ، اذا كانت متتمية الى  
 العدد صفر والتابع لكل عدد له هذه الصفة .

$$5 - (M) [ 0 \in M \wedge (n) \{ n \in N \wedge n \in M \rightarrow n' \in M \} \rightarrow N \subset M ]$$

تسمى البديهية الخامسة عادة ببديهية الاستقراء الرياضي Axiom of

. mathematical Induction

ان الذي نلاحظه في نظام بيانو هو ان الافكار الثلاث في نظريته غير  
 معروفة ، وهو امر يجعلنا نفترض لفكرة الصفـر اي عدد من الاعداد ويبقى

النظام صحيحاً . وقد لاحظ رسل ذلك بدقة ، وفي رأيه اننا لا نريد من الأعداد اثبات الصيغ الرياضية فقط ، بل ان تطبق بطريقة صحيحة على الاشياء المألوفة<sup>(١)</sup> . وبناء على ذلك لا بد من تعريف هذه الافكار لتحديد معانيها بدقة ، وإذا كان بمقدورنا الاستعانة بأفكار منطقية فقط لتعريف هذه الأفكار الثلاث ، فان الامر يتحول بعدئذ الى امكانية تحويل البديهيات الخمس الى قضايا منطقية . وهذا معناه : ان الأفكار الاولى والبديهيات في نظرية بيانو ترجع الى افكار وقضايا من صلب المنطق ، وبذلك نكون قد ارجعنا الرياضيات البحتة الى المنطق . وهنا تبرز اهمية تعريف العدد منطقياً من جهة واستيفائه لشروط التطبيق العملي للاعداد من جهة اخرى . ومن الجدير بالذكر هنا ان تعريف رسل للعدد مشابه لتعريف فريجه الذي اشرنا اليه في البحث الخاص بفريجه . وفي تعريف العدد نحتاج الى علاقة ضرورية هي المساواة او المشابهة *Similarity* بين الفئات . ولتوضيح هذه العلاقة نفترض وجود عدد من الطلبة في الصف وقد وزعت عليهم مجموعة من الاقلام ، بحيث كان من نصيب كل طالب قلم واحد ولم يبقَ منهم احد دون قلم ، ولم يبقَ قلم زائد . فمن دون ان نعرف عدد الطلبة والاقلام نستطيع القول ان عدد الطلبة يساوي عدد الاقلام . ولقد توصلنا الى هذا الاستنتاج بفضل علاقة واحد بواحد بين مجموعة الطلبة ومجموعة الاقلام . وعلى هذا الاساس تكون المجموعة *A* مساوية للمجموعة *B* ، اذا كانت هناك علاقة واحد بواحد بين افراد المجموعتين .

لنفرض الآن ان عدد المجموعة الاولى سبعة والمجموعة الثانية سبعة كذلك ، ولكن العدد « ٧ » هو ليس المجموعة الاولى وليس المجموعة الثانية ، بل هو شيء مشترك بين المجموعتين ، وذلك لان « سبعة » صفة مشتركة بين مجموعة الطلبة ومجموعة الاقلام . فاذا كانت لدينا مجموعات اخرى تحتوي على سبعة اشياء ، فان الصفة تبقى مشتركة بين كل هذه المجموعات .

(1) Russell, B., Introduction to mathematical Philosophy P. 9

فالعدد « ٧ » يكون اذا فئة جميع الفئات التي تحتوي على سبعة اعضاء . ويصدق هذا التحليل كذلك على العدد « ٢ » و « ٣ » وغيرها . ولكننا ما زلنا نريد تعريف العدد من دون ذكر مجموعته . وفي ذلك يقدم رسل التعريف الآتي : —  
العدد لفئة هو فئة جميع تلك الفئات المساوية لها <sup>(١)</sup>.

ولتوضيح هذا التعريف نفترض ان الفئة التي نريد معرفة عددها هي K ، فيكون التعريف بالشكل الآتي : العدد لفئة K هو فئة جميع الفئات المساوية لـ K . ويكون تعريف الفئة الفارغة بأنها فئة جميع الاشياء غير المتطابقة Identical مع ذاتها ، وهي فئة ليس لها اعضاء . والعدد صفر هو فئة جميع الفئات المساوية للفئة الفارغة . ويكون العدد « ١ » هو فئة جميع الفئات المحتوية على عضو واحد .

يظهر من طريقة التعريف للاعداد ان رسل لم يختلف في تعريفه عن فريجه ، وان الطريقة ذاتها وجدت لها تطبيقاً في نظريته المنطقية الهادفة الى ارجاع المفاهيم الرياضية الى منطقية والبرهنة على ان النظرية الاستدلالية في الرياضيات هي منطقية .

### III — الواقعية الجديدة

ان تفكير رسل المنطقي والرياضي لم يقف عند حدود أسس الرياضيات ، بل تعدى ذلك الى معالجة المشكلات الفلسفية وطرح مسائل فلسفية ومنطقية جديدة ، فأغنى بذلك الفكر الفلسفي وتياراته المختلفة . وقد ساعد رسل في تبني اتجاه المذهب الواقعي Realism ليقينه بجدوى المنطق في معالجة قضايا الفلسفة ، فكان كتابه المعروف « مشكلات الفلسفة » و « معرفتنا للعالم الخارجي » خير ما يمثل هذا الاتجاه الفلسفي الجديد . كما لا ننسى محاولات

(1) Ibid., P. 18.

جورج مور G. Moore في شق طريقه نحو المذهب الواقعي . وتركزت جهوده في اتجاهاين يكمل احدهما الآخر هما : —

١ — الوقوف ضد تيار المذهب المثالي ، وقد تجلّى ذلك في مقالته المعروفة

« دحض المذهب المثالي The Refutation of Idealism »

المنشورة سنة ١٩٠٣ .

٢ — تأكيد موقفه الايجابي من المشكلات الفلسفية ، وقد تجلّى ذلك في

مقالته المشهورة « دفاع عن الفهم المشترك A Defence of Common-

Sense وقد نشرها بعد سنوات قليلة من مقالته الاولى .

وقبل عشرة سنوات من نشر مور لمقالته الاولى كان برادلي F. H. Bradley

قد نشر كتابه « المظهر والحقيقة Appearance and Reality ، مدافعاً

عن الميتافيزيقا . يرى برادلي ان الاشياء المتكررة ليست حقائق ، بل مظهراً

لحقيقة كلية شاملة لا يمكن ادراكها من خلال الجزئيات ، وان الكون لا

يدرك الا كحقيقة كلية شاملة ، لان بين الاشياء علاقات وروابط داخلية في

الكل ، وان اية تجزئة للكل تؤدي الى افساده .

اتخذ مور موقفاً بسيطاً وساذجاً كان اساس فلسفته المعروفة بالواقعية

الساذجة Naive Realism ، وهو يتلخص في تحليل العبارات الميتافيزيقية

على ضوء معرفة الانسان العادي من جهة ويقين الانسان بوجود اشياء خارجة

عن ذاته لا يمكن انكارها من جهة اخرى . فالكرسي والمنضدة والقلم اشياء

تختلف عن ذاتي وهي خارجة عن هذه الذات ، وانا على يقين

بأن الصخرة صلبة لا تستطيع قدمي النفاذ من خلالها . فاذا كان العالم كما يراه

بردالي روحياً Spiritual فلا بد ان تكون الاجزاء فيه روحية كذلك ،

ولكن المعرفة البسيطة تثبت ان الصخرة ليست روحية وانها ذات طبيعة

مادية . وعندما يرى برادلي ان الزمان Time غير حقيقي ، فهذا معناه بالنسبة

للانسان العادي ان لا وجود للماضي والحاضر والمستقبل ، وهذا امر يخالف

الفهم المشترك او الادراك القطري للانسان .

يلتقي رسل مع مور في واقعيته ولكنه يختلف عنه في نقاط كثيرة أهمها اهتمام رسل بالرياضيات والمنطق والعلوم التجريبية ومحاولاته تدعيم نظريته الواقعية بأدلة جديدة . وهو يتفق مع مور في دحض المثالية ، وقد افرد رسل في كتابه « مشكلات الفلسفة » فصلاً لمناقشة مثالية بيركلي واسباب وقوع هذا الفيلسوف التجريبي في المثالية . تناول رسل في الفصل الاول « المظهر والحقيقة » محاولاً وضع مشكلة فلسفية مهمة هي : هل يوجد شيء آخر لا نستطيع ادراكه مباشرة غير الادراكات الحسية ؟ وبعبارة اخرى : نحن نعرف ان المنضدة التي اكتب عليها لها لون وشكل وصلابة ، ولكن هذه الادراكات الحسية تختلف عن الادراكات الحسية لشخص آخر إذا نظر الى المنضدة من زاوية اخرى او اجري عليها تجارب حسية مختلفة ، ولكننا نفق رغم ذلك على ان الشيء الذي امامي هو منضدة . وهذا يدل على ان ما ندركه حسياً يختلف عن الشيء الذي اتفقنا عليه . فاذا سلمنا بوجود منضدة حقيقية لا نستطيع معرفتها مباشرة ، ولكننا نستنتج من ادراكاتنا الحسية كونها منضدة حقيقية ، فهل ذلك يكفي جواباً على السؤال الفلسفي : هل توجد منضدة حقيقية ؟ وإذا كانت كذلك فما هي طبيعة المنضدة ؟

ان هذا السؤال يقود الى البحث عن « وجود المادة » وهو موضوع تناوله رسل في الفصل الثاني ، حيث طرح السؤال عما اذا كانت توجد منضدة حقيقية وهل توجد المادة وتستمر في الوجود ام ان المنضدة مجرد وهم او تصور ؟

يرى رسل انه على الرغم من اثاره الشكوك حول الوجود المادي للمنضدة ، الا اننا لا نشك بوجود المعطيات او الحقائق الحسية Sense-data التي تجعلنا نفكر بوجود المنضدة ، وهو ما يراه رسل اساساً قوياً للمعرفة <sup>(1)</sup> . والآن نضع هذه المسألة بالشكل الآتي : — هل ان معرفتنا للمعطيات الحسية تؤدي بنا الى الاعتقاد بوجود شيء آخر مغاير ؟ فاذا قمنا بتعداد المعطيات

(1) Russell, B., The Problems of Philosophy P. 19.

الحسية للمنضدة ، فان معرفتنا للمنضدة سوف لا تكون اكثر من هذه المعطيات الحسية . ولكن الادراك القطري للانسان لا يقف عند هذا الحد ، بل يفترض وجود شيء آخر مغاير يتفق عليه الجميع رغم اختلاف الحقائق الحسية . ومعنى ذلك ان هناك اشياء مستقلة عن ادراكاتي الحسية وان الاشياء التي ادركها حسياً تبقى موجودة على الرغم من عدم ادراكي لها مباشرة . فاذا تركت الاشياء في الغرفة او القيت عليها غطاءً ، فان ذلك لا يعني انها غير موجودة عند عدم ادراكي لها مباشرة على الرغم من عدم ادراكي لحقائقها الحسية . ولكن ذلك لا ينهي المسألة عند هذا الحد ، بل ان الفلسفة في استجوابها تطرح السؤال الآتي : —

اذا كانت هناك منضدة حقيقية فماذا تكون طبيعتها ؟ ان هذا السؤال يقودنا الى بحث العلاقة بين المادة والمعطيات الحسية ، وهو موضوع نجد له جواباً في العلم اذا اكتفين به فقط ، ولكننا اذا ميزنا بين عالم العلم وعالم الادراك الحسي على اساس ان لكل عالم منهما خصائص ثابتة ومعينة ، فان العلاقة بينهما ضرورية كذلك لمعرفة طبيعة الاشياء وكيف تبدوا . فالضوء بالنسبة للعلم الطبيعي يتألف من موجات او حركة موجية ، ولكنه بالنسبة لنا يتميز بصفات لا يدركها الا المبصر ويتعذر على الكفيف ادراكها ، وانه اذا عرف الكفيف الحركة الموجية للضوء ، فانه سيقى لا يعرف الضوء بالشكل الذي يدركه الانسان المبصر في العالم المألوف . وكذلك الحال بالنسبة للظواهر الطبيعية والاجسام . فالاجسام موجودة في المكان والمكان عند العالم يختلف عن المكان في مفهوم الانسان الاعتيادي . ان ذلك يدل على ان العالم الخارجي بالنسبة للعلم يبدو مختلفاً عن العالم الخارجي كما يدركه الانسان في حياته اليومية . فالالوان باعتبارها معطيات حسية هي بالنسبة للعلم موجات ذات تردد معين تصل الى العين فتظهر على هيئة ألوان . وما ينطبق على الالوان ينطبق كذلك على الموجات الصوتية التي تصل الى الاذن . وعلى الرغم من قدرة العلم على التحليل والوصف للاشياء المادية ، فان طبيعة المادة تبقى

غير معروفة ، وان محاولات الفلاسفة في معرفة طبيعة الاشياء قادتهم الى مذاهب مثالية ومذاهب مادية ، ولم يستطع الفلاسفة تقديم جواب مقنع للمشكلة المتعلقة بطبيعة الاشياء . ولكن الشيء الذي لا يمكن للفرد الا ان يسلم به هو ان ادراكنا للعالم الخارجي يزودنا بمعرفة عنه ، وان هذه المعرفة هي الاساس في الحكم على وجود الاشياء فيه . والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : هل ان جميع المعرفة مشتقة من عالم الخبرة الحسية ام ان هناك معرفة لا علاقة لها بعالم الحس والتجربة ؟

ان هذا السؤال ليس بجديد في تاريخ الفلسفة ، بل انه كان على الدوام اساس تفكير الفلاسفة في تحليلهم للعالم والمعرفة ، وقد انقسم الفلاسفة الى فريقين : فريق يؤكد ان المعرفة اليقينية هي العقلية وانها غير مشتقة من التجربة ، وهؤلاء هم اصحاب المذهب العقلي ، وفريق آخر ينكر وجود معرفة غير تجريبية وهؤلاء هم اصحاب المذهب التجريبي . اما موقف رسل فانه مختلف ، وسبب الاختلاف ناتج من معرفته بطبيعة المنطق والرياضيات الى جانب معرفته لطبيعة القضايا في العلوم التجريبية . فهو يميز بين نوعين من المعرفة : —

المعرفة المباشرة Knowledge by Acquaintance

« Description » المعرفة بالوصف

تتميز المعرفة المباشرة بكونها بسيطة لا تحتاج الى معرفة للحقائق او المبادئ العامة ، لان كل ما تفترضه هذه المعرفة هو الادراك او الاتصال المباشر بالاشياء . اما معرفة الاشياء بالوصف فانها اكثر تعقيداً ، لانها بحاجة الى بعض المعرفة بالحقائق كأساس لها ، وقد تكون هذه الحقائق على هيئة مبادئ عامة او قوانين طبيعية يستخدمها الفرد في ادراك الاشياء او التعرف عليها ، فمن الحقائق ما هو استقرائي المنهج مثل القوانين الطبيعية ومنه ما هو استدلالى الطريقة مثل المبادئ الاساسية في المنطق والرياضيات .

نقصد بالمعرفة المباشرة الادراك المباشر للاشياء من دون استنتاج او معرفة الحقائق ، فأنا على اتصال مباشر بالحقائق الحسية التي تؤلف مظهر المنضدة ، وهي بالتالي موضوع المعرفة المباشرة . اما معرفتي بالشئ المادي للمنضدة فعلى العكس ، فانه موضوع المعرفة غير المباشرة او المعرفة بالوصف ، لأنه استنتاج يعتمد على الحقائق الحسية . ولكننا في الوقت نفسه لا بد ان نؤكد حقيقة هامة هي ان معرفة الاشياء ومعرفة الحقائق تعتمدان على المعرفة المباشرة كأساس لها <sup>(١)</sup>.

ويضيف رسل الى المعرفة المباشرة انواعاً اخرى اضافة الى المعطيات الحسية ، فيذكر المعرفة المباشرة عن طريق الذاكرة ، حيث يتذكر الفرد المعطيات الحسية التي سبق له منذ زمن ان ادركها مباشرة ، وفي هذه الحالة يدرك الفرد هذه المعطيات بالتذكر من دون حاجة الى استنتاج او قانون ، وتميز المعرفة المباشرة عن طريق الذاكرة انها تزودنا بكل معرفتنا الماضية ، وانه من دونها لا نستطيع ان نستنتج شيئاً ما من الماضي . والتأمل الباطني Introspection هو الآخر ضرب من المعرفة المباشرة ، فنحن لا ندرك الاشياء فقط ، بل ندرك اننا ندرك الاشياء ، فعندما انظر الى الشمس ، فاني ادرك مشاهدي للشمس ، « فمشاهدي للشمس » هو موضوع ادراك مباشر . وعندما ارغب في الطعام فأنا ادرك رغبتي في الطعام ، وعندما اشعر بألم في المعدة ، فاني ادرك شعوري بألم المعدة وهكذا . ويرى رسل ان هذا النوع من الادراك هو مصدر جميع المعرفة المتصلة بالاشياء العقلية .

والى هذه الانواع من المعرفة المباشرة يضيف رسل المعرفة بالكليات Universals مثل « البياض ، الاخوة ، الانسان » وغيرها من المفاهيم الكلية التي هي مواضيع ادراك عقلي مباشر .

(1) Ibid., P. 48.

وعلى الطرف الآخر تقف المعرفة بالوصف التي يرى فيها رسل : —

١ — معرفة وصفية محدودة تتحدد بالعبارة المحتوية على أَل التعريف  
« The so and so » .

٢ — معرفة وصفية غامضة تتحدد بالعبارة الخالية من أَل التعريف  
« a so and so » .

فاذا قلنا « رجل » فهذا وصف غامض ، واذا قلنا « الرجل ذو القناع الحديدي » فهذا وصف محدد . وهكذا ينتقل رسل الى دراسة العبارات الوصفية ، وهو موضوع له اهمية كبيرة في المنطق والرياضيات . وتحدد العبارة الوصفية بكونها تشير الى شيء واحد فقط ، اي اننا نعرف ان شيئاً واحداً موجود ولا يوجد اكثر من واحد له الصفة التي تحملها العبارة الوصفية فمن المعروف ان « الرجل ذو القناع الحديدي » موجود حقاً ، ولكننا لا نعرفه بشكل مباشر ، بل ان كل معرفتنا متأنية من اوصاف لهذا الرجل . واستناداً الى تحديد معنى العبارة الوصفية ، فان اسماء العلم سواء كانت لافراد او لاماكن هي عبارات وصفية . وكذلك اذا قلنا العبارة الآتية : « مؤسس الدولة الاموية في الاندلس » فاننا نشير الى شخص واحد فقط تنطبق عليه هذه الصفة دون غيره هو « عبدالرحمن الداخل » ، ولكي يكون الوصف مفهوماً وواضحاً يجب ان تكون كل عبارة مؤلفة من مكونات معروفة او مفهومة ، والا تحولت العبارة الى وصف غامض .

ان تحليل رسل لانواع المعرفة يبين لنا اهتمامه بالمعرفة المباشرة باعتبارها من اهم مصادر المعرفة الانسانية ، ولكن سرعان ما تواجهنا مشكلات على جانب كبير من الاهمية تتعلق بموضوعات تتعدى حدود المعرفة المباشرة مثال ذلك مبادئ الرياضيات والقوانين الطبيعية والاخلاقية وغيرها . فما هو موقف رسل من هذه المعرفة ؟ انها من دون شك ليست مواضع ادراك مباشر ، ولكن من جهة اخرى لا تستطيع المعرفة بالحقائق الطبيعية الاستغناء

عن المعرفة المباشرة . وتظهر المشكلة القديمة من جديد حول طبيعة القضايا الرياضية والمنطقية والقضايا او القوانين الطبيعية ، وهي المشكلة التي عالجتها المدارس التجريبية والعقلية على السواء وقدمت لنا حلولاً مختلفة . فما هو موقف رسل من المشكلة ، خاصة وانه استخلم التحليل المنطقي في المنطق والرياضيات لمعرفة طبيعة القضية الرياضية ؟ ان المعرفة العلمية بحد ذاتها تتجاوز حدود المعطيات الحسية في سبيل تثبيت بعض الحقائق الاساسية ، والمعرفة العلمية وان كانت تعتمد على المعطيات الحسية ولا يمكن ان تهملها ، الا انها في الوقت ذاته لا ترتبط كلياً بهذه المعطيات ، لان غاية العلم معرفة القوانين والمبادئ لتفسير سلوك الاشياء . وتستلزم هذه المعرفة مبادئ تعتمد عليها في سبيل صياغة القوانين ، فاذا قلنا « ان الشمس تشرق صباح الغد » ، فاننا في الحقيقة نستند في ذلك الى معرفة سابقة ، وهي اننا وجدنا ان الشمس تشرق يوماً ، وانه استناداً الى هذه المعرفة الماضية ستشرق في الغد . وفي الحياة اليومية الكثير من هذه التوقعات التي تستند الى المعرفة الماضية . فاذا وجدنا ان احد الاشياء يرتبط على الدوام بشيء آخر ، وان هذا الارتباط متلازم دائماً ، بحيث نستطيع ان نتوقع دائماً ظهور الثاني بمجرد ظهور الاول ، اصبحت لدينا معرفة نتوقع بموجبها حدوث الشيء او ظهوره بمجرد حدوث او ظهور الشيء المسبب له .

ان صياغة القوانين الطبيعية تستند الى حقيقة طبيعية هامة هي ان في الطبيعة تكراراً منتظماً للحوادث وهو ما يعبر عنه بانتظام الطبيعة « Uniformity of Nature » . ولكن الملاحظ هنا ان القانون الذي يعبر عن استمرارية تلازم الاشياء قد توصلنا اليه بعد فحص لحالات كثيرة في الماضي ، ولكن صلاحيته لم تثبت على جميع الحوادث في المستقبل ، وهذا معناه ان مبدأ انتظام الطبيعة ليس مطلقاً وهو يخضع بالتالي الى الشك في امكانية تطبيقه على الطبيعة في المستقبل . فاذا كانت القوانين الطبيعية تفرض انتظام الطبيعة ، وهو المبدأ الذي لا يمكن قبوله بصفة مطلقة ، فان توقع الانسان حدوث

شيء ما في المستقبل لا يمكن ان يكون يقينياً او ضرورياً ، لأن ما نتوقعه قد لا يحدث ، وان هناك بعض الشك في توقع حدوثه . لذلك نقول ان القانون الطبيعي احتمالي ، وان احتماليته تزداد كلما تأكدت قدرته على تفسير حوادث أكثر حتى يصل الى درجة عالية من الاحتمالية يقترب بها من درجة اليقين<sup>(1)</sup> . ولكن هل هذا الاستنتاج معناه ان المعرفة الانسانية احتمالية ام توجد معرفة اخرى لا تعتمد على التجربة وتتميز بكونها يقينية وضرورية ؟

يجيب رسل في نظريته ان المعرفة المنطقية والرياضية تختلف من حيث الطبيعة عن المعرفة التجريبية ، وان هذه المعرفة قبلية *Apriori* لا يمكن اشتقاقها من التجربة ، وانه في الوقت ذاته من الممكن استخدامها في الحياة اليومية . ومن الامثلة على هذه المعرفة بعض القوانين المنطقية مثل قانون الذاتية وعدم التناقض والثالث المرفوع وقانون الشرط المنطقي . كما ان المبادئ الاساسية والقواعد الرياضية هي الاخرى امثلة على المعرفة قبلية . فاذا قلنا  $2 + 2 = 4$  ، فاننا لا نقصد مطلقاً ان كتابين مضافاً اليهما كتابين يساوي اربعة كتب ، وان البرهان على صدقها بحاجة الى التجربة والحس ، بل ان صدقها برهاني وانه إن جاز وحصل  $2 + 2 = 4$  مثلاً كأن نضع جرثومتين مع جرثومتين في انبوبة اختبار ونحسب المجموع بعد فترة من الزمن ونحصل على مجموع خمس جرثومات ، فاننا لا يمكن ان نقول ان القضية الحسابية  $2 + 2 = 4$  في هذه الحالة كاذبة .

ويضيف رسل الى الرياضيات والمنطق بعض المبادئ الاخلاقية على اعتبار انها قبلية مثال ذلك مبدأ « ان السعادة مرغوبة أكثر من التعاسة » ويبنى رسل قراره هذا بعد تمييز بين قيمة المبدأ الاخلاقي في ذاته ، وفائدة المبدأ الاخلاقي في تطبيقه ، فيهتم بالقيمة الذاتية للمبدأ الاخلاقي في تقرير كونه من المعرفة قبلية .

(1) Ibid., P. 57.

ان التمييز في المعرفة بين ما هو قبلي لا يعتمد على التجربة في بنائه وبين ما هو بعدي *Aposteriori* يعتمد على التجربة اساساً بين اتجاه رسل في فصل الرياضيات والمنطق عن التجربة والوقوف ضد تيار المذهب التجريبي المتمثل في فلسفة جون ستيوارت مل الذي يرى ان قضايا المنطق والرياضيات مشتقة من التجربة . كما انه ( اي رسل ) في الوقت ذاته لا يسمح لفلسفته بالوقوع في احضان المذهب العقلي الذي يرى في مبادئ الرياضيات والمنطق قوانين عقلية . ويظهر موقفه بشكل واضح من الكليات التي يرفضها فلاسفة التجربة امثال هيوم وبيركلي ، ويعتمد عليها فلاسفة المذهب العقلي في اثبات نظرتهم الى الحقائق . فيرى رسل ان الكليات ليست مقصورة على الصفات وحدها ، بل ان الافعال والعلاقات مثلاً هي الاخرى كليات ، وانه لا يمكن ان تكون لدينا قضية خالية من لفظة واحدة على الاقل تدل على كلي<sup>(1)</sup> .

ويتبنى رسل موقف افلاطون من الافكار او المثل مع بعض الاختلافات ، فهو يرى ان الافكار او الكليات عند افلاطون تقابل المفردات *Particulars* وهو تمييز لا بد منه ، ولكنه يخالف افلاطون في اعتقاده بوجودها في عالم مستقل ، وان كان يتفق معه بأن الكليات تمثل العالم الثابت الدقيق الذي يُشعر عالم الرياضيات بالفرحة والدفء . ان عالم الكليات في فلسفة رسل هو عالم المنطق ، فمن دراسته لطبيعة الرياضيات وجد ان جميع قضايا العلم الرياضي تعود الى المنطق ، وان طبيعة المنطق ليست عقلية وليست تجريبية . فالكليات موجودة ولكن وجودها يختلف عن الوجود العقلي او المادي ، ويضرب مثلاً على ذلك العلاقات ، فاذا قلت « ان الموصل تقع في شمال بغداد » فاني استخدم علاقة « تقع في شمال » وهي تعبر عن كلي ، وان هذه العلاقة قائمة ، ولكنها ليست عقلية وليس لها وجود مادي . وبعبارة آخر ان الكليات تعود الى عالم المنطق وهو عالم يختلف عن عالم المادة والفكر معاً . وبذلك تصبح العلاقات

(1) Ibid., 93.

ايضاً موضوعات للمعرفة المباشرة على اساس انها كلييات . ولكن من الضروري ان تشير هنا الى ان رسل يميز بين الكلييات فيرى ان منها ما يعرف مباشرة ومنها ما يعرف بالوصف ، ومنها ما لا يعرف مباشرة او بالوصف .<sup>(١)</sup> فمن الكلييات التي تعرف مباشرة « الصفات » التي نتوصل لها عن طريق التجريد والتعميم مثل البياض والصلابة وغيرها ويطلق عليها اسم الصفات المدركة حسياً *sensible qualities* . والعلاقات كلييات تعرف مباشرة مثال يمين ويسار بالنسبة للاشياء المدركة حسياً ، وهي علاقة بين المعطيات الحسية توصلنا اليها بعد مشاهدة حالات كثيرة . وعلاقة المشابهة هي الاخرى موضوع ادراك مباشر ، فاذا شاهدنا اللون الاخضر في مكائين في زمن واحد، ادركنا على الفور ان الاول يشبه الثاني . ويضيف رسل اخيراً العلاقات بين الكلييات الى قائمة المعرفة بالكلييات .

#### IV - النظرية المنطقية<sup>(٢)</sup>

قام رسل في بداية عام ١٩١٨ بالقاء محاضرات تناولت ثمانية موضوعات فلسفية ومنطقية مهمة تتصل بالوقائع والقضايا وتقسيم القضايا الى ذرية *Atomic Propositions* او بسيطة ومركبة او جزئية *Molecular Propositions* والقضايا العامة *General Propositions* ، والعبارات الوصفية ونظرية الانماط المنطقية والميتافيزيقا . يتخذ رسل في فلسفته النظرية التحليل المنطقي للغة اساساً وطريقة لكشف العلاقة بين اللغة والعالم من جهة وارتباط المكونات اللغوية بعضها ببعض من جهة اخرى . وعلى الرغم من اننا نلمس هذا الاتجاه بوضوح تام في كتابه « معرفتنا للعالم الخارجي » المنشور

(1) Ibid., P. 101.

(٢) انظر بحثي المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ( المجلد الخامس عشر ) تحت عنوان « النظرية المنطقية » .

سنة ١٩١٤ ، حيث طور فيه التحليل المنطقي كطريقة علمية في الفلسفة ،  
الا اننا في فلسفته الذرية نجده اشد اهتماماً باللغة متأثراً بذلك بآراء وافكار  
تلميذه وزميله لودفيج فتيجنشتاين . ان التحليل المنطقي معناه في ايسر صورته  
عملية تجزئة اللغة الى وحداتها ومكوناتها الاساسية ؛ فاذا كان هدف علم  
الاصوات دراسة الخصائص الصوتية للوحدات اللغوية البسيطة ، وهدف علم  
النحو والصرف دراسة الخصائص التركيبية واشتقاق الالفاظ ، فان هدف  
التحليل المنطقي هو الوقوف على الوحدات اللغوية - المنطقية ، وهذه الوحدات  
عند رسل تتألف منها التراكيب المنطقية<sup>(١)</sup> . ويختلف التحليل تبعاً للمستوى  
الذي نمارسه فيه لاكتشاف الذرات ، فالذرات في مستوى الحمل والقضايا  
هي العبارات البسيطة التي لا يمكن تجزئتها الى قضايا او جمل اصغر منها .  
اما الذرات في مستوى الكلمات فهي الوحدات البسيطة التي لا يمكن تجزئتها  
الى كلمات اصغر منها . والذرات في فلسفة رسل هي المفردات Particulars  
مثال ذلك المحمولات والعلاقات والالوان وغيرها<sup>(٢)</sup> .

ان نظرية الذرية المنطقية وثيقة الصلة بتفكير رسل الرياضي ، فهي كما  
اشار في محاضراته الاولى المنشورة في The Monist ، قد اجبرته على اعتناقها  
من خلال تفكيره في فلسفة الرياضيات<sup>(٣)</sup> . ان منهج رسل في اقامة البناء  
الرياضي او المنطقي يعتمد على اختيار افكار او رموز اولية بسيطة تتكون  
منها المبادئ والبدهييات او القضايا ، ومن هذه البدهييات والمبادئ تشتق  
الرياضيات . اما في فلسفة الذرية المنطقية فان الطريقة لا تختلف كثيراً ، لان  
رسل وفتجنشتاين يبحثان عن الذرات او الاوليات التي تتألف منها المعرفة ،  
وهذه الذرات هي المفردات ، ثم يحاول كل منهما بطريقته الخاصة بناء اللغة  
والمعرفة . ان هذا العمل الفلسفي يرتبط كذلك بالاعتقاد بأن تركيب المنطق

(1) Russell, B., Logic and Knowledge P. 189.

(2) Ibid., P. 179.

(3) Ibid., P. 178.

يعطينا صورة عن العالم ، وان هذا العالم له البناء المنطقي الذي وضع رسل  
ووايتهيد اصوله في كتاب « اصول الرياضيات » .

ولما كانت المعرفة الانسانية لا يمكن التعبير عنها بالمفردات او الحدود ،  
فان القضايا هي الاصول الاولى للتعبير عن المعرفة ، وهذا هو السبب الذي  
جعل رسل يحلل في محاضراته الاولى « الوقائع والقضايا » ، ويعتبر المفردات  
في العالم الخارجي جزءاً من الواقعة ، ويعتبر الاسماء والحدود جزءاً من  
القضايا . واذا سلمنا بأن القضايا هي الاساس في المنطق ، فاننا بذلك نتوصل  
الى تحديد مفهوم « الذرية المنطقية » باعتبارها تياراً فلسفياً اولاً ونظرية تحليلية  
ثانياً . فاسم هذا التيار مشتق من معالجة النظرية للقضايا باعتبارها الوحدات  
الاساسية في المعرفة اولاً وعنصراً منطقياً مهماً ثانياً . فهي على هذا الاساس  
ذرية من جهة العناصر الاولى ومنطقية من جهة القضايا وتحليلية من جهة ثانية .

ان أثر فتجنشتاين في نظرية رسل الذرية شيء لا يمكن نكرانه ، ولقد  
اشار رسل الى هذا التأثير بوضوح . فلقد استلم من فتجنشتاين في بداية عام  
١٩١٤ مخطوطة كتبت على الآلة الطابعة تحتوي على كثير من النقاط المنطقية ،  
كان لها أكبر الاثر في وضوح فلسفة الذرية المنطقية وبيان خطوطها الاساسية ،  
واصبحت الموضوعات التي اثارها فتجنشتاين اساساً في فلسفة رسل المنطقية ،  
ولكن ذلك لا يعني مطلقاً ان نظرية الذرية المنطقية مدينة كلياً لآراء فتجنشتاين ،  
واذا رجعنا الى الوراء لاستقصاء التطور الفكري عند رسل ، لمسنا بوضوح  
الاصول الرئيسية لفلسفته الذرية التي اختمرت واكتمل بناؤها بتأثير فتجنشتاين .

يحدد رسل اتجاهه الفلسفي عندما يتخذ من القضية وحدة فكرية تخضع  
للتحليل ، فلكل واقعة قضية تعبر عنها ، والواقعة يحد ذاتها موضوعية ومستقلة  
عن الفكر ، وان القضية تعبر عن معنى او فكرة ويمكن ان تكون صادقة  
او كاذبة . ويعرف رسل القضية بناءً على هذا التحليل بأنها شكل من كلمات

يتميز بكونه صادقاً أو كاذباً<sup>(1)</sup> . والمقصود هنا بالواقعة التي تعبر عنها القضية الذرية هي الواقعة الذرية « Atomic fact » ، وتختلف القضية الذرية عن القضية الجزئية بأن الأولى بسيطة لا يمكن تجزئتها الى اجزاء هي قضايا ، بينما تكون القضية الجزئية مركبة يمكن تجزئتها الى قضايا ابسط منها .

اما الطريقة التي يتبناها رسل في فلسفة الذرية المنطقية فتختلف عن الطرق في الفلسفة المثالية . ففي الوقت الذي تنظر فيه المثالية الى الحقيقة باعتبارها كلاً غير مجزء وان تجزئته افساد لهذه الحقيقة المطلقة ، لان التجزئة من شأنها ان تفسد العلاقات الداخلية التي تربط الاجزاء ، فلا تبقى الا اشياء منعزلة الواحدة عن الاخرى ، نجد الطريقة الجديدة عند رسل تؤكد الواقعية المتكررة في العالم الخارجي . وان مهمة التحليل هي دراسة هذه الاشياء المتكررة وصلاتها باللغة . ولنا هنا ان نذكر حقيقة هامة هي ان طريقة التحليل المنطقي ليست منهجاً لتحليل الاشياء الماهية ، بل هي ذلك المنهج الذي يهتم باللغة وعلاقتها بالفكر والعالم الخارجي . وعلى هذا الاساس ينصب التحليل على اللغة واشكال قضايها وما تشير اليه من معان ودلالات . ويساعدنا التحليل المنطقي على توضيح الغامض ، لان جميع فعاليات التحليل تنصب على ما هو غامض ومعقد ، وذلك لكشف سر الغموض وسبب التعقيد ، فلا بد والحال هذه من تحليل المعقد الى بسائطه ، لان البسيط واضح ، وان المعقد في تكوينه من البسائط يصبح واضحاً كذلك بعد فعالية التحليل المنطقي .

وسواء كانت المعرفة العلمية برهانية ام تجريبية ، فان تحليل المعرفة واجب للتأكد من سلامة المقدمات التي نستخدمها في العلم او الحياة اليومية . ففي المعرفة البرهانية او المنطقية يظهر التحليل وشروطه بشكل واضح ، يجب اختيار مقدمات تتميز بالوضوح والدقة والكفاءة والسعة ، لكي نستطيع ان نشق منها قضايا جديدة ، تكون جميعها نظام العلم البرهاني<sup>(2)</sup> . اما المعرفة

---

(1) Russel, B., Our Knowledge of the external World P. 62.

التجريبية فإنها تختلف عن المعرفة المنطقية ، لأن الاولى اقل دقة في نتائجها من المعرفة المنطقية ، وبصبح التحليل المنطقي لهذه المعرفة أكثر إلحاحاً وحاجة .

يحلل رسل المعرفة فيبدأ بالاشياء غير القابلة للرفض « Undeniabls » ، ويقصد بها ذلك النوع من الاشياء التي لا يمكن للانسان ان يرفضه ، ولا يقرن رسل هذه المعرفة بالحقيقة ، ولكن في اعتقاده ان الاشياء التي نتخذها مقدمات في اي حقل من حقول التحليل هي الاشياء التي تظهر لنا غير قابلة للرفض <sup>(1)</sup> .

ان مذهب التحليل الذي يطرحه رسل لمعالجة المشكلات الفلسفية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعقليته الرياضية القائمة على تحليل المشكلة وبيان السبب المباشر في تعقيدها ، وكما تبدأ الرياضيات من مفاهيم اولية يحتاج بعضها الى التعريف ، ويبقى بعضها الآخر غير معرف ، نجد رسل في اتجاهه الفلسفي يحاول تلمس طريق مشابه تظهر فيه فعالية التحليل في اختيار الحقائق التي تصلح اساساً وبداية للدراسة نظرية واختيار المفاهيم التي يستخدمها في التحليل ، وتوضيح هذه المفاهيم او تعريفها لتكون على بينة من معانيها دون ان يصيبها اللبس والابهام . ومن الحقائق المهمة التي يضعها رسل نصب عينيه في معالجة نظرية المعرفة ، والتي يسلم بها العقل دونما حاجة الى اجراءات معقدة للتحقق من صدقها او البرهان على صلاحيتها ، لأنها واضحة لكل من له بصيرة ، هي ان العالم مؤلف من وقائع <sup>(2)</sup> . والواقعة هي ذلك النوع من الشيء الذي يجعل القضية صادقة او كاذبة <sup>(3)</sup> . ولا نقصد بالواقعة اذاً ما تشير اليه كلمة او اسم فقط ، فالاسم « افلاطون » مثلاً لا يمثل واقعة ، وذلك لاختلافها عن المفرد من الاشياء . كما ان هذا الاسم لا يشير الى واقعة ، لأنه ليس قضية . فالواقعة اذاً هي ما تشير اليه القضية . ويُعبّر عن هذه الوقائع بعبارات لغوية او قضائية ، وتختلف الوقائع كذلك ، اضافة الى اختلافها بالنسبة للعلوم ، من حيث

---

(1) Russell, B., Logic and Knowledge P. 182.

(2) Ibid., P. 182.

(3) Ibid., P. 182.

تركيبها ، فلدينا وقائع فردية ووقائع عامة ، كما توجد وقائع موجبة واخرى سالبة ، فاذا قلنا « هذا كتاب » و « كل انسان فان » فاننا امام واقعيتين : الاولى فردية والثانية عامة ، واذا قلنا « افلاطون يوناني » و « افلاطون غير يوناني » ، فاننا نريد بالقضية الاولى واقعة موجبة وبالثانية واقعة سالبة . وعلى الرغم من اعتقاد رسل بوجود وقائع سالبة ، الا ان المسألة بحذاتها معقدة وغامضة لا يمكن التسليم بها بهذه البساطة ، وذلك لسبب هو ان النفي حقيقة لغوية وليست واقعية ، وان العالم يحتوي على وقائع موجبة فقط وان القضايا المنفية ذات طبيعة لغوية ليس لها ما يقابلها في العالم الخارجي .

ان مهمة التحليل استناداً الى الفعاليات الفلسفية التي ذكرناها تستهدف معرفة مكونات الاشياء المعقدة سواء كانت هذه الاشياء لغوية ام واقعية . وفلسفة الذرية المنطقية تهتم اولاً بمعرفة الذرات التي تتألف منها التراكيب المنطقية ، والذرات في هذا السياق من التحليل تعني الوحدات الاولى غير القابلة للتجزئة الى ذرات اخرى اصغر منها لها نفس الطبيعة . فالتحليل يبدأ اذاً بتحليل المركبات او الاشياء المعقدة مستهدفاً من وراء ذلك كشف مكوناتها ومعرفة علاقاتها واشكالها .

ان جميع الاشياء التي ندركها في العالم الخارجي وكل ما يطلق عليها من اسماء اعلام هي وحدات معقدة . فالشجرة والمنضدة والكرسي وغيرها اشياء ليست بسيطة كما تظهر لاول وهلة ، فاذا اردنا ان نعرف او نحدد الشجرة ، وجب علينا تقديم وصف كامل لها ، ولا يتم هذا الوصف الا باستعمال القضايا التي تكون الشجرة موضوعاً فيها وصفاتها المختلفة محمولات . واذا جمعنا هذه القضايا معاً ونظرنا من خلالها الى الموضوع وما يحمل عليه من صفات كثيرة ، ندرك ان جميعها تؤلف وحدة واحدة ، وهذه الوحدة المعقدة هي الشجرة ، اما الصفات فهي وحدات بسيطة تدخل في هذه الفئة المعقدة . وعلى هذا الاساس تصبح هذه الصفات هي الشجرة وتكون الشجرة سلسلة من فئات ذات وحدات مادية . فالاشياء والوقائع في

العالم الخارجي معتقدات ، وان الواقعة التي تعبر عنها القضية «سقراط فان»  
معتدة كذلك ، لأنها تنحلل الى «سقراط» و «فان» ، وان هذه التجزئة  
تفرض نفسها من خلال ملاحظتنا للغة ، فاننا نجد قضاياها شكل القضية  
الآتفة الذكر ، ولكنها رغم اشتراكها في الشكل تختلف من حيث المعنى ،  
اذ بالامكان الاستعاضة عن سقراط بأي اسم آخر مع بقاء المحمول ثابتاً ،  
فنحصل على قضايا يتغير فيها الموضوع . كما يمكننا تغيير المحمول وإبقاء  
الموضوع ثابتاً ، فنحصل على قضايا يتغير فيها المحمول .

ان تحليل الوقائع والاشياء ابتداءً من العالم الخارجي يزيد المسألة تعقيداً ،  
لما لهذه الوقائع والاشياء من روابط وعلاقات ، واننا نجد في تاريخ الفلسفة  
امثلة كثيرة تبين لنا ان الفلاسفة المثالية ظهرت نتيجة لاهتمام الفلاسفة  
بالمعتقدات من الاشياء ، فوجدهم ينظرون اليها بروابطها وعلاقاتها الداخلية ،  
وهم في سيرهم هذا لا يتوقفون إلا عند بلوغهم النتيجة الحتمية لنظرتهم الى  
الاشياء وعلاقاتها الداخلية ، وهي ان العالم وحدة كلية او حقيقة لا يمكن  
تجزئتها . وللتخلص من كثير من المشكلات الناتجة عن النظر في المعتقدات  
الموجودة في العالم الخارجي يتخذ رسل اسلوب تحليل اللغة والنظر الى العالم  
من خلالها ، لان في هذا الاسلوب ما يبعدنا عن النظرة الكلية للاشياء ، وما  
يمكننا من تحليل اللغة وربطها بمدلولاتها .

## الفصل الثالث

### لودفيج فيتجنشتاين

Ludwig Wittgenstein

كان من تأثير زيادة الاهتمام بالتحليل المنطقي الذي طوره جوتلوب فريجه وبرتراند رسل ان ظهرت بوادر فلسفية جديدة تهتم بالفلسفة ومشكلاتها بعيداً عن محاولة بناء فلسفة مثالية اوميتافيزيقية ، واخذت الدراسات الفلسفية تتجه اتجاهاً جديداً ينماشى وروح العلم من جهة ويتفاعل مع المفاهيم والمبادئ العلمية من جهة اخرى . وكانت اللغة بمعناها الواسع الذي يشمل لغة الحياة اليومية واللغات العلمية المختلفة هي موضوع بحث الفلسفة وتحليلاتها المنطقية . لقد حقق التحليل المنطقي في حقل الرياضيات الشيء الكثير ، وكانت نتائجه مثمرة وذات فاعلية كبيرة في الدراسات الفلسفية ، فاذا كانت الفلسفات الميتافيزيقية عقلية او حدسية تعتمد نتائجها على قدرة الفيلسوف في التأمل وصياغة العبارات المعقدة ، فان التحليل المنطقي يقدم طريقة فلسفية وعلمية تعتمد صياغة العبارات بوضوح وبساطة من دون تشييد انظمة فلسفية جديدة . وقد كانت الابحاث التي قدمها رسل في الاتجاه التحليلي ذات اثر كبير في

احداث تيار فلسفي في بريطانيا وخارجها ، وكان من اشد انصار هذا التيار واكثرهم انجازاً فيه لودفيج فتجنشتاين الذي يعتبر من اكبر رواد الفلسفة التحليلية والتحليل المنطقي للغة .

ولد فتجنشتاين في فينا Wien في ٢٦ نيسان (ابريل) عام ١٨٨٩ ، وهو احد فلاسفة العصر واعمقهم فكراً واكثرهم اصالة وابداعاً . لقد أثرت فلسفته في اهم اتجاهين فلسفيين ظهرا في القرن العشرين هما : الوضعية المنطقية Logical Positivism ، والفلسفة التحليلية Analytic Philosophy او ما تسمى عادة بالفلسفة اللغوية Linguistic Philosophy المعروفة في بعض الاحيان بمدرسة كبردج الفلسفية . ولا نريد هنا بحث تأثير فتجنشتاين تفصيلاً ، لان ذلك امر تقوم به عند استعراضنا للفلسفة المعاصرة في تياراتها التحليلية المختلفة<sup>(١)</sup> . ولكننا في الوقت نفسه لا بد ان نشير الى الانطلاقات الفلسفية الرئيسة التي بدأت من تأثير فلسفة فتجنشتاين ، والتي اعتمدت على ما قام به من بحث اثناء قيامه بالقاء محاضراته او عن طريق محلفاته الفلسفية او عن طريق الاتصالات الشخصية . فلقد كان تأثير فتجنشتاين في الوضعية المنطقية كبيراً ، ولم يقتصر هذا التأثير على ما الفه فتجنشتاين فقط ، بل كان للاتصالات الشخصية التي قام بها زعيم جماعة فينا Wiener Kreis الاستاذ مويتر شلك Moritz Schlick اكبر الاثر في وضع البدايات الاولى لفلسفة الوضعية المنطقية . وبكفي فتجنشتاين فخراً في عالم الفلسفة انه اول من نبّه الى اهمية اللغة وأثر قواعدها في الستاكس Syntax والمعاني . فكان بذلك الرائد في توجيه التيار اللغوي في الفلسفة ،

---

(١) يعود الفضل الى فتجنشتاين في ظهور تيار « اللرية المنطقية » ، كما يعود الفضل إليه بتأسيس التيار التحليلي في بريطانيا بزعامة وزدم Wisdem ورايل Ryle وغيرهم . وساعد جماعة فينا في توضيح فلسفته التحليلية ، وهي الفلسفة التي اتخذت شكلاً جديداً في حقل اللغة والرياضيات والمنطق والعلوم التجريبية . وما يزال تأثيره مستمراً في الفلسفة المعاصرة الى يومنا هذا .

وهو التيار الذي ما زال مسيطرًا على جزء كبير من التفكير الفلسفي في كثير من مدارس أوروبا وأمريكا الفلسفية. لقد شرح فتجنشتاين نظريته الفلسفية في كتابه «رسالة منطقية - فلسفية»<sup>(1)</sup> الذي أصبح فيما بعد أساساً للدراسات التحليلية - اللغوية في الفلسفة ، واكتسبت مناقشاته مع طلابه وأعضاء جماعة فيينا مكانة عظيمة في الأبحاث الفلسفية ، وزاد من تأثير أفكاره الفلسفية محاضراته التي القاها في جامعة كمبردج ، والتي أصبحت فيما بعد أساساً لاتجاه تحليلي جديد تبناه عدد من الفلاسفة التحليليين .

ولكي نتفهم ما انتجه من أفكار في الفلسفة علينا ان نتعرف على بعض الجوانب الخاصة بحياته الفكرية لما لها من علاقة وثيقة بمواهبه الفلسفية والمنطقية. وإذا دققنا النظر في فلسفته المتضمنة في «الرسالة» لوجدناه يستعين بمعرفة خارجة عن نطاق الفلسفة ، يحاول تطبيقها على دراساته الفلسفية ، فنظريته في اللغة قائمة على اعتبار القضايا صوراً للواقع ، وهي تبين لنا أثر المعرفة الهندسية عند فتجنشتاين ، فهو فنان وموسيقي ومهندس ، اجتمعت فيه هذه المواهب ليصبها في المعرفة الفلسفية بأسلوب جديد ، فيُخرج لنا نمطاً جديداً من التفكير الفلسفي .

كانت رغبة فتجنشتاين منذ صغره دراسة الفيزياء على يد العالم بولتزمان Boltzmann في جامعة فيينا ، ولكن هذه الرغبة لم تتحقق ، لان بولتزمان مات سنة ١٩٠٦ قبل ان يتم فتجنشتاين دراسته الثانوية . وبدأت دراسته للهندسة في برلين ، ف شعر بقدرة فائقة على استخدام الآلات وتحريكها ومعرفة اجزائها ، وانتقل الى انكلترا لدراسة الهندسة في جامعة مانشستر ، ولكن رغبته في الهندسة بدأت تتحول الى دراسة موضوع آخر وجد فيه رغبة ملحة لعلاقته بالهندسة وهو الرياضيات ، ولكنه سرعان ما اتجه الى الرياضيات البحتة وفلسفتها ، فكان ذلك اهم تحول في حياته الفكرية . انتقل بعد ذلك الى جامعة

---

(1) Wittgenstein, L., Tractatus Logico-philosophicus.

كبردج للدراسة فلسفة الرياضيات على برتراند رسل . وكان لظهور كتاب « اصول الرياضيات Principia Mathematica » لرسل ووايتهيد قبل الحرب العالمية الاولى اثره البالغ في فلسفة فتجنشتاين المنطقية واللغوية . وقد لعبت العلاقة بينه وبين رسل دوراً كبيراً في نضوج افكاره وتحديد اتجاهه .

اعتقد فتجنشتاين بعد اصدار كتابه « رسالة منطقية-فلسفية » انه استطاع حل جميع المشكلات الفلسفية ، فانقطع عن الفلسفة مدة طويلة ، ولكنه عاد اليها عندما احسن ان باستطاعته تقديم افكار وآراء جديدة في الفلسفة ، فكانت ارادته هذه بداية لتكوين فلسفة جديدة تختلف عن فلسفته التي عرضها في كتاب « الرسالة » . وكانت السنوات التي عاد بها الى كبردج كضيفة بتطوير فلسفته الجديدة التي احتواها الكتاب الازرق Blue Book والكتاب البني Brown Book ، وهي مجموعة المحاضرات التي ألقاها على طلبته . واصبحت هذه الآراء والافكار اساساً لكتابه الرئيس « بحوث فلسفية Philosophische Untersuchungen » ، وبقي فتجنشتاين يحاضر في كبردج حتى انتهاء السنة الدراسية ١٩٣٥ - ١٩٣٦ ، وعاد الى كبردج حيث خلف جورج مور G. Moore في كرسي الاستاذية للفلسفة ، ثم ترك محاضراته في كبردج ، ليتفرغ للبحث في سنة ١٩٤٧ . وانجز الجزء الثاني من كتابه « بحوث فلسفية » . وتوفي فتجنشتاين في ٢٩ نيسان (ابريل) عام ١٩٥١ في كبردج بانكلترا بعد اصابته بمرض السرطان .

## I - تطور فلسفته

اذا تتبعنا التطور الفكري لفتجنشتاين في فلسفته ، نجد انفسنا امام مفكر فيه أثر المثالية الالمانية وفلسفة شوبنهاور بصورة خاصة . ولكن تأثره بالمنهج التحليلي في الفلسفة والمنطق جعله يتحول من المثالية الالمانية ، وان كانت نظراته الصوفية متأثرة بها . وعلى الرغم من الاختلافات الفكرية التي

ظهرت في فلسفته المبكرة والمتأخرة ، ورفضه بعض الافكار التي تبناها في كتاب « الرسالة » ، الا اننا نلمس ثبوتاً في المنهج التحليلي للغة في جميع مراحل تطور فلسفته ، بل اننا نجد تشابهاً في المواقف بين فلسفته الاولى والاخيرة بصدد تحليل موضوعات متصلة بالاسماء والقضايا والافكار ، وان كانت النتائج التي توصل اليها مختلفة ومتعارضة في بعض الاحيان . وفي سبيل بيان تطور نظراته الفلسفية ارى ان نقسم مراحل التطور لفلسفته الى ثلاث مراحل رئيسية هي : -

١ - المرحلة المبكرة التي بدأت منذ ان تتلمذ على يد برتراند رسل واصبح زميلاً له ، وقد تنوجت هذه المرحلة بكتابه « رسالة منطقية - فلسفية » ، وهو البحث الذي يبين بشكل واضح الآثار التي تركها رسل وفريقه في تفكيره ، اضافة الى استخدامه طريقتهم في التحليل المنطقي للغة .

٢ - المرحلة الوسطى او المرحلة الانتقالية التي بدأت عندما ادرك فتحششتاين ان فلسفته في كتاب « الرسالة » غير قادرة على تقديم تحليل مقنع للغة وعلاقتها بالعالم الخارجي . فكانت محاضراته التي القاها على طلبته في جامعة كبردج والتي جُمعت في الكتاب الازرق والبي بمثابة المرحلة الجديدة تختلف عن الاولى ، ولكنها في الوقت نفسه لم تقطع الصلة بينها وبين المرحلة الاولى ، اضاف الى ذلك ان الفلسفة الجديدة التي بدأت خطوطها بالظهور لم تأخذ بعد شكلها النهائي .

٣ - المرحلة المتأخرة التي تتميز بنضوج اتجاه فلسفي جديد يختلف تماماً عن اتجاهه في المرحلة المبكرة ، لانه يرفض فيه فلسفته النورية المنطقية التي تؤكد وجود بسائط تنحل اليها اللغة وتتكون منها العبارات المختلفة ، وتبين ان لا بد من وجود علاقة في التركيب

بين اللغة والعالم الخارجي . فاستعان فتجنشتاين هذه المرة بالتحليل المنطقي لأقسام من اللغة ، وهي الأقسام التي تبين كيفية عمل اللغة ووظيفتها في الحياة اليومية ، فكان كتابه « بحوث فلسفية » خير معبر عن هذه المرحلة الفلسفية .

ناقش فتجنشتاين في كتابه « رسالة منطقية - فلسفية » موضوعات عديدة فلسفية ومنطقية ورياضية وفيزيائية وأخلاقية ، ولكن المهم من وراء هذا التحليل انه يريد اثبات ان معظم المشكلات الفلسفية المتعارف عليها منذ نشأة الفكر الفلسفي حتى الآن ليست مشكلات على الإطلاق ، لان مجرد تحليلها من ناحية القواعد والمعنى تظهر ان السبب في كونها مشكلات ناتج عن عدم فهم لمنطق اللغة . فلكي لا تقع في اخطاء في قواعد او منطق اللغة وضع فتجنشتاين كتابه « الرسالة » ، فهو يبين الحدود التي يجب تحديدها عند استعمال الافكار واللغة ، لان في هذا التحديد ابتعاداً عن الوقوع في مشكلات هي في حقيقتها من صنع سوء استعمال اللغة . وعلى هذا الاساس يكون فهم فتجنشتاين للفلسفة كطريقة ومنهج محدوداً باللغة وتحليل الافكار او الحقائق التي لها علاقة باجزاء اللغة ، وان القواعد التي يقترحها في كتابه ليست الا سلماً يرتقيه الباحث الى الهدف ، وعندما يصل اليه لا يكون بحاجة الى السلم . وفي ذلك يقول فتجنشتاين « ان قضايا الكتاب شارحة تبين ان الذي يفهمني يدرك اخيراً انها لا معنى لها ، عندما يتسلق فوقها ( ان عليه كما يقال ان يرمي السلم عندما ينتهي من تسلقه اياه ) <sup>(1)</sup> . ان هذا القول يدل على ان غاية فتجنشتاين هي في وضع طريقة او منهج يستعين به الفيلسوف او الباحث عند قيامه باجراء بحث او كتابة مقالة او كتاب ، لان القواعد التي يقترحها لا تؤلف فلسفة او نظاماً فلسفياً بالمعنى المتعارف عليه بين الفلاسفة ، بل تبين فقط ما يجب على الباحث او الفيلسوف ان يعمله عندما يقوم بعمل

---

(1) Wittgenstein, L., Tractatus Logico-philosophicus 6. 54.

فلسفي . ويختلف كتابه بالطريقة التي يعرض بها افكاره ، فهو عبارة عن اقوال محكمة في تسلسلها ، حيث يضع لكل قول رقماً جديداً يلي الرقم الذي سبقه ، اذا كان القول ممثلاً لفكرة قائمة بذاتها ، اما اذا جاءت بعض الاقوال الشارحة ، فان هذه الاقوال تحتفظ برقم القول الذي لها صلة به مع اضافة رقم جديد اليها يبين تسلسلها .

اذا القينا نظرة فاحصة على الطريقة التي يستخدمها فتنجشتاين في ترقيم أقواله ، فسرعان ما نتيين جدواها واهميتها ، لأنها اضافة الى كونها متسلسلة ومتتابعة تبين حقيقة هامة هي أنها تضعنا امام موضوعات رئيسة تشير اليها الارقام الجديدة كل مرة ، بحيث نستطيع تقسيم كتاب « الرسالة » الى موضوعات ستة ، يبدأ الموضوع الاول بالرقم واحد تلوه شروحات ذات صلة به ، ثم ينتقل الى الموضوع الثاني صاحب الرقم الثاني تتبعه شروحات ذات صلة به ، وهكذا الى الموضوع السادس فالسابع الذي ينتتم به فتنجشتاين رسالته بقوله « إذا لم يستطع الفرد ان يتكلم عن موضوع ما ، فان عليه ان يصمت »<sup>(1)</sup> والموضوعات الرئيسة التي احتواها كتابه هي : -

١ - اراد فتنجشتاين في بداية البحث تثبيت المبدأ الاول عن « ما هو العالم » ليقرر انه يتألف من وقائع ، وكانت غايته تحديد البحث والمجال الذي يتحرك فيه . فليس العالم الذي يفهمه هو عالم رجل الفيزياء او عالم الادراك الحسي او غير ذلك ، بل عالم مؤلف من وقائع فقط وليس من اشياء<sup>(2)</sup> .

واذا تحدد العالم بالوقائع فقط ، فلا مجال للكلام عن موجودات خارجة عن هذا العالم ، بل ولا مجال لتكوين قضايا عن اشياء ليست موجودة في عالم الوقائع .

(1) Ibid., 7

(2) Ibid., 1.1.

٢- ثم انتقل الى الموضوع الثاني ، وهو موضوع له صلة بالموضوع الاول لارتباطه ببحث الوقائع ، لان فتجنشتاين يحدد هنا ما هي هذه الوقائع من حيث التكوين والاشياء التي تدخل في تركيبها ، ويبحث عن كتب اشكال الاشياء وصفاتها واختلافاتها وارتباطاتها في الوقائع . ويميز بين انواع الوقائع واشكالها المنطقية ليصل الى مفهوم منطقي هو الصورة « Das Bild » باعتبارها النموذج للحقيقة<sup>(١)</sup> ، وان الصورة تتفق مع الحقيقة او لا تتفق ، انها صحيحة او ليست صحيحة ، صادقة او كاذبة<sup>(٢)</sup> . وتظهر غايته واضحة من بحث هذا المفهوم عندما نجده يتحول الى دراسة القضايا واللغة والمنطق .

٣- يناقش فتجنشتاين في مستهل الفقرة الثالثة الفكر وعلاقته بالعالم الخارجي ، ثم يتناول بالبحث القضية وعلاقتها بالمعنى والدلالة . ولما كان موضوع القضايا ذا اهمية كبيرة بالنسبة للمنطق والفلسفة والعلوم نجد فتجنشتاين يحلل القضية وطريقة تركيبها وعلاقتها بالواقعة ليصل بعد ذلك الى فهم دقيق للغة والمنطق . واذا كانت القضايا تتألف من عناصر لغوية تترتب بشكل او باشكل معينة تبعاً لقواعد ستاكسية ، فان الواقعة التي تتألف بدورها من اشياء يكون بينها وبين مكونات القضية علاقة واحد بواحد . ان تحليل فتجنشتاين للقضية ادى به الى الاهتمام بالمعنى واختلافه بالنسبة للرمز الواحد ، فكان عليه ان ينتقل الى الطريقة الرمزية Symbolism لتجنب الغموض والالتباس الذي تقع فيه لغة الحياة اليومية . وبذلك واجه فتجنشتاين الرمزية المنطقية لبرتراند

(1) Ibid., 2.12

(2) Ibid., 2.21

رسل ميبناً بعض الاخطاء في نظريته المعروفة بالانماط المنطقية<sup>(١)</sup> .

٤ - يبدأ فتجنشتاين تحليله في بداية الفقرة الرابعة عن القضية المقيدة وعلاقتها بالفكرة ليقرر ان اللغة هي المجموع الكلي للقضايا<sup>(٢)</sup> ، ويبين بعد ذلك موقفه من القضايا الميتافيزيقية التي يرى انها خالية من المعنى وان معظم الاسئلة والقضايا التي عملها الفلاسفة تقوم على عدم فهم لمنطق اللغة . ويركز بحثه على القضايا وعلاقتها بالعالم الخارجي ، وخصائصها من حيث الصدق والكذب ، فيرى ان القضية تبين وجود الوقائع الذرية وعدم وجودها ، وان المجموع الكلي للقضايا الصادقة هو مجموع العلم الطبيعي<sup>(٣)</sup> . وهكذا يتلرج بالتحليل ليصل الى دراسة الموضوعات المنطقية الهامة ، وهي الموضوعات التي ناقشها رسل وفريجه من قبل في دراساتهم المنطقية عن المفاهيم المنطقية الصورية والصدق والكذب للقضايا . وهنا يضع فتجنشتاين نظريته المنطقية في المتعادلات Tautology والمتناقضات Contradiction بعد ان يبين احتمالات الصدق ودالات الصدق للقضايا المركبة ( الجزيئية ) .

٥ - ثم يتناول فتجنشتاين في الفقرة الخامسة وملحقاتها النظرية المنطقية الاشتقاقية او الاستنتاجية . ويستعين لبناء النظرية المنطقية بخط شيفر المنطقي الذي بواسطته نستطيع تعريف جميع الروابط المنطقية المعروفة في منطق القضايا عند رسل . ويناقش السببية مؤكداً ان الاعتقاد بالسببية خرافة<sup>(٤)</sup> ، وانه لا يمكن ابدأ استنتاج وجود شيء ما من وجود شيء آخر يختلف عنه كلياً . وينتقل لمناقشة

(1) Ibid., 3.331

(2) Ibid., 4.001

(3) Ibid., 4.11

(4) Ibid., 5.1361

الاحتمالية اعتماداً على نظريته المنطقية وعلى أساس ان الاحتمالية التي تعطيها الواحدة الى الاخرى هي  $1/2$  . ان منطق رسل وفريجه يفترض وجود افكار اولية غير معروفة ، ويرى فتجنشتاين ان تكون هذه الافكار مستقلة الواحدة عن الاخرى ، وانه اذا افترضنا فكرة اولية ، فمن الضروري ان تكون هذه الفكرة مرتبطة بمجال لغوي او منطقي ، وينظر فتجنشتاين الى المنطق من زاوية جديدة لها صلة بالرمزية من جهة وبالفكر من جهة اخرى ، مبتغياً بناء نظريته المنطقية ومصححاً بعض الآراء التي سبقه بها فريجه ورسل .

٦- ولما كانت غاية رسل وفريجه اشتقاق الرياضيات من المنطق ، وان النظرية المنطقية تقوم بدور الاساس في الاشتقاق ، فان انتقال فتجنشتاين الى تعريف العدد وعلم الحساب عامه بعد الانتهاء من وضع نظريته في دالة الصدق والقضايا ، يبيّن بوضوح ضرورة مناقشة مفهوم العدد في الباب الذي يلي ، وهو الباب الذي يبدأ بالفقرة السادسة . يرى فتجنشتاين ان مفهوم العدد ليس الا ما هو مشترك بين جميع الاعداد<sup>(١)</sup> . فيعرف الاعداد استناداً الى قوله ان العدد هو الاس لعملية ، وان العدد واحد هو  $0 + 1$  وان  $2 = 0 + 1 + 1$  وان  $3 = 0 + 1 + 1 + 1$  وهكذا . ويقرر فتجنشتاين نتيجة لنظريته ان لا حاجة بنا الى نظرية الفئات في الرياضيات ، ويعود من جديد لمناقشة السببية في الفيزياء مع تحليل للنظرية الميكانيكية التي وضعها نيوتن لوصف العالم . وهكذا يقوم فتجنشتاين في الفقرة السادسة بدراسة الميكانيك والقوانين الطبيعية والاستقراء وهي الموضوعات التي تؤلف في المنطق الجانب التجريبي

(1) Ibid., 6.021

كما يناقش علم الاخلاق بما فيه من مفاهيم تتعلق بالسعادة والحياة والموت وغير ذلك . وهكذا ينتقل فتجنشتاين لوضع نظرية ميتافيزيقية - صوفية وجد نفسه واقعاً فيها بعد تحليل واسع للغة والعالم الخارجي والمنطق والعلوم والاخلاق .

وعندما اقتنع فتجنشتاين بضرورة العودة الى الفلسفة بعد فترة طويلة انقطع عنها ، بدأ بمناقشة اللغة من زاوية جديدة هي غير زاوية المنطق والرياضيات ، فاستعان بنظرية المعرفة وعلم النفس والعوامل المختلفة التي تحيط باللغة عندما يستعملها الإنسان في الحياة اليومية ، فليست اللغة مجرد قضايا لها علاقة واحد بواحد مع الوقائع ، بل انها اداة لتحقيق اغراض بشرية ، فهي تحقق الاهداف التي يسعى لها الكائن البشري في سعيه ومثابرته . وهكذا بدأ يشق الطريق لبناء فلسفة تحليلية جديدة تقوم على دراسة لوظيفة اللغة وعملها اليومي . فمن المعروف ان الفرد يستخدم اللغة لاجل تحقيق بعض الحاجات وان وظيفة اللغة تتحقق عندما تكون بين الافراد الذين يتحدثون بها علاقة ، بحيث نرى عدد من المنبهات تثير استجابات بين الافراد . وهذا معناه : ان تحليل اللغة كما يراه فتجنشتاين في هذه المرحلة يستلزم شخصاً يتحدث بها وشخصاً آخر يستمع اليه مع ملاحظة لما تحدثه اللغة من منبهات يستجيب لها المستمع عن طريق القيام بعمل . واذا نظرنا الى اللغة في عملها اليومي ، نجد وضعيات لغوية مختلفة تختلف فيها المنبهات والاستجابات ، وان ابسط هذه الوضعيات اللغوية هي ما يتم بين فرد وآخر . ويسمى فتجنشتاين هذه الوضعيات اللغوية « لعب لغوية Sprachspiel » ، وهو الاصطلاح الذي يؤلف محور فلسفته في تحليل المعاني والانفعالات والافكار والسلوك .

شرع فتجنشتاين بتطوير هذا الاتجاه الفلسفي عندما كان يقوم بالقاء المحاضرات على طلبته في جامعة كبريدج ، وهي الدروس التي احتواها الكتاب الأزرق والبي ، ثم حاول تنقيح بعض الافكار وتطويرها في بحثه الفلسفي المعروف « بحوث فلسفية » ، الذي تناول فيه موضوعات منطقية وفلسفية

في غاية الاهمية نورد بعضها الآن : -

١ - يناقش المناطق والفلاسفة اللغة ومكوناتها الاساسية ، وتلعب الاسماء دوراً رئيسياً في مناقشتهم باعتبارها اوليات البحث المنطقي . وقد تناول فتجنشتاين هذا المبحث في كتابه «رسالة منطقية - فلسفية» من وجهة نظر ذرية ، وذلك بأن تكون علاقة الاسم بالشيء هي علاقة واحد بواحد . اما في «بحوث فلسفية» فان فتجنشتاين يتخلى عن هذا الاتجاه ، ليجت معني الاسماء من خلال وظيفة اللغة وعملها . ولكننا في الوقت نفسه لا نستطيع القول بالاطلاق ان فتجنشتاين رفض نظريته الاولى ، وذلك لان النظرية الذرية تستخدم الاغراض المنطقية واللغة التي يستهدف عالم المنطق تكوينها ، اما نظريته الجديدة فانها تبحث في فعالية لغة الحياة اليومية بعيداً عن مستلزمات المنطق وشروطه .

٢ - تلخص نظرية المعنى في كتاب «الرسالة» بأنها تبحث في معنى الرموز من ناحيتين : الناحية الاولى في علاقة الرمز بالشيء او بالفكرة ، والناحية الثانية في علاقة الرمز بالرموز الاخرى . وهذا يدل على ان نظريته اهتمت بالسيمانطيقا والاستاكس . اما نظرية المعنى في كتابه «بحوث فلسفية» فانها ارجماطيقية على اساس ان فتجنشتاين يحدد معنى الرمز في وظيفته الحياتية ويصطنع لذلك اجزاء لغوية مبنياً فيها وظيفة الرمز ومعناه . وقد اطلق على هذه الاجزاء اللغوية اسم «لغة لغوية» Language-game ، ليسين فيها وظيفة الرموز ودلالاتها او معانيها في الحياة اليومية .

٣ - لم تقتصر نظرية المعنى في كتابه الاخير على تلك الرموز التي نسميها اسماء علم ، بل تجاوزتها للدراسة الافعال وآثارها السيكلوجية فانهمك في دراسة سيكلوجية اللغة لتحديد معاني الرموز المستخدمة

فيها . اما في كتاب «الرسالة» فان الامر مختلف ، لانه بحث علاقة الرموز في اطار التحليل المنطقي للغة مستهدفاً توضيح دور الرموز في النظرية المنطقية وفي نظرية المعرفة واستعمال هذه الرموز في الدراسات المختلفة ، في الرياضيات والفيزياء والفلسفة .

## II - الفلسفة والتحليل

ان المحور الرئيسي لفلسفته المنطقية هو تبنيه لآراء فريجه ورسل في المنطق والتحليل المنطقي ومحاولاته العديدة لتطوير نظرية منطقية وفلسفية من قاعدة متينة مُحققاً من وراء ذلك الاهداف الرئيسية الآتية : -

١ - ربط المنطق بالواقع ، او بعبارة ادق النظر الى الواقع من خلال الادوات المنطقية ، بحيث يبدو الواقع وكأنه مجموعة صور مماثلة لصور منطقية .

ب - التخلص من الآثار الميتافيزيقية في الفلسفة عن طريق تطوير نظرية التماثل بين اللغة والوقائع ، بحيث تظهر لنا ان معظم المشكلات الفلسفية ليست مشكلات بثنائاً ، لانها في حقيقة امرها ناتجة عن سوء استعمال الفلاسفة للغة او لجهلهم بقواعد الستاكس اللغوي .

ج - تطوير بعض النظريات المنطقية والرياضية مع نقد دقيق لنظريات فريجه ورسل . وقد حقق فتجشتاين في هذا الجانب الكثير من الانجازات المنطقية وخاصة في حقل نظرية المعنى والقضايا وفي حقل أسس الرياضيات .

واذا تصفحنا كتاب «رسالة منطقية - فلسفية» قصد فهم الموضوعات الرئيسية التي ناقشها ، نجد محتويها على الموضوعات الآتية : -

١ - نظرية التماثل بين اللغة والعالم الخارجي .

٢ - نظرية المعرفة والمنطق .

٣ - اصول الفيزياء .

٤ - علم الاخلاق .

٥ - التصوف والميتافيزيقا .

تعتمد نظرية التماثل بين اللغة والعالم الخارجي على تحليل لمكونات كل منهما لمعرفة المقومات او اللبئات البسيطة التي تتألف منها اللغة والعالم الخارجي ، فهي نظرية تتناول طبيعة القضايا وعلاقتها بالواقع على اساس وجود صلة تماثل بين القضية والواقعة ، وعلاقة مطابقة بين اجزاء القضية واجزاء الواقعة ، بحيث يمكن النظر الى هذه العلاقة على اساس التماثل في التركيب . واذا رجعنا قليلاً الى الوراء قصد التعرف على الدوافع الاساسية وراء هذا الطراز من التفكير ، فاننا نجد الجواب في حياة فنتجشتاين ، فلقد كان ذا موهبة علمية وهندسية وموسيقية ، وكانت هوايته الاولى دراسة الهندسة وبناء الآلات ، فتعلم انه من الضروري رسم خارطة لآلة او بناء قبل البدء بالعمل ، وان تركيب الآلة او البناء يخضع لشروط الخارطة ومقاييسها ، بحيث تكون هناك علاقة توافق تامة بين الخارطة والشيء الذي نريد تكوينه او اقامته . ويصدق التحليل نفسه بالنسبة الى لغة الموسيقى ، فان المقطوعة الموسيقية في انغامها تخضع الى تركيب اللغة الموسيقية الموضوعة للمقطوعة ، وان العلاقة بين اجزاء اللغة والانغام هي علاقة تماثل او توافق او علاقة واحد بواحد . ان هذه المعرفة الهندسية والموسيقية هي التي اوحى الى فنتجشتاين بالتفكير في العلاقة بين القضية والواقعة ، لان القضية من حيث التركيب لا تختلف عن الخارطة او اجزاء اللغة الموسيقية ، وان الواقعة لا تختلف عن البناء والانغام ، انها تشابه من حيث وجود علاقة المطابقة بين التركيب ومادته .

واحتوى كتاب « الرسالة » كذلك على نظرية فنتجشتاين المعروفة بدالات الصدق المرتبطة بنظريته في القضايا الجزئية والمتعادلات ، بحيث يمكن القول ان نظرية دالات الصدق وفكرة اللغة كصورة للواقع يكونان

جوهر الرسالة ، ومنها ظهر مذهبه الميتافيزيقي او الصوفي .

ارى قبل تحليل آراء فتجنشتاين الفلسفية ان اتعرض اولاً الى تحديد موقفه من الفلسفة بصورة عامة ، مبيناً ماهية الفلسفة ووظيفتها وغايتها . تناول فتجنشتاين هذه المسألة بشكل واضح عندما رفض ان تكون الفلسفة نظرية او مذهباً ، واعتبرها مجرد طريقة في التحليل وتوضيح الافكار . وفي سبيل ان يكون هذا الموقف اكثر وضوحاً لا بد ان نذكر بأن الفلاسفة حاولوا دائماً بناء انظمة فلسفية مختلفة تناولت موضوعات متعددة بعضها يتصل بالعالم الخارجي وطبيعته وبعضها يتصل بمفاهيم تستخدمها العلوم التجريبية ، وبعضها يتصل بمفاهيم لا تمت للعلوم بصلة ، وهكذا كان الفلاسفة يقحمون انفسهم في موضوعات هي من اختصاص العلوم ، في حين نجد فتجنشتاين ينادي بالكف عن هذا العمل الفلسفي والاتجاه بالفلسفة الى التحليل والتوضيح ، وفي ذلك يقول صراحة : « ان الفلسفة ليست علماً من العلوم الطبيعية » .

(يجب ان تعني كلمة « فلسفة » شيئاً ما فوق او اسفل ، ولكن لا يمكن ان تكون في مستوى العلوم الطبيعية ) .<sup>(1)</sup>

واذا ابتعدنا بالفلسفة عن حقل العلوم الطبيعية على اساس انها ليست علماً تجريبياً ، فإنها عندئذ تقع في دوائر الميتافيزيقا والغيبيات او ان نجد لها طريقاً آخر تساهم بواسطته في تطوير المعرفة . وهنا تصبح مهمة الفلسفة مقتصرة على توضيح الافكار والمبادئ للعلوم من دون ان يكون لها الحق في بناء الافكار والمبادئ العلمية . وتوضح افكار فتجنشتاين هذه الحقائق بصراحة :

« ان هدف الفلسفة هو التوضيح المنطقي للافكار .

ليست الفلسفة نظرية ، بل فعالية .

يحتوي العمل الفلسفي جوهرياً على شروحات .

(1) Wittgenstein, L., Tractatus Logico-philosophicus 4.111.

نتيجة الفلسفة ليست قضايا فلسفية ، بل العمل على توضيح القضايا .  
ان على الفلسفة ان تقوم بتوضيح وتحديد الافكار الغامضة والمشوشة  
بدقة<sup>(١)</sup> .

حصر فتجنشتاين مهمة الفلسفة في دائرة ضيقة جداً ، واكتفى بتحديدتها  
في التوضيح والتحليل من دون ان يكون لها واجب اضافة اية معرفة جديدة .  
ولكن هذا المفهوم الضيق مرعان ما يواجه صعوبات كثيرة اهمها : -

ا - اذا كانت غاية الفلسفة توضيح الافكار والقضايا ، فان ذلك يستدعي  
ان يكون للفلسفة مبادئ محددة يهتدي بها الباحث ، كما يجب ان  
يكون للتوضيح منهج واضح المعالم ، والا ضاعت جهود الفيلسوف  
وتحولت المهمة الى اجتهادات ذاتية يختلف الفلاسفة في تطبيقها .

ب - اذا كان جوهر العمل الفلسفي تحديد الافكار الغامضة والمشوشة ،  
فان علينا واجب الاستعانة بنظرية التعريف مثلاً مع العلم ان نظرية  
التعريف تؤلف زاوية مهمة في العمل المنطقي والفلسفي ، وهي  
تألف من مبادئ في تحديد الافكار . والسؤال الذي يطرح هو ما  
هو موقف فتجنشتاين من نظرية التعريف ؟ انها لا تنتمي الى العلوم  
الطبيعية او التجريبية . واذا افترضنا انها جزء من فعالية الفلسفة في  
التوضيح ، فان علينا ان نسلم بضرورة بناء نظرية تحليلية عامة في  
الفلسفة<sup>(٢)</sup> .

ج - اذا اردنا تطبيق فعالية التحليل على مفاهيم العلوم الطبيعية والرياضية  
مثلاً ، فان علينا قبل الولوج في هذه الفعالية ان تكون لدينا معرفة

---

(١) Ibid., 4.112.

(٢) ان النظرية التحليلية التي اقامها رودلف كارناب في الستاكس والسيمانطيقا تعطينا  
الدليل على فعالية التحليل في تحديد مفاهيم المطلق والرياضيات ومفاهيم اللغة المنطقية . ( انظر  
القسم الثالث ) .

بالعلم الذي نقوم بتحليل افكاره وقضاياها من جهة ، ونسعى بعد اتمام  
الفعالية التحليلية الى اعادة بناء المفاهيم والقضايا من جهة اخرى .  
وهذا يدل على امكانية تطوير نظريات جديدة اساسها التحليل ،  
وبالتالي امكانية اضافة معارف جديدة<sup>(١)</sup> .

استناداً الى النقاط الثلاث يجب ان يكون التحليل اكثر فعالية وانجازاً مما  
تصوره فتجنشتاين ، لان العملية التحليلية تقتضي اعادة البناء او التركيب ،  
وتستلزم وجود نظرية تتحدد في اطارها منهجية التحليل والمبادئ العامة التي  
يستلزمها . وسواء اخذنا بمفهوم التحليل عند فتجنشتاين ام المفهوم الموسع ،  
فان العملية التحليلية ذات فعالية قوامها التخلص من الغموض والتشوش في  
الافكار والمفاهيم ، وهذا يؤلف الجانب السلبي ، بينما يكمن جانبها الايجابي  
في تسهيل مهمة العالم في الحصول على افضل النتائج . ويظهر الجانب السلبي  
بوضوح ازاء النظريات الفلسفية الميتافيزيقية ، حيث يرى فتجنشتاين في  
الميتافيزيقا انها مجرد عبارات فارغة لا معنى لها . وفي ذلك يقول :

« ان معظم القضايا والاسئلة التي كتبت عن اشياء فلسفية ليست  
كاذبة ، بل لا معنى لها . لذلك لا يمكننا الاجابة عن هذا النوع من  
القضايا والاسئلة مطلقاً ، بل علينا بيان سخافتها .

ان معظم الاسئلة والقضايا التي يعملها الفلاسفة تستند الى اننا لا  
نفهم منطق لغتنا<sup>(٢)</sup> .

ان التحليل الدقيق لما يقوله فتجنشتاين يعطينا فكرة واضحة عن طبيعة

---

(١) حاولت جماعة فينا وجماعة برلين مثلاً تطوير الفعالية التحليلية والاستفادة منها في العلوم  
الطبيعية والبرهان ، بحيث نجد بين جماعة فينا وبين جماعة برلين عدداً من العلماء في الفيزياء  
والرياضيات والمنطق والعلوم الانسانية بعض الاحيان وقد كانت غايتهم تخلص المعرفة من  
الميتافيزيقا وتحقيق وحدة العلوم .

(2) Ibid., 4.003.

القضايا الميتافيزيقية . فاذا كانت لدينا قضية ما وارادنا التثبت منها لمعرفة صدقها او كذبها ، فعلينا استناداً الى نظرية فتجنشتاين في التماثل ان نعرف ان كانت القضية مطابقة لواقعة ما ام لا ، فاذا كانت مطابقة فهي صادقة ، واذا كانت غير مطابقة فهي كاذبة . ولكن بعض العبارات ما لا يمكن التثبت منه بالطريقة الآتفة الذكر على الرغم من انها تظهر لنا وكأنها قضايا حقيقية مثال ذلك القضايا الميتافيزيقية التي تظهر وكأنها تشير الى اشياء معينة ، ولكن التحليل لمثل هذه العبارات يبين لنا انها خالية من المعنى ، والخطأ في هذه العبارات انها لا تخضع لشروط الستاكس المنطقي ومنطق اللغة ، بدليل ان الكلمات او الرموز المستعملة فيها لا تشير الى معان ، وبالتالي تصبح العبارات خالية من المعنى ، وما واجب التحليل الا بيان سخافتها . ويرى فتجنشتاين ان التحليل المنطقي للقضايا او العبارات الميتافيزيقية يكشف لنا عن وجود خلل في التركيب او المعنى ، وان هذا الخلل يعالج في حالة تطبيقنا لقواعد الستاكس المنطقي .

ان التحليل المنطقي للغة يتحول استناداً الى ما تقدم الى نقد للميتافيزيقا ، وفي ذلك يقول فتجنشتاين : ان الفلسفة جميعها هي نقد للغة<sup>(1)</sup> . وتتلخص عملية النقد في نقطتين اساسيتين : -

ا - بيان الاشكال والتركيب اللغوية لمعرفة الستاكس المنطقي للغة ، والكشف عن القضايا التي لا تخضع لقواعد اللغة .

ب - توضيح المعان والدلالات التي تشير اليها حدود الاشكال والتركيب لتحديد استعمالاتها الصحيحة وبيان الاستعمالات الخاطئة .

وهكذا تصبح الفلسفة فعالية نقدية للغة نحتاجها في الوضعيات التي يظهر فيها سوء استخدام يؤدي الى الميتافيزيقا ، والى الكشف عن الستاكس المنطقي

---

(1) Ibid., 4.0031.

للعلوم . ان فقد اللغة يفترض نظرية او مبادئ معينة ، فاذا ظهر لنا مثلاً ان بعض العبارات غامضة ، فعلينا ان نبين سبب هذا الغموض ، هل هو ناتج عن سوء استخدام لقواعد اللغة او عن خروج من دائرة المعنى للرمز او العبارة ؟

ان لغة الحياة اليومية ليست دقيقة ويتجلى فيها عدم الوضوح ، بينما يشترط في اللغات العلمية ان يكون لكل رمز فيها معنى واضح وان تخضع علاقات الرموز لقواعد ستاكسية معينة . ويظهر ان اللغة التي يتحدث عنها فتجنشتاين ويتخذها اساساً لمناقشة العبارات الميتافيزيقية هي لغة منطقية دقيقة ، توجد بين قضايها والوقائع علاقة واحد بواحد .

كان هدف لينتز بناء لغة رمزية عامة في سبيل التخلص من الغموض والابهام الذي يصيب الكثير من آراء الفلاسفة وحججهم ، فاشترط ان توضع للافكار رموز بحيث يكون للفكرة البسيطة رمز بسيط ولل فكرة المركبة رمز مركب ، وان لا يكون للرمز الواحد اكثر من فكرة واحدة وبالعكس ، وتكون العلاقة بين الرموز والافكار علاقة واحد بواحد . وخلاصة القول : ان نستعيز عن اللغة الغامضة بلغة رمزية دقيقة المعنى والتركيب . ان جوهر تفكير لينتز نجده بشكل جديد في فلسفة فتجنشتاين ، كما ان التحليل المنطقي عنده لا يخدم الا غرضاً جوهرياً هو التخلص من الابهام والغموض الذي غالباً ما يكتنف افكار الفلاسفة وعباراتهم . ولكن الفرق بين الفيلسوفين يتلخص في ان علاقة التماثل بين اللغة والواقع هي اساس تفكير فتجنشتاين ، بينما ينظر لينتز الى اللغة الرمزية العامة على ضوء الطبيعة الرياضية .

### III - اللغة والواقع

ان اساس التحليل عند فتجنشتاين في مناقشته لمشكلات الفلسفة هو اللغة ، وليس المقصود باللغة هنا ما هو معروف بين الناس من تعبير عن عواطف

وانفعالات واختبار ، بل انها في فلسفته المجموع الكلي من قضايا مفيدة<sup>(1)</sup> . وهذا بالطبع تحديد يجعل التحليل منصّباً على نوع معين من القضايا التي تتميز بكونها اما صادقة او كاذبة ، وبذلك تصبح اللغة عنده لغة المنطق والعلوم . ويعتقد من خلال تحليله للغة ان مهمة بحثه هي في وضع حدود للتفكير ، او بتعبير ادق : حدود تعبير التفكير ، واللغة تقوم بدور التعبير عن الافكار ، وان كل ما هو خارج الحدود يعتبر سخف<sup>(2)</sup> . وعلى هذا الاساس يطرح سؤالاً في غاية الاهمية يجعل موضوع الرسالة جواباً له هو : كيف نستطيع وضع حدود للتفكير او للغة الفكر ؟

يبدأ فتجنشتاين بحثه بتحليل الاشياء التي لها صلة باللغة والتي هي من صميم العالم الخارجي ، فيضعنا امام عالمين : عالم اللغة بما فيه من كثرة كبيرة في العبارة وقدرة في صياغة القضايا المختلفة من حيث التركيب والمستوى ، والعالم الخارجي بما فيه من اشياء متكررة مرتبطة بعلاقات وصفات تصلح ان تكون مواداً للتعبير . ان بين هذين العالمين علاقة وثيقة ، بحيث نستطيع القول ان مجموعة القضايا كلها تعبر عن المجموع الكلي للوقائع في العالم وهذه الوقائع تؤلف العالم<sup>(3)</sup> ، كما تؤلف القضايا اللغة . والوقائع التي يتحدث عنها فتجنشتاين تتألف الواحدة منها من اشياء Gegenstände ، وبناءً على ذلك يصبح الشيء مجرد جزء من الواقعة ، وهذا الشيء مستقل ، بمعنى انه يمكن ان يظهر في جميع الحالات الممكنة . ولكن شكل الاستقلال هذا هو صورة من العلاقة مع الواقعة ، وهذا امر يجعلنا ننظر اليه من زاوية اخرى على انه شكل عدم الاستقلال . فاذا نظرنا الى الشيء باعتباره قائماً بذاته وفيه احتمالات كثيرة للظهور في وقائع ، فاننا نقرر انه مستقل ، ولكن الشيء

(1) Weinberg, J. R., An Examination of Logical Positivism P. 35.

(2) Wittgenstein, L., Tractatus P.26.

(3) Ibid., 1.1.

يفقد هذا الاستقلال عند وجوده في واقعة يرتبط بعلاقتها وتركيبها العام .  
وان معرفة الشيء تستدعي معرفة جميع صفاته الداخلية . واذا كانت هذه  
الاشياء العناصر الاولى التي لا يمكن تجزئتها الى عناصر اولية ابسط منها ،  
فانها من دون شك ستؤلف جميع الوقائع الممكنة اذا ما اعطيت جميعها .

ان الاشياء في ترابطها لا ترتبط عشوائياً ولا يمكن ان تكون مجرد تجميع  
غير خاضع لشكل ، بل هي في رأي فتجنشتاين ترابط في شكل وتركيب .  
وهنا نضع ايدينا على مفهوم مهم في التحليل هو التركيب Structure .  
فبعد مناقشته للاشياء واشكالها ينظر الى علاقات هذه الاشياء في الواقعة ،  
لان الاشياء تتعلق وترابط فيما بينها في الوقائع ، وان طريقة ترابط الاشياء  
في الواقعة هو التركيب . واذا نظرنا الى العالم الخارجي وهو مؤلف من  
وقائع ، فاننا نحصل على تراكيب ترتب فيها الاشياء . ولكن نظرة فتجنشتاين  
الى الوقائع باعتبارها مستقلة الواحدة عن الاخرى تمنعنا من النظر الى العالم  
كتركيب عام وشامل ، وهذا الموقف يذكرنا بموقف لينتز في نظريته المعروفة  
بالمونادولوجيا ، حيث يرى ان كل مونادا عالم مستقل مصغر لا تؤثر ولا  
تتأثر بالمونادات الاخرى ، وبالطبع هناك اختلاف بين النظريتين ، ولكن  
المهم هو ان فتجنشتاين في نظريته هذه يتفق مع لينتز في اختيار اوليات  
متكثرة مستقلة الواحدة عن الاخرى وغير قابلة للتجزئة الى اوليات اخرى  
من نوعها .

ان الذي جعل فتجنشتاين ينظر الى الوقائع من زاوية التركيب هو دراسته  
 للمنطق وادراكه لعلاقة القضايا بالعالم الخارجي . فاذا كان للقضايا تراكيب  
 واشكال ، فلماذا لا يكون للواقعة التي تشير اليها القضية تركيب ، لا سيما  
 وان صدق قضية ما يعتمد على دلالتها . ولكي تكون القضية صادقة ، لا  
 بد من وجود تماثل بينها وبين الواقعة التي تشير اليها ، فتكون القضية بمثابة  
 الصورة للواقعة ، والصورة بطبيعة الحال تعكس التركيب كذلك . وهكذا

يصل في تحليله الى اللغة فيرى اننا نعمل لانفسنا صوراً للوقائع<sup>(1)</sup> وان العناصر التي تكون الصورة تمثل الاشياء ، لان الصورة تتألف من عناصر مرتبطة بطريقة معينة ، وان هذه الطريقة في الترابط للصورة هي تركيبها ، وبذلك تكون الرابطة بين تركيب الواقعة وتركيب الصورة وثيقة ومتماثلة . وعلى هذا الاساس يجب ان يكون بين الصورة وما تصوره شيء متماثل ، لكي تكون صورة لشيء آخر . والصورة التي يتحدث عنها من نوع خاص ، لانها قضية باعتبارها متصلة باللغة . ويرى كذلك ان كل صورة انما هي صورة منطقية ، والصورة المنطقية تستطيع ان تصور لنا العالم . وتتميز هذه الصورة بتميزة اساسية تميزها عن تركيب الواقعة وهي ان الصورة قد تتفق مع الواقعة او لا تتفق ، وان هذا الاتفاق هو الذي يجعل الصورة صادقة ، بينما تكون كاذبة في حالة عدم اتفاق الصورة مع الحقيقة . والقضية في رأي فتنجشتاين هي صورة للحقيقة<sup>(2)</sup> . وبذلك نكون بعد هذا التسلسل الفكري امام المشكلة الاساسية وهي مشكلة العلاقة بين اللغة والعالم الخارجي . لقد كان الانتقال في التحليل يسير من اوليات الواقعة وهي الاشياء الى الواقعة وتركيبها ، فكيف يكون التحليل بالنسبة للقضية ؟

اذا سلمنا ان بين القضية والواقعة نوعاً من التماثل ، فانه لا بد من التسليم بان الانتقال في التحليل يسير بخطوات شبيهة بتلك التي اعتمدها في تحليل الواقعة . فالقضية صورة للواقعة وان اولياتها هي الاسماء ، والاسم في القضية يمثل الشيء في الواقعة على اعتبار ان دلالة الاسم هي الشيء وان الشيء هو معنى الاسم . يستعير فتنجشتاين نظرية فريجه في القضايا ، فيرى ان القضية ما هي الا رمز يتألف من اوليات ، وان للقضية معنى ودلالة ، وبين المعنى والدلالة اختلاف ، وان الخلط بينها يؤدي بنا الى الوقوع في اخطاء . فللقضية معنى تعبر عنه وهو الفكرة « Gedanke » ، واننا نستطيع ان نفهم القضية

(1) Ibid., 2.1.

(2) Ibid., 4.01.

بعض النظر عن معرفتنا لدلائلها او فيما اذا كانت صادقة او كاذبة ، بينما تقوم الدلالة وهي الواقعة هنا بجعل القضية صادقة في حالة مطابقتها وكاذبة في حالة عدم مطابقتها .

وهكذا نحصل على تحديد للعلاقة بين عالم اللغة وعالم الواقع ، بحيث يمكن وضع النتائج بالنقاط الآتية : —

ا — تؤلف الاسماء الوحدات الأصغر ا — تؤلف الاشياء الوحدات في اللغة .  
الأصغر في عالم الوقائع .

ب — تتألف القضية من اسماء . ب — تتألف الواقعة من اشياء .

ح — القضية هي الوحدة الفكرية ح — الواقعة هي الوحدة الواقعية

الاساسية باعتبارها التركيب اللغوي التي يتألف منها العالم ،  
الذي يحتمل الصدق أو الكذب . ولها تركيب معين ، ولكنها

ليست صادقة وليست كاذبة .

د — القضية البسيطة غير قابلة للتجزئة د — الواقعة البسيطة غير قابلة الى قضايا ابسط منها  
للتجزئة الى وقائع ابسط منها

ان صدق القضية البسيطة ( او الدرية ) او كذبها يعتمد على الواقعة التي تصورها ، فتكون القضية صادقة في حالة مطابقتها للواقعة ، وتكون كاذبة في حالة عدم مطابقتها . والقضية البسيطة في نظرية فتجنشتاين لها ما يماثلها في العالم الخارجي وهي الواقعة البسيطة Sachverhalt . وان معنى القضية هو موافقتها وعدم موافقتها لاحتمالات وجود الوقائع وعدمه<sup>(1)</sup> . وان ابسط قضية وهي القضية البسيطة تثبت وجود واقعة بسيطة<sup>(2)</sup> . ان القضية البسيطة

(1) Ibid., 4.2.

(2) Ibid., 4.21.

تتألف من أسماء، انها ترابط او سلسلة من أسماء<sup>(١)</sup>. واذا كانت القضية البسيطة صادقة، فان الواقعة البسيطة موجودة، واذا كانت القضية البسيطة كاذبة، فان الواقعة غير موجودة<sup>(٢)</sup>. وينطلق فتجشتاين من هذه المبادئ الاساسية لبناء نظريته المعروفة بدالات الصدق Wahrheitsfunktionen. فمن المعروف ان القضية التي يتناولها المنطق بالتحليل هي تلك التي تحتمل الصدق او الكذب، فهي قضية ثنائية القيمة. ولكن ذلك لا يعني مطلقاً ان حدود المنطق في القضايا هو هذا النوع فقط، بل اننا نجد في المنطق المعاصر نظريات منطقية تتعامل مع قضايا لها اكثر من قيمتين مؤلفة بذلك منطقاً ندعوه بمنطق القيم الكثيرة او المتعددة.

اذا كانت القضية ثنائية القيمة، فان احتمالات الصدق Wahrheitsmöglichkeiten فيها هي الصدق والكذب. اما اذا كانت لدينا اكثر من قضية من هذا النوع، فان احتمالات الصدق تأخذ بالازدياد، فاذا كانت لدينا قضيتان، فان احتمالات الصدق تكون اربعة، اما اذا كانت ثلاث قضايا، فان احتمالات الصدق تكون ثمانية وهكذا. ولتوضيح ذلك نفترض ان الحروف الآتية تشير الى قضايا: ق، ل، م وان ص تعني صادق و ك تعني كاذب، فتكون جداول الاحتمالات كما يأتي :-

١- في حالة وجود قضية واحدة ٢- في حالة وجود قضيتين هما ق ول

ق	ق	ل
ص	ص	ص
ك	ص	ك
	ك	ص
	ك	ك

(1) Ibid., 4.22.

(2) Ibid., 4.25.

٣- في حالة وجود ثلاث قضايا هي ق و ل و م

ق	ل	م
ص	ص	ص
ص	ص	ك
ص	ك	ص
ص	ك	ك
ك	ص	ص
ك	ص	ك
ك	ك	ص
ك	ك	ك

وترتبط القضايا البسيطة بروابط منطقية مثل التفي والعطف والبدل والالزام والمساواة وغيرها مكونة بذلك قضايا جزئية أو مركبة ، بحيث ان صدق القضايا المركبة يعتمد على صدق او كذب القضايا البسيطة والوظيفة المنطقية التي تقوم بها الرابطة . فاذا ما اعطيت جميع القضايا البسيطة ، فان بالامكان بناء جميع القضايا وانواعها الاخرى . ويعتبر فتجنشتاين القضايا دالات صدق القضايا البسيطة<sup>(١)</sup> ، وان القضايا البسيطة هي حدود صدق القضية . ولتوضيح هذه المفاهيم نأخذ قضيتين بسيطتين مثل ق و ل مع رابطة العطف ، فيكون جدول الصدق كما يأتي :

ق	ل	ق و ل
ص	ص	ص
ص	ك	ك
ك	ص	ك
ك	ك	ك

(1) Ibid., 5

يمثل الحقل الاول والثاني احتمالات صدق القضية ق والقضية ل ، اما الحقل الثالث فانه يمثل دالات صدق القضية المركبة « ق ل » . وفي هذه الحالة تكون القضية صادقة عند صدق حدودها وكاذبة في الحالات الاخرى . وقد ميز فتجنشتاين الى جانب القضايا المتقدمة نوعين من القضايا هما : —

القضايا المتعادلة Tautologie والمتناقضة Kantadiktion وحددها بالشكل الآتي : اذا كانت القضية صادقة لجميع احتمالات الصدق للقضايا البسيطة ، فاننا نقول ان شروط الصدق Wahrheitsbedingungen متعادلة . اما اذا كانت القضية لجميع احتمالات الصدق كاذبة ، فان شروط الصدق متناقضة . وفي ذلك ندعوا القضية في الحالة الاولى متعادلة ، وفي الحالة الثانية متناقضة<sup>(١)</sup> .

اما من ناحية صلة المتعادلة والمتناقضة بالواقع وهل تشير الى شيء في العالم الخارجي ؟ فان فتجنشتاين يقرر ان القضية المتعادلة والمتناقضة خالية من ذلك كما انها لا معنى لها<sup>(٢)</sup> ، وانها — اي المتعادلة والمتناقضة — ليست صوراً للواقع<sup>(٣)</sup> . ولاجل توضيح حقيقة المتعادلة والمتناقضة نقدم الامثلة الآتية : —

متناقضة			متعادلة		
ق	ل	ق	ق	ل	ق
ص	ص	ك	ص	ك	ص
ك	ص	ص	ص	ص	ك

(حالة المتعادلة) : اذا كانت ق كاذبة ، فان نفي ق صادقة ، واذا كانت ق صادقة فان نفي ق كاذبة . ولما كانت الرابطة هي البديل ، فان القضية صادقة لجميع احتمالات الصدق ، وهذا ما يشير اليه الحقل الاوسط .

(1) Ibid., 4.46.

(2) Ibid., 4.461.

(3) Ibid., 4.462.

(حالة المتناقضة) : اذا كانت ق كاذبة ، فان نفي ق صادقة ، واذا كانت ق صادقة فان نفي ق كاذبة . ولما كانت الرابطة هي البديل فان القضية صادقة لجميع احتمالات الصدق وهذا ما يشير اليه الحقل الاوسط . ولكن القضية منفية باجمعها ، وهذه حالة تقلب الصدق الى كذب ، فتكون القضية كاذبة لجميع احتمالات الصدق .

ينتقل فتجنشتاين بعد ذلك لتثبيت بعض المبادئ في فلسفته والتي تتناول نظريته في الاحتمالية والاستقرائية وينتقد نظرية رسل في الذاتية ، كما اخذ بتطوير بناء المنطق من رابطة واحدة معتمداً بذلك على خط شيفر . وقام بمحاولة جديدة في بناء نظرية الاعداد الطبيعية ، وناقش نظرية المعرفة والفيزياء وغير ذلك من الامور المتصلة بالفلسفة .

ان نظرية المعنى لفتجنشتاين في الرسالة تختلف جذرياً عن نظريته في مرحلته الفلسفية المتأخرة ، فقد اقلع عن نظريته في التطابق بين اللغة والواقع ، واخذ بطريقة اخرى في تحليل المعنى تعتمد على تجزئة اللغة وملاحظة كيف تعمل في الحياة اليومية . فيرى فتجنشتاين ان اللغة مجرد اداة لتحقيق الاغراض والحاجات الانسانية ، وهي اداة تعمل في الحياة بطرق مختلفة لتحقيق حاجات مختلفة . فالعلماء المتخصصون والرياضيون والمعلمون والمهندسون وغيرهم يستخدمون اللغة كل حسب حاجته اليها وهدفه منها . ولكن للفلسفة مع اللغة اتجاه آخر يتجلى في عدم استخدامها لتحقيق غرض ما ، بل لتكون اداة وموضوعاً للدراسة والتحليل . ان تحليل اللغة في الحياة اليومية يضعنا امام مشكلة هي ان علينا ان نقوم بتجزئة اللغة لدراستها شريطة ان لا تضر هذه التجزئة اللغة في عملها لاداء وظيفة ما . وعملية التحليل هنا مختلفة عن تلك التي نجدها في الرسالة ، لاننا هنا لا نقوم بتجزئة اللغة الى اسماء وعبارات وقضايا ، بل الى اجزاء يمكن اعتبار كل جزء منها لغة تقوم بتحقيق غرض ما . وهذه الاجزاء هي اللغات اللغوية ، ويعود السبب في هذه التسمية على ما اعتقد الى العلاقة بين هذا النوع من اللغات ولعبة الشطرنج التي يزاوئها

اللاعبون تبعاً لقواعد معينة تقيد حركة القطع المختلفة الاشكال . فاللغة اللغوية بين شخصين يستعمل الواحد منهم على سبيل المثال عبارات متفق على معانيها ، فتكون لكل عبارة استعمال ثابتة تتحدد بالمعاني المرتبطة بها ، ولا يجوز لأحدهما استخدام العبارة خلافاً لمعانيها المعروفة ، فهي بذلك تشبه لعبة الشطرنج .

وفي سبيل توضيح معنى اللعبة اللغوية نأخذ المثال الآتي الذي يسوقه فتنجشتاين : « ارسلت احداً من الناس للشراء ، واعطيته قطعة ورق كتب عليها « خمس تفاحات حمراء » . فأخذ هذه الورقة الى صاحب المخزن الذي فتح الدولاب المحتوي على التفاح ، ثم نظر الى كلمة حمراء ليجدها في الجانب الآخر . وأخذ بتعداد الارقام مفترضين انه يعرف عدد الارقام عن ظهر قلب الى خمسة ، وكان يأخذ اثناء العد تفاحة من الدولاب ذات لون احمر »<sup>(1)</sup>

هذا المثل البسيط يبين فهم فتنجشتاين للعبة اللغوية وكيف تعمل الكلمات ، وغايتنا الآن تحليل هذا المثال لنصل بعد ذلك الى الغاية التي يريدها فتنجشتاين :

١ - ان هذا المثال يزودنا بحالة بسيطة للكيفية التي تعمل بها اللغة .

٢ - يوجد في المثال المقومات الاساسية الآتية : -

- أ - شخص يحمل ورقة وشخص آخر يستلمها .
- ب - يحمل الورقة عبارة « خمس تفاحات حمراء » .
- ج - استجابة البائع لما هو مكتوب في الورقة . يدل على ذلك حركته في البحث عن خمس تفاحات من لون احمر .
- د - استلام الشخص صاحب الورقة للتفاحات
- هـ - تحقيق الغاية المتوخاة من التبادل بين الجانبين .

(1) Wittgenstein, L., Philosophical Investigations. P. 2-3.

يظهر من تحليلنا هذا ان العملية تمت باتقان لسبب بسيط هو ان لكل كلمة مكتوبة على الورقة معنى ، وانها أثارت صاحب المخزن بطريقة تحرك فيها في عملية العدّ ، ومشاهدة اللون ونوعية الفاكهة . دعنا نفترض ان صاحب المخزن اختار برتقالاً او كرات حمراء بدلاً من التفاح ، فاننا نتوقع عندئذ حدوث خلل ما في هذه الحالة ، وتتوقف اللعبة اللغوية لعدم مراعاة قواعد استعمال الكلمات فيها .

يقدم لنا قمتجشتان مثلاً آخر للعبة لغوية اخرى تبين لنا صورة اخرى من عمل اللغة في الحياة اليومية ، وهي لعبة تقوم بين بنّاء ومساعدته<sup>(١)</sup> . يقوم البّناء بالبناء بالطابوق : ويوجد طابوق واعمدة وطين وسمنت .

على المساعد ان يقدم الطابوق كلما احتاج اليها البّناء . ولهذا الغرض يستعملان لغة تتألف من « طابوق ، عمود ، طين ، سمنت » . وينادي البّناء على مساعدة ويقوم المساعد بجلب الطابوق الذي تعلم ان يجلبه عند سماع نداء استاذة « طابوق » : لقد استعاض البّناء عن الحمل بكلمات ، فبدلاً من ان يقول « اجلب لي طابوقة » ينادي « طابوقة » ، فنجد المساعد يقوم بفعالية معينة ، فيذهب الى مكان الطابوق ويأخذ واحدة يتاولها للبّناء . واذا افترضنا ان البّناء نادى كما اعتاد في السابق ولكنه اشار الى طابوقة بقوله « هناك » ، فان المساعد يذهب الى مكان الاشارة ليحلب الطابوقة . واذا افترضنا انه اختار طابوقة غير التي اشار اليها المساعد ، فاننا نتوقع من البّناء ان يعيدها ويطلب من المساعد ان يحلب الطابوقة المشار اليها .

نلاحظ في هذه اللعبة اللغوية عدة حقائق مهمة هي : —

١ — تختلف هذه اللعبة عن الاولى بأنها تستخدم الاسماء فقط التي تشير الى الاشياء من دون استعمال جملة كاملة .

---

(1) Ibid., P. 3.

- ٢- ان الاشياء التي يريدنا البناء ويقوم بجلبها المساعد معروفة عندهما  
ويكفي ان يطلق النداء ذاكراً الاسم ليقوم المساعد بتلبية الطلب .  
٣- استعمل فتجنشتان اسم الاشارة « هناك او هذا » مستعيضاً عن  
ذكر الشيء او المكان .

استناداً الى هذا التحديد للعبة اللغوية تصبح اللغة في فلسفة فتجنشتان  
التأخرة ليست الا المجموعة المترابطة من اللغات اللغوية ، وان هذه الامثلة  
هي مجرد ايضاحات للكيفية التي تعمل بها اللغة في الحياة اليومية .

ان هذه الطريقة الجديدة في التحليل تمتد لتشمل موضوعات كثيرة ،  
وان الغاية الاساسية هي في تحديد معاني العبارات المستعملة . فالمعروف في الدراسات  
الفلسفية والمنطقية اننا نبحث الاسماء ومعانيها بشكل مجرد ، ولكن طريقة  
فتجنشتان هذه تبين لنا ان تحديد المعنى لا يكون الا في حدود اللغات اللغوية .  
وهنا نجد في موقف مختلف عن الطريقة التحليلية الاولى التي تبناها وهي دراسة  
اللغة من وجهة نظر « ذرية » اي فردية مقيّدة .

ان الغاية الاساسية من تحليل فتجنشتان تتجلى في تحديد معاني العبارات ،  
فاذا كان للرمز الواحد في اللغة المنطقية فكرة واحدة فقط ، فان للكلمة او  
لل اسم الواحد في تحليله الحالي لغة معان كثيرة هي مجموع الاستعمالات للكلمة  
او للاسم في لغات لغوية مختلفة . واذا افترضنا اسماً معيناً نرسم له A تحددت  
معانيه بالشكل الآتي : « ا ، ب ، ج ، د ، هـ » ، فان هذه المعان A هي  
استعمالات A في لغات لغوية كثيرة ، وبالتالي فانه لا يجوز لنا استعمال A بمعان  
اخرى غير المعان المرتبطة بها . ويسمى فتجنشتان هذه الاستعمالات A  
بقواعد A . وهكذا يتكلم عن القواعد الخاصة باللغات اللغوية كما يتكلم لاعب  
الشطرنج عن القواعد الخاصة بالقطع المستعملة في اللعبة وكيفية تحويلها من مربع  
الى آخر وكيفية ربح المعركة والتصادم . فاذا حدث ان استخدم الفرد كلمة  
في لعبة لغوية خلاف القواعد المتصلة بها ، يكون قد اوقع نفسه في غموض  
وجعل من عمله هذا عرقلة لعمل اللغة .

القسم الثاني

الفلسفة والفيزياء



## الفصل الأول

# الكون الميكانيكي

إسحق نيوتن

كان لتطور علم الفيزياء والفلك في العصر الحديث اكبر الأثر في تبدل الحياة الفكرية ، واتباعها أنماطاً فكرية جديدة تختلف عن تلك الأنماط التي سادت الفكر الانساني في العصور الوسطى والتي استمدت أسسها الفكرية من الارث الفلسفي والعلمي الذي تركه اليونان والعرب . وكان استحداث المنهجية في البحث العلمي واتباع الطرق الموصلة الى المعرفة من اهم الاحداث العلمية ، كما كان لتطور الرياضيات الاثر الكبير في استعانة العلوم الجديدة بالرمزية الرياضية الدقيقة . ويمكننا تلخيص الانجازات الكبيرة التي حققها التطور العلمي في تبدل نظرة الانسان وطرق تفكيره بالنقاط الآتية : -

١ - بدأ البحث العلمي يشق طريقه بثبات بعد ان عدل عن السؤال التقليدي الذي طرحته الفلسفة حول جواهر الاشياء وماهياتها ، وطرح بدلاً عنه السؤال عن ظواهر الاشياء والحركات والكيفية التي تتم بها

الظواهر . ومعنى ذلك ان البحث العلمي ترك الاجابة عن لماذا ؟ الى الفلاسفة واهتم بالاجابة عن السؤال : كيف تحدث الاشياء والظواهر ؟ . فالذي يهتم العالم التجريبي هو دراسة حركات الاشياء وتغيراتها بمساعدة الاجهزة العلمية او بالحواس المجردة ان كان ذلك ممكناً او بهما معاً ، في حين لا يستطيع الاجابة بمنهج التجريبي عن طبيعة الاشياء وماهياتها . والى جانب ذلك فان السؤال الذي يطرحه العالم عن كيفية حدوث الظاهرة يتضمن في الوقت ذاته محاولته معرفة العلاقة السببية بين العلة التي أدت الى حدوث الظاهرة والمعلول الذي يتمثل في سلوك الحدث . وبذلك يكون العلم قد ابتعد عن اجابات الفلاسفة الميتافيزيقية التي تقترض عللاً خارجة عن نطاق البحث العلمي .

بدأ البحث العلمي في إيجاد طرق جديدة لدراسة الظواهر الطبيعية ، على أساس انها تمثل منطق البحث التجريبي . فاذا كانت الفلسفة تستعين بالمنطق الصوري في الاستنتاج والاشتقاق ، فان البحث التجريبي لا يستطيع الاستفادة من المنطق الصوري مطلقاً في دراسة الظاهرة والكشف عن السببية فيها ، لذلك لا بد من وجود قواعد او طرق منطقية جديدة تساعد العلم في الوصول الى القضايا العامة او القوانين بعد دراسته للحالات الفردية . وكانت هذه القواعد تركز حول نقطة هامة هي الكشف عن العلاقة السببية بين العلة والمعلول او بين الظاهرة وعلة حدوثها . وبمكنتنا تلخيص الطرق التي عُرِفَتْ عند نيوتن بالنقاط الآتية : -

الطريقة الاولى : اذا وجدت ظاهرة ما من الظواهر الطبيعية ، فمن الضروري ان يكون لها من سبب او علة . وهذا يدل على ان لكل ظاهرة طبيعية علة ، وان عملية التعليل للظاهرة الطبيعية يجب ان تأخذ بالاسباب

الضرورة لها مبتعدة عن العوامل الاخرى غير  
الضرورة .

الطريقة الثانية : اذا وجدت عدة ظواهر طبيعية متماثلة قيد البحث  
والدراسة ، فانه من الضروري ارجاعها الى علة  
واحدة .

تنطوي هذه القاعدة على مبدأ منهجي مهم هو  
مبدأ انتظام الظواهر المتماثلة وارتباطها بعلة  
واحدة ، بحيث ان ظهور اية ظاهرة جديدة تماثل  
الظواهر الطبيعية الاخرى يقودنا الى التسليم بأن  
العلة لهذه الظاهرة هي العلة نفسها للظواهر الأخرى

الطريقة الثالثة : اذا كان بالامكان اخضاع بعض الاشياء للتجربة  
والبحث العلمي وحصلنا نتيجة لذلك على ظواهر  
تشبه ظواهر اجسام او اشياء لا يستطيع البحث  
التجريبي اخضاعها ، فان العالم يستطيع صياغة  
المبدأ العام الذي يشمل جميع الاجسام ذات  
الظواهر المتشابهة .

الطريقة الرابعة : اذا توصل البحث العلمي الى صياغة فرضية او  
فرضيات ، فان من الضروري ان تكون التجارب  
هي الاساس في صياغة الفرضية ، بحيث تبقى  
هذه الفرضية او تلك صحيحة طالما كانت التجارب  
مؤيدة لها ، وتكون غير صحيحة اذا وجدت  
ظاهرة طبيعية او حالة واحدة تناقضها او لا  
تؤيدها .

لم يقتصر البحث العلمي على دراسة الظواهر الطبيعية وتسجيل ما

يحدث لها ، بل تعدى ذلك بالطبع الى ايجاد الصيغ او القوانين العامة لتفسير اكبر قدر ممكن من الظواهر والتنبيؤ عن حدوثها في المستقبل . وقد تم ذلك بعد الاستعانة بالرياضيات وتحقيق صياغة القوانين الطبيعية بطريقة رمزية . وقد استعان نيوتن بهندسة اقليدس والهندسة التحليلية لديكارت وحساب التفاضل والتكامل الذي ابتكره هو فساعده في بناء نظريته الميكانيكية .

يظهر من دراسة هذه النقاط والطرق ان نيوتن قد ادرك اهمية المنهج العلمي في البحث وطبقه في كتابه المشهور « المبادئ » Principia الذي نشره عام ١٦٨٧ ، وكان له اكبر الاثر في خلق التيار العلمي والفلسفي الذي ساد عدة قرون حتى مطلع القرن العشرين ففتح باباً جديداً في النظرة الى الكون ومناهج العلوم .

ولد اسحق نيوتن في وولستورب Woolstorp بانكلترا في اليوم الرابع من شهر كانون الثاني سنة ١٦٤٣ . أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في قريته وتقدم الى دخول جامعة كمبرج سنة ١٦٦٣ ، ولكن وباء الطاعون حل بالمدينة مما اضطر الجامعة الى اغلاق ابوابها . ثم عاد نيوتن بعد زوال الطاعون الى جامعة كمبرج وورثه استاذة لكرسي الرياضيات سنة ١٦٦٩ . وانصرف الى تأليف كتابه « المبادئ » الذي احتوى ابحاثه عن حركة الاجرام السماوية وحركات الاجسام على الارض ، وتوفي في العشرين من شهر آذار سنة ١٧٢٧ بعد ان حقق انجازات رائعة في حقل العلم الطبيعي ، وهي الانجازات التي تعدى تأثيرها نطاق العلوم الطبيعية الى العلوم الاجتماعية والحضارية والنفسية .

ارتبط اسم نيوتن بالكثير من الانجازات العلمية والفلسفية ، واننا لنذكر الآن تلك الانجازات التي حققت تقدماً علمياً ونظرة فلسفية عميقة للكون ، والتي بدلت كثيراً من المفاهيم الخاطئة عن العالم الخارجي وتعليقات الظواهر فيه .

١ - يعتبر نيوتن واضع علم حساب التفاضل والتكامل . وهو العلم الذي مكّن نيوتن من صياغة افكاره وتعليقاته عن الظواهر الطبيعية بلغة رياضية . وقد استعان نيوتن ببعض الابحاث الرياضية التي سبق ان نشرها عالم الرياضيات فرما Fermat عن المستقيم المماس لمنحنى ، وكانت غاية نيوتن من وضع علم التفاضل والتكامل دراسة الاجسام المتحركة ، وهل بالامكان مثلاً تعيين سرعة جسم متحرك في نقطة ما من مساره ؟ . وهذا السؤال يقودنا كذلك الى اهتمام نيوتن بالحركة المنتظمة وغير المنتظمة . وقد استعان نيوتن بهندسة ديكارت التحليلية لتمثيل الحركات .

٢ - يرتبط قانون الجذب العام بنيوتن ، وهو القانون الذي استطاع به ان يفسر الظواهر الفلكية والارضية ، والعلّة في دوران الكواكب وسقوط الاجسام الى الارض . وقد قادته ابحاثه وملاحظاته العلمية ونتائج ابحاث من سبقه امثال جوهان كبلر الى وضع قانون عام يربط بين الكتلة للاجسام والمسافة بين هذه الكتل . وبهذا القانون نستطيع ان نحدد بالدقة العلمية قوة جذب الارض للقمر مثلاً . وقوة جذب الاجرام السماوية فيما بينها . وهكذا تكون القوة الجاذبية كونية تخضع لها حركة الافلاك وارتباط الكواكب في المجاميع الشمسية ، كما يتحول الكون بالنسبة لقوة الجاذبية الى كون ميكانيكي تعمل فيه الجاذبية تبعاً لقانون عام .

٣ - ترتبط نظرية الدقائق الضوئية بنيوتن ، وهي النظرية التي حاول بها تفسير الطبيعة الضوئية وكيفية سلوك الضوء اثناء انتشاره اضافة الى تحليله للظواهر الضوئية الاخرى مثل الانعكاس والانكسار . وتقوم هذه النظرية على اساس افتراض ان الضوء يتألف من دقائق ضوئية تشبه الكرات ، وان انتشار الضوء يكون على هيئة خطوط مستقيمة ، وان الاجسام تبعث دقائق ضوئية صغيرة تنتشر في الفضاء بسرعة

فاتحة . واستناداً لهذه النظرية فسر نيوتن ظاهرة الانعكاس ، اما ظاهرة الانكسار ، فانه توصل الى نتيجة مغلوطة مؤداها ان سرعة انتشار الضوء في الاوساط التي ينكسر فيها الضوء اكبر من سرعة انتشاره في الخلاء .

٤ - احتوت نظرية نيوتن في الكون الميكانيكي على مفاهيم سبق للفلاسفة من قبل ان ناقشوها مثل الزمان والمكان والحركة . كما ترتب على النتائج التي حققتها هذه النظرية ظهور تفسيرات فلسفية للكون تتعلق بالآلية والغائية وغير ذلك . فلقد صورت نظرية الكون الميكانيكي المكان والزمان مطلقين ، فلكي تتحقق القوانين الطبيعية يرى نيوتن وتلاميذه ضرورة افتراض كون مثالي مطلق ، واذا كان الزمن مرتبطاً بالحركة ، وان الحركة متغيرة في الكون ، فلا بد من وجود مقياس زمني ثابت للحركات . وقادت مناقشات نيوتن للزمن الى اعتباره مقداراً رياضياً ينساب بانتظام وعلى نمط واحد . وهذا المفهوم هو ما نعبر عنه بالزمن المطلق .

استفاد نيوتن من النتائج العلمية التي حققها اسلافه فجمع الحقائق المضفرة ليصحبها في اطار واحد وقوانين او مبادئ وتعريفات قليلة ، وبذلك حقق الى جانب نظريته العلمية اطاراً فلسفياً فيه نظرة موحدة للكون تجلت فيها عمق الحقائق العلمية ودقة المفاهيم وشمولية البحث . وظهرت عبقريته في قدرته على ترجمة الحقائق المادية الى حقائق رياضية تتجلى فيها القدرة الاستنتاجية والتنبؤ بالاحداث في المستقبل . وكانت استعانه بالمنهج العلمي في البحث لتحديد العلة في الظواهر الطبيعية بعيداً عن الافتراضات الميتافيزيقية خير دليل له في رسم صورة واضحة لكون ميكانيكي تعمل فيه القوة والشدة والارتداد وغير ذلك .

كان ارسطو يعلل سقوط الاجسام الى الارض على اساس انها تبحث

عن مكانها الطبيعي ، وان الاجسام الثقيلة تسقط الى الارض بسرعة اكبر من سرعة الاجسام الخفيفة . وقد سيطرت فلسفة ارسطو مدة طويلة حتى اصبحت في نظر الكثيرين من فلاسفة العصور الوسطى غير قابلة للنقض والمناقشة . كما سيطرت نظرية بطليموس في الفلك على عقول فلاسفة العصور الوسطى ، وهي النظرية التي ترى ان الارض جرم ثابت يقع في مركز الكون وان الشمس والكواكب والنجوم تدور حولها .

ولكن نظرية ارسطو في سقوط الاجسام ونظرية بطليموس في الفلك لم تستمر في سيطرتها ، فكانت النتائج التي توصل اليها كوبرنيكوس بداية علمية لتحطيم المعتقدات الخاطئة في الفلك . وتقوم نظريته الجديدة في الكون على اساس ان الارض مجرد كوكب يدور في فلك حول الشمس وان الكواكب الاخرى تدور حول الشمس على هيئة دائرية . واعتق كبلر نظرية كوبرنيكوس وجاءت ابحاثه مطابقة لنظريته الكلية للكون ، واختلف معه في شكل مدارات الكواكب . فبعد مشاهدات كبلر لكوكب المريخ وجد ان اوضاعه تتوالى على مدار بيضوي ( اهليلجي ) تقع الشمس في احدى بؤرتيه . فتوصل الى صياغة القانون الاول الذي ينص على ان الكواكب تدور على هيئة مدارات اهليلجية تقع الشمس في احدى بؤرتيها . واذا كانت حركة الكوكب على مدار اهليلجي فانه سيقرب من الشمس عندما يكون قريباً من البؤرة التي فيها الشمس وبعيداً عنها عندما يكون في الجانب الآخر . وهكذا استطاع كبلر صياغة قانونه الثاني الذي ينص على ان الخط الواصل بين مركز الكوكب ومركز الشمس يمسح سطوحاً متساوية في فترات زمنية متساوية ، وهذا معناه ان الكوكب يسير بسرعة اكبر كلما اقترب من الشمس ، ويتباطأ في السرعة كلما ابتعد عنها .

ان الدورة التي يتم فيها الكوكب السيار ثابتة زمنياً ، وان حركة الكوكب تبعاً للقانون الاول اهليلجية ، فما هي العلاقة على هذا الاساس بين الفترات الزمنية التي يتم الكوكب دورته فيها وبين طول المحور للمدار الاهليلجي ؟

تمكّن كبلر على ضوء مشاهداته وقوانينه السابقة ان يحصل على القانون الثالث الذي ينص على ان الكوكب يتم دورته في مداره على فترات زمنية ثابتة ، بحيث يكون مربع هذه الفترات متناسباً مع مكعب اطوال المحور الكبير للمدار الاهليلجي . وقد بحث كبلر في القصور الذاتي للاجسام وذلك على ضوء مشاهداته ان لحركة الجسم مقاومة يبدىها القصور الذاتي ، بحيث يتحرك الجسم اذا ما دفع بقوة بعد مسافة يقطعها ثم يتوقف .

درس غاليلو ظاهرة القصور الذاتي للأجسام وظاهرة سقوط الاجسام وانتقد آراء ارسطو الخاصة بسرعة الجسم الأكثر ثقلاً الى الارض ، وقد اجرى غاليلو تجربة بسيطة بأن ألقي من فوق برج بيزا بايطاليا جسمين يزن احدهما رطلين ، ويزن الآخر عشرة ارطال ، ليثبت ان الاجسام تهبط الى الارض بسرعة واحدة مهما اختلفت اوزانها . اما بصدد القصور الذاتي ، فان تجربة بسيطة توضح حقيقة وهي اذا وضعنا كرة ملساء على منضدة افقية مصقولة ، فان الكرة تبقى ثابتة ما لم تؤثر عليها قوة تحولها من وضعها الساكن الى وضع متحرك ، فاذا تحركت الكرة بقوة خارجية فانها تستمر في الحركة بخط مستقيم قاطعة مسافات متساوية في فترات زمنية متساوية . ولكن الكرة لا يمكن ان تستمر في الحركة لاسباب كثيرة منها المقاومة والاحتكاك . فاذا تخيلنا الآن تجربة انعدمت فيها جميع هذه العوامل والقصور الذاتي ، فان الكرة سوف تستمر على خط مستقيم دون توقف قاطعة مسافات متساوية في فترات زمنية متساوية . درس غاليلو كذلك تعجيل او تسارع سقوط الاجسام فوجد ان الاجسام تسقط شاقولياً ، ولكنها تقطع مسافات غير متساوية في ازمة متساوية ، ووجد ان المسافات المقطوعة تتناسب مع مربع الازمنة اللازمة لقطعها .

اصبحت هذه المعلومات المتفرقة اساساً هاماً في بناء نظرية نيوتن في ميكانيك الكون ، فاذا كانت الاجسام تسقط الى الارض بتعجيل ثابت ، فما هي القوة التي وراء سقوط الاجسام ؟ فاذا قلنا بكرة الى اعلى ، فانها ولا

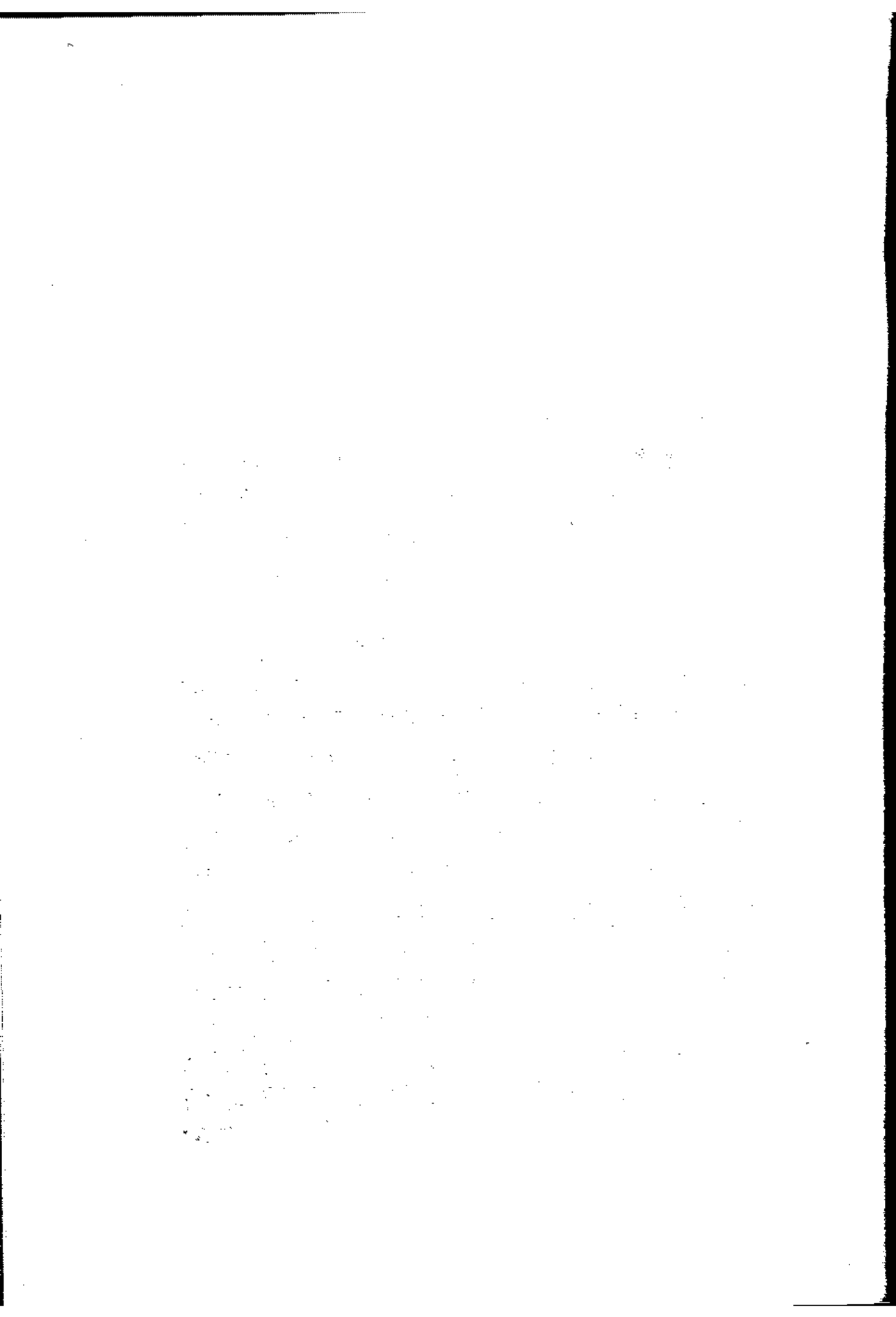
شك ستهبط الى الارض ، وان التفاحة الساقطة من الشجرة تخضع هي كذلك الى القوة التي تجذبها نحو مركز الارض . وبعد مناقشات دارت في عقل نيوتن عن ماهية هذه القوة ومقدارها ، توصل الى صياغة قانون الجذب المعروف باسمه والذي وجد فيه الحقيقة الآتية : اذا افترضنا كتلة ما (ك) وكتلة اخرى (ك٢) وبينهما قوة جاذبة ، فان القوة الجاذبية تتناسب طردياً مع حاصل ضرب الكتلتين وعكسياً مع مربع المسافة . وهذا معناه ان قوة الجذب تزداد كلما اقتربت المسافة بين الكتلتين . واستطاع نيوتن والذين تابعوه في التفسير الميكانيكي للكون توسيع مجال تطبيق القانون على ظواهر طبيعية وكونية كثيرة . كما ظهرت نزعة فلسفية كذلك ناتجة عن تصور علم الطبيعة للكون وعن التعليل العلمي للظواهر الطبيعية . فلقد ركزت فلسفة نيوتن الطبيعية على التعليل السبي للظواهر وتعيين العلة وارتباطها الوثيق بالمعلول ، بحيث اصبح التعليل السبي او قانون السببية Causality ركناً اساسياً وهاماً في علم الطبيعة ، وزاد من تأكيد العلماء لأهميته قدرة القوانين الطبيعية على التنبؤ ، فاذا ظهرت العلة فمن الضروري ان يظهر الحدث او المعلول ، لان العلاقة بين العلة والمعلول ضرورية وحتمية . وكان من جراء هذا التفكير ان اصبحت الحتمية Determinism هي النظرية السائدة في تفسير الظواهر الطبيعية ، فاذا عُرِفَت العلة فانه بالامكان معرفة المعلول . وقد تجاوزت النظرية الحتمية مجال الفيزياء لتجد نفسها معترفاً بها في مجالات اخرى مثل علم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ . اصبحت قانون السببية الاساس الذي يعتمد عليه العلماء في صياغة القوانين الطبيعية وادراك الحقائق الطبيعية ، فتجد جون ستيوارت مل في كتابه « نظام المنطق » A System of Logic يؤكد اهمية هذا القانون ، واقترح الطرق التجريبية في البحث العلمي التي تركزت حول تثبيت العلاقة بين العلة والمعلول وكيفية الوصول الى العلاقة السببية للحوادث . وقد ادت النظرية الميكانيكية الى الاعتقاد بأنه من الممكن فهم الكون دون افتراض علة خارجة عنه ، وان القوانين الطبيعية هي وحدها التي تتحكم في سير المادة والحوادث ، وان هناك

انتظاماً في الطبيعة Uniformity of Nature للحوادث وارتباط العلة بالمعلول ، بحيث تكون القوانين القائمة على السببية اساس التعليقات القويمة لجميع الحوادث .

ولم يقتصر تأثير نيوتن على الجانب الفيزيائي في الكون الميكانيكي وفي علم المناهج ، بل تعدى تأثيره الى مجالات اخرى كان ابرزها ما يتعلق بالضوء وتفسير سلوكه . فقد اعتقد نيوتن ان الضوء يتألف من دقائق مادية تسير بخطوط مستقيمة ، وانها تخضع في ظاهرة الانكسار الى الجذب . وكانت النظرية الموجية للضوء التي طرحها هويجنز Huygens تنظر الى الضوء على اساس انه يتألف من موجات ، وفي ذلك تكون النظرية قادرة على تفسير ظواهر الانعكاس والانكسار والتداخل . في حين نجد ان نظرية نيوتن في الضوء عاجزة عن اعطاء تفسير لظاهرة التداخل ولا تقدم تفسيراً علمياً لظاهرة الانكسار . ولكن مقاومة نيوتن واتباعه للنظرية الموجية قلل من انتشارها ، كما كان لاجازات نيوتن العلمية الاثر الكبير في سيطرة آرائه آنذاك على جميع العلماء ، فبقيت نظريته في الدقائق المادية للضوء هي السائدة في عالم الفيزياء طيلة القرن الثامن عشر والتاسع عشر تقريباً . غير ان سرعة التقدم العلمي في القرن التاسع عشر وظهور بعض الظواهر الضوئية التي لم تستطع نظرية نيوتن تحليلها جعلت مناقشة طبيعة الضوء من جديد امراً لا بد منه . وكانت نتائج البحث العلمي تشير الى قدرة النظرية الموجية على تفسير هذه المشكلات او الظواهر الضوئية . ولكن انحسار نظرية الدقائق الضوئية عن ميدان البحث لا يعني مطلقاً ان التفسير الميكانيكي اصابه الانحسار ايضاً ، بل كانت المحاولات قائمة على اساس تطبيق النظرية الميكانيكية على الموجات الضوئية كذلك . واستعان العلماء في سبيل تفسير انتقال الموجات الضوئية بفرضية الاثير التي تفترض وجود وسط اثري مرن تنتقل فيه الموجات الضوئية . ومن الجدير ان نذكر ان اسم « الاثير » قد ظهر في مؤلفات الفلاسفة وظهرت معه معان كثيرة ، ولكن ما نقصده بالاثير هنا له علاقة بالموجات

الضوئية ، فهو في خواصه الفيزيائية عبارة عن جسم يتميز بالمرونة والصلابة في آن واحد ، وتنتقل فيه الموجات الضوئية والاشعاعية والكهرومغناطيسية كما تنتقل موجات الصوت في الهواء والحركة الموجية في الماء . ولكن فرضية وجود الوسط الاثيري اصبحت من المشكلات العلمية ، عندما حاول العلماء قياس حركته وتأثيره على الاجسام المتحركة . ولتوضيح هذه النقطة نأخذ المثال البسيط الآتي : اذا افترضنا وجود الاثير ، فان الارض وبقيّة الاجرام تسبح فيه من دون ان تؤثر فيه . وقد اقيمت تجارب لاثبات ما اذا كانت الاجسام الصلبة على الارض تتأثر بتيار اثيري يهب عليها ام لا ، وقد اثبتت التجربة ان الاجسام سواء كانت مستقرة على الارض ام متحركة لا تتأثر بذلك قليلاً او كثيراً ، وان سرعة التيار الاثيري لا تؤثر هي بدورها على النتيجة .

اقام ميكلسن Mickelson ومورلي Morley تجارب على حركة الارض في الاثير ، وذلك على اساس ان الارض تسبح في الاثير وان بناء جهاز لقياس حركة الارض لا بد وان يبين مقدار حركتها . وقد استخدم في جهازه الاشارات الضوئية ومرايا عاكسة وغير ذلك ، ولكن النتائج التي ظهرت تبين عكس ما كان يتوقع ، اذ أظهرت عدم حركة الارض وهو الامر الذي يخالف أبسط القواعد العلمية . وهذه النتيجة سلبية تدل على ان افراض وجود الاثير وحركة الارض فيه يؤدي الى تناقض واضح هو ان التجربة لا تستطيع قياس سرعة الارض في الاثير مطلقاً . وجاء دور البرت آينشتاين في النظرية النسبية الخاصة ليقرر ان افراض وجود الوسط الاثيري غير ضروري ، وبذلك انهى المشكلة ببساطة .



## الفصل الثاني

### النظرية النسبية والفلسفة

ألبرت آينشتاين

أحرزت نظريات نيوتن وفلسفته الطبيعية تقدماً كبيراً في شتى المجالات حتى غدت مثلاً لكل تقدم علمي ، فكانت دائماً الأساس والمعيار لتفسير وتعليل الظواهر الطبيعية والتجارب العلمية التي يقوم بها العلماء واصبحت الى جانب نجاحها في تعليل الكثير من الظواهر الطبيعية عقيدة علمية راسخة لا يجرؤ احد من العلماء على تحديها ، بل ذهب المتمسكون بها الى ايجاد تبريرات فلسفية وعلمية في بعض الاحيان كلما واجهوا ظاهرة لا تخضع للتفسير الميكانيكي الذي اقامه نيوتن . وكان القرن التاسع عشر حاسماً اذ توسع العلماء في تطبيق نظريات نيوتن من جهة واصطدموا ببعض الصعوبات التي لم يستطع التفسير الميكانيكي ايجاد حل لها من جهة اخرى .

ونتيجة للتقدم العلمي في مجال الكهرباء والمغناطيسية ظهرت امام العلماء ظواهر جديدة بحاجة الى تعليل ، وكان اقرب الافتراضات اليهم ما يتصل

بالتفسير الميكانيكي للكون ، فقد افترض العلماء وجود مادة اثيرة تنتقل فيها الامواج الكهربائية - المغناطيسية ، وهي مادة تملأ الكون وتتميز بكونها مرنة وصلبة . وقد اجريت تجارب لمعرفة خصائص الاثير وحركته . وكان لتقدم الفيزياء الذرية ودراسة الظواهر الاشعاعية ان ظهرت صعوبات عديدة عجزت الفيزياء الكلاسيكية عن ايجاد تعليل علمي لها . واخذت التناقضات والصعوبات تظهر في الدراسات الفيزيائية على المستويين النظري والتجريبي ، وكان اهم التناقضات والمشكلات ما هو ناتج عن مبادئ وفرضيات نحتاج الى تثبت تجريبي : -

١ - افترضت فيزياء نيوتن وجود مكان مطلق لتفسير حركة الاجسام استناداً الى هندسة اقليدسية تنظر الى المكان على اساس متعامدات ثلاثة . وتفترض وجود زمان مطلق مستقل عن الاجسام ينساب على نمط واحد لا علاقة له بالاشياء الخارجية .

٢ - افترضت الفيزياء الكلاسيكية وجود وسط اثيري ينقل الموجات الكهربائية - المغناطيسية ويملاً ثانياً الكون . وقد اعد العالمان ميكلسن Mickelson ومورلي Morley تجربة لقياس سرعة حركة الارض في الاثير .

٣ - افترضت الفيزياء الكلاسيكية نظريتين لتفسير الظواهر الضوئية : الاولى لنيوتن التي تفترض ان الضوء يسير بخطوط مستقيمة ويتألف من دقائق مادية تخضع لقوانين ميكانيكية . والثانية لهويجنز Huygens التي تفترض ان الضوء يتألف من موجات ، وتعرف بالنظرية الموجية للضوء . ولم تستطع نظرية نيوتن او نظرية هويجنز تعليل الظاهرة الضوئية - الكهربائية .

يتعلق المبدأ الأول والثاني بحركة الاجسام وايجاد القوانين الطبيعية للحركة ، اما المبدأ الثالث ، فان له صلة وثيقة بالدراسات الضوئية والاشعاعية .

وسنناقشه في الفصل الخاص بالنظرية الكمية والسببية .

ركزت النظرية النسبية اهتمامها على دراسة حركة الاجسام وفرضية الاثير ومراجعة الفلسفة التي قامت عليها فيزياء نيوتن ، وذلك للتأكد فيما إذا كانت الارضية التي تقوم عليها سليمة ام لا . وكانت التناقضات في الفيزياء محيرة حتى ظن العلماء ان الطبيعة تنأمر عليهم ، ولكن الحقيقة ان التزامهم بفيزياء نيوتن والفلسفة الميكانيكية لم يترك لهم المجال لبحث الأسس التي تقوم عليها معتقداتهم العلمية ، وبالتالي لم يستطيعوا تعليل الظواهر الجديدة .

والسؤال الفلسفي الذي يطرحه الباحث عند دراسته للظواهر الطبيعية وحركات الاجسام هو هل جميع القوانين التي نتوصل إليها عن طريق تجاربنا وملاحظاتنا على الارض تبقى صالحة كذلك بالنسبة لأكون اخرى ؟

ان ايمان العلماء بانتظام الطبيعة وتوافق ظواهرها جعلهم في عمل متواصل من اجل الوصول الى قوانين عامة لا ترتبط بمجموعة شمسية دون اخرى . وهذا معناه ان غاية العلم تشريح الكون باجزائه لمعرفة العلاقات الضرورية وحركات الاجسام وصياغة القوانين العامة التي تعبّر عن حقيقته .

ان صياغة قانون الجاذبية العام اعطى الفلاسفة وعلماء القرون السابقة دليلاً على تطبيق القانون مستقلاً عن الزمان والمكان . كما كانت محاولات نيوتن لتعيين الحركة الحقيقية للاجسام في الفضاء والقوانين الميكانيكية للحركة تبين أنه لا بد من افتراض وسط ثابت بقياس حركة الاجسام بالنسبة له ، فكانت فرضية الوسط الاثيري ضرورية لتحقيق فلسفته . ولكننا اذا تدبرنا الكون فاننا نجد في حركة لا تنقطع ، ونجد الارض والكواكب والشمس وكل الاجرام في حركة مستمرة ، بحيث يصعب علينا معرفة الحركة الحقيقية لجرم متحرك . ولكن اذا سلمنا بوجود الاثير الساكن ، فان قياس سرعة الارض تصبح بسيطة . وبالفعل حاول كل من ميكلسن ومورلي قياس سرعة الارض بالنسبة للاثير الساكن . وكانت نتيجة التجربة محيرة اذ بينت

ان الارض ساكنة ، وهذه نتيجة تخالف حقيقة حركة الارض .

وكان التناقض الآخر فيما يتعلق بالتوافق الزمني للحوادث في الكون .  
فاذا افترضنا ان حدثاً قد وقع في نقطة ما من نقاط الكون ، وان الوقت  
الذي وقعت فيه الحادثة قد سُجِّل ، فهل تكون الحادثة بالنسبة لمشاهد آخر  
في نقطة اخرى من نقاط الكون واقعة في الوقت ذاته ؟

فاذا افترضنا وجود ساعات واحدة في نقاط كثيرة من الكون ووقعت  
حادثة ما قبل حادثة اخرى بفرق زمني ، فهل يُسجل جميع المراقبون في  
نقاط اخرى من الكون هذا الفرق الزمني ذاته ؟

تجيب الفيزياء الكلاسيكية التي تفترض الزمان سبيل لا علاقة له بالاجسام  
ضرورة تسجيل الحادثة عند كل المراقبين في وقت واحد . ولكن مثل  
هذه الاجابة لا تسندھا التجربة العلمية ، لان القبول بالانتشار اللحظي  
للحادثة لا يمكن اثباته تجريبياً ، بل انه ضرب من الخيال الميتافيزيقي .

تناول العالم البرت آينشتاين هذه التناقضات بالدرس والتحليل واعادة  
النظر في الفرضيات التي طرحها نيوتن حتى غدت معتقداً ، ليصل الى وضع  
نظرية جديدة ذات قاعدة فلسفية صلبة ونتائج علمية تحل الصعوبات التي  
واجهت العلماء وتفتح الطريق نحو معرفة علمية دقيقة .

ولد البرت آينشتاين في ١٤ آذار (مارس) سنة ١٨٧٩ في مدينة اولم Ulm  
بألمانيا والتحق بالمدرسة الابتدائية في ميونيخ وتلقى فيها دراسته الثانوية حتى انتقل  
والده الى ايطاليا ثم الى سويسرا حيث تابع دراسته الثانوية فيها . ثم تخصص  
في دراساته العليا في الفيزياء والرياضيات واشتغل بالتدريس الخاص عدة  
سنوات ، ثم وجد له عملاً في مكتب تسجيل براءات الاختراع في برن .

وفي عام ١٩٠٥ بعث آينشتاين الى احدى المجلات العلمية يبحث وضع  
فيه النظرية النسبية الخاصة<sup>(١)</sup> ، فكان ذلك اهم حدث علمي منذ ان وضع

---

(١) Die spezielle Relativitätstheorie

نيوتن نظريته الفيزيائية . وتوالى عليه الدعوات والمناصب الجامعية ، فكان له كرسي الفيزياء في جامعة زوريخ عام ١٩٠٩ ثم شغل كرسي الفيزياء النظرية في براغ وعاد الى زوريخ سنة ١٩١٢ استاذاً للفيزياء . وعرض عليه ماكس بلانك ان يكون رئيساً لمؤسسة علمية في برلين وعضواً في المجتمع الملكي للعلوم .

واستطاع آينشتاين بمساعدة النظريات الرياضية الجديدة ان يقوم ببناء النظرية النسبية العامة<sup>(١)</sup> سنة ١٩١٤ و ١٩١٥ وهي النظرية التي تناولت الجاذبية والخواص القياسية لمتصل الزمان والمكان . وبقي بعد ذلك في بحث متواصل لكشف حقائق جديدة ، واستمرت جهوده العلمية في توحيد الظواهر الكهربائية والمغناطيسية والجاذبية والظواهر الذرية والاشعاعية وغيرها في نظرية واحدة . وبعد جهد شاق وضع آينشتاين نظريته في الحقل الموحد<sup>(٢)</sup> ، وهي النظرية التي ربطت بين حقائق الكون الكبيرة التي اظهرتها النظرية النسبية ، وحقائق الكون الدقيقة التي اظهرتها النظرية الكمية .

مات آينشتاين في مايس سنة ١٩٥٥ بعد ان حقق اعظم الانجازات في مجال العلوم الطبيعية ، وترك لنا نظرية الحقل الموحد من بعده ليتحقق العلماء من نتائجها .

وعندما نشر آينشتاين ابحاثه حسب بعض العلماء ان لها قيمة فلسفية ولكنها من الوجهة العلمية تحتاج الى وقت للتثبت من استنتاجاتها بالتجربة . وأخذت العلماء والناس الدهشة عندما حققت النظرية نجاحاً كبيراً في التنبؤ بكثير من الحقائق والظواهر . وظل الناس في تساؤل عن الكيفية التي استطاع بها هذا العالم الوصول الى استنتاجات قلبت مفاهيم الفيزياء الكلاسيكية .

---

(1) Die allgemeine Relativitätstheorie

(2) Unified Field Theory

ان العالم لا يملك قوة سحرية تساعد في البحث ، وانه مهما بلغت عبقريته لا يستطيع الاستغناء عن قواعد البحث العلمي والوسائل التي توفرها له التجارب والعلوم الرياضية في سبيل بناء النظرية واشتقاق النتائج . والبرت آينشتاين كعالم ساهم في بناء الطريقة والنظرية معاً ، واتصلت ابحاثه بعضها مع بعض في اطار فلسفة عامة تنظر الى الطبيعة من زوايا عديدة اهمها العمل الدائب في استكشاف الاسرار الخفية تحدوه الرغبة في فهم اعظم للكون ومجرياته . وقبل ان اورد بعض الحقائق من مناهج البحث التي استخدمها آينشتاين اضع في بداية البحث بعض الفرضيات الخاصة بعقلية العالم لما لها من أثر بالغ في سلوكه العلمي ، وهذه الفرضيات هي : -

١- لا يمكن ان تكون الحركة والظواهر في الكون عشوائية ، وعلى العالم تقع مهمة كشف القوانين التي تعلل او تشرح الحركة والظواهر ، وفي ذلك قوله « لا يمكنني ان اعتقد ان الخالق يلعب الررد بالذنيا » . وينكر الآراء القائلة بان العلم انما يصف الاشياء ويربط النتائج بالمشاهدات . انه يعتقد في كون منظم منسجم<sup>(١)</sup> . وقد قاده اعتقاده بكون منظم ومتوافق الى محاولاته العديدة في توحيد الظواهر الطبيعية المتناهية في الصغر والكبيرة في نظرية الحقل الموحد التي يرى فيها امكانية استنباط القوانين الكمية والقوانين الطبيعية عن الكون .

٢- ايمان آينشتاين بان الطبيعة تُظهر نفسها للعالم على ابسط ما يكون وانها خالية من التعقيد ، وان مهمة العالم تلخص في البحث عن القوانين والفرضيات البسيطة والقليلة التي تحقق اسمى ما يتمناه العالم من فهم لحقيقة الطبيعة والكون . وقد هداه هذا الايمان الى وضع يده على الفرضية الصحيحة المتعلقة بالاثير وسط

(١) العالم وآينشتاين ص ٣٩ تأليف لNKOLN بارنت وترجمة محمد عاطف البرقوقي .

تناقضات ومشكلات ظهرت نتيجة اخفاق تجربة ميكلسن ومورلي  
في تحديد سرعة الارض في الاثير .

ان موقف آينشتاين هذا من الكون يدل بشكل واضح على نزعة صوفية  
ولكنها من نوع علمي ، لأنها تستهدف معرفة حقيقة الكون وراء الظواهر  
المحسوسة ، وقد تمثلت صوفيته العلمية بقوله الذي اوردته لنكولن بارنت  
في كتابه « العالم وآينشتاين » « ان ديني يشتمل على الاعجاب المتواضع  
بتلك الروح العليا غير المحددة والتي تكشف في سرها عن بعض التفاصيل  
القليلة التي نستطيع عقولنا المتواضعة ادراكها ، وهذا الايمان القلبي العميق ،  
والاعتقاد بوجود قوة حكيمة عليا نستطيع ادراكها خلال ذلك الغامض  
يلهمني فكري عن الإله » (١).

وفي نص آخر تنجلى فيه الصوفية الجمالية الباحثة عن العلم الحقيقي  
يقول : « ان اجمل الاحاسيس واعمق العواطف هي تلك التي نتعرض لها  
عند بحث الخفايا ، لأنها تؤدي الى العلم الحقيقي ، وكل من ينكر هذه  
الاحاسيس ، ولا يتعرض للدهشة او للرغبة ، فانه يعتبر في عداد الاموات ،  
والمؤمنون هم الذين يعلمون ان هناك اشياء تخفى على علمهم ، وهذا هو  
غاية الحكمة واقصى درجات الجمال المشع التي تستطيع حواسنا القاصرة  
ادراكها » (٢).

ان هذه المبادئ الصوفية لآينشتاين كانت دليله في البحث عن خفايا  
الطبيعة ، ولكنه خلافاً للفلاسفة لم يتخذ هذه المبادئ لبناء فلسفة ميتافيزيقية ،  
بل على العكس من ذلك كانت فرضياته خلافاً لكثير من الفرضيات العلمية  
مبنية على وقائع تجريبية ثابتة . وفي سبيل وضع صورة للمنهج العلمي الذي  
طبقه آينشتاين في ابحاثه ، يجدر بنا ان نضع بعض الحقائق المؤيدة لقواعد

(١) المصدر السابق ص ١١٦

(٢) المصدر السابق ص ١١٥

المنهج ، وستبرز الجوانب المهمة فقط . ويمكننا تلخيص بعض القواعد المهمة بالشكل الآتي : —

القاعدة الاولى : على العلم ، كما اكّد آينشتاين اكثر من مرة ، ان يبدأ بالحقائق وينتهي بالحقائق ، وبصرف النظر عن الاعتبارات النظرية التي يقيمها بين هذين الحدين . فالعالم ، في المقام الاول ، انسان يقوم بالملاحظة ، ويحاول ، بعد ذلك ان يصف بشكل عام ما شاهده وما يتوقع مشاهدته في المستقبل . ثم يتقدم ببعض التكهنات بالاستناد الى نظرياته ويتحرى صحتها بمقابلتها مرة اخرى مع الواقع <sup>(١)</sup> .

تتألف هذه القاعدة من خطوات اساسية في المنهج العلمي لا يمكن التخلي عن احداها في البحث العلمي ، وهذه الخطوات هي : —

١ — اعتماد العلم على الوقائع والملاحظات والتجارب وترتيبها وربطها بغية ايجاد علاقة ضرورية بين هذه الحقائق والفرضية التي يطرحها العالم . وقد امتازت فرضيات آينشتاين بأنها اعتمدت التجارب ولم تذهب الى ما وراءها ، الا في الحدود التي تسمح بها التجارب ذاتها .

ب — اعتماد العلم على النظريات في شرح وتعليل الظواهر التجريبية . وتمتاز النظريات بأنها غير مشتقة كلياً من التجربة ولا يمكن التحقق منها كلياً . ولاينشتاين في هذه النقطة بالذات رد على الاتجاه

---

(١) الفيلسوف والعلم من ١٢٣ — ١٢٤ تأليف جون كيمبي وترجمة امين الشريف

الوضعي المرتبط كلياً بالتجارب فيقول : من الواضح ان احداً لا يستطيع في مجال المقادير الذرية ان يقوم بتنبؤات بأية درجة مرغوبة من الدقة . وانا اعتقد ان النظرية لا يمكن ان تبني من نتائج التجربة ، وانها بالتالي مجرد اختراع فقط<sup>(1)</sup> .

ح - ان نجاح النظرية متعلق بالنتائج المشتقة منها والتحقق من هذه النتائج تجريبياً . وهنا يكمن عنصر التنبؤ في النظرية ، فاذا تحقق بالتجربة او الملاحظة ، فهذا تأييد للنظرية ، وكلما ازداد التحقق او التثبت من نتائج النظرية ، ازدادت ثقتنا بها في تعليل ظواهر وحوادث اكثر .

القاعدة الثانية : على العلم ان يستعين في حالات معينة ومحدودة بالتجارب النظرية او الخيالية *Imaginary Experiments* كما يحلو لكارل پوپر تسميتها<sup>(2)</sup> ، عندما تعجز التجارب الواقعية عن توفير الضمان الكافي لتحقيق النتائج العلمية ، شريطة ان تكون هذه التجارب ذات فوائد في مجال البحث العلمي من الناحيتين التوضيحية والتقديمية .

تألف هذه القاعدة من خطوات اساسية في المنهج العلمي عن طريق تأكيدها على نوعين من التجارب النظرية هي : -

١ - ابتداء تجربة نظرية لاستنتاج حقيقة علمية هامة او لتوضيحها بشكل يتفق والنتيجة العلمية . ومن

- 
- (1) Popper, K., *The Logic of Scientific Discovery*.  
Appendix XII P. 458.  
(2) Ibid., Appendix X.I

الامثلة على هذا النوع من التجارب تصور هايزنبرك  
لميكروسكوب خيالي يستطيع الانسان من خلاله  
ملاحظة الالكترونات وقياس اماكنها او آينتها  
momenta . وتجربة آينشتاين النظرية في نظريته  
النسبية ، وهي التجربة المعروفة بتجربة المصعد  
ليان تكافؤ الجاذبية والقصور الذاتي .

ب - ابتداء تجربة نظرية لانتقاد تجربة اخرى او  
تفنيدها وقد استعان غاليلو بمثل هذا النوع من  
التجارب في تفنيد حجة ارسطو بأن الاجسام  
الثقيلة تهبط الى الارض بسرعة اكبر من الاجسام  
الخفيفة . واستعان آينشتاين بمثل هذه التجارب في  
حقل نظرية الكم ، وذلك بافراض جسم يتحول  
بسرعة ثابتة بين جدارين متوازيين واستنتاج  
تناقض واضح للنظرية الموجية التي تفسر نظرية  
الكم على اساس عليّ او سبي<sup>(1)</sup> .

ان التجارب النظرية ليست جديدة كلياً في مناهج البحث ، ولكن الشيء  
الجديد هو استعانة علماء الفيزياء في نظرية الكم والنسبية بها واستنتاج حقائق  
علمية مهمة في البحث ، حتى اصبحت هذه الطريقة ، على الرغم من بعض  
المخاطر التي يمكن لها ان تحدث ، اساساً مهماً في منهج الفيزياء النظرية . وتدل  
هذه الطريقة على عمق التحليل العلمي النظري من جهة والابتعاد عن التجارب  
الواقعية من جهة اخرى .

القاعدة الثالثة : غاية العلم هي ان يصل الى صياغة النظرية التي يستطيع

---

(1) Ibid., Appendix XI. P. 448-49.

بواسطة تفسير او شرح اكبر قدر ممكن من الوقائع ،  
وان الهدف الاسمى للعلوم هو شرح العالم الخارجي  
ووقائعه بأقل عدد ممكن من الافتراضات والاوليات<sup>(١)</sup> .

تتألف هذه القاعدة من قسمين : -

١ - بناء النظرية التي يصل اليها الباحث بعد تحليل علمي  
للقائع بمساعدة الرياضيات من جهة وقدرة العالم  
على الخلق والابداع من جهة أخرى . اذ لا  
يمكن الاعتقاد بأن الوصول الى صياغة النظرية  
مجرد عملية ميكانيكية تجريبية ، وذلك لان  
للابتكار الرياضي والابداع العقلي دوره الكبير  
في بناء النظرية . وفي ذلك يرى البرت آينشتاين  
ان الافكار والقوانين الاساسية ما هي الا من  
خلق العقل الانساني ، وانها ليست مشتقة من الخبرة  
الحسية عن طريق الاستقراء<sup>(٢)</sup> .

ب - توحيد العلم الطبيعي بنظرياته في اطار واحد يبدأ  
بأقل عدد ممكن من القوانين الاساسية ، واستنباط  
القواعد المنطقية منها لتفسير اكبر عدد من الحقائق .  
وقد تجلّت هذه القاعدة بصورة واضحة في صياغة  
نظرية الحقل الموحد ، حيث وحدت قوانين الجاذبية  
والكهربية المغناطيسية في قانون واحد ، واقامت  
جسراً يربط قوانين النظرية الكمية والنظرية النسبية  
معاً . وقد استخدم آينشتاين في سبيل تحقيق هذا

(١) العالم وآينشتاين ص ١٢١

(2) Schilpp P.S., Albert Einstein P. 175

الغرض رياضيات عليا . « وان المسائل الرياضية  
المتبقية عنها اصعب من ان تتمكن رياضيات اليوم  
حلها . لذلك فلا يمكن في الواقع ان نستخلص منها  
اي استنتاج ، او نقوم على اساسها بأي تكهن ،  
او نجري اي فحص لتحديد مقدرة هذه النظرية  
الجديدة على تعليل الحقائق المعروفة<sup>(١)</sup> .

تبين هذه القاعدة بشكل واضح اهمية الطريقة الرياضية في بناء النظريات  
ومحاولة آينشتاين ابتكار الرياضيات المناسبة للتعبير عن حقائق نظرية الحقل  
الموحد .

وهكذا اخذت الطريقة الرياضية مكانتها في الفيزياء بعد تفهقر الطريقة  
التجريبية . وقد اثار هذا الانتقال في الطريقة انتباه علماء مناهج البحث  
امثال كارل پوپر الذي اكد دور الاستدلالية Deductivism في بناء  
النظريات العلمية الحديثة واختبارها مقابل الاستقرائية Inductivism<sup>(٢)</sup> .

من المناسب بعد هذا التحليل لمنهج البحث ان نتقل الى الافكار  
والمبادئ الجريئة التي اعلنها آينشتاين في النظرية النسبية الخاصة والعامة ،  
والتي كان لها ولا يزال الفضل الكبير في توسيع مجال البحث عن حقائق  
الكون الذي نعيش فيه ، وكانت دافعا للعلماء والفلاسفة على السواء في  
تدليل الكثير من الآراء التي اثارها نظرية الكون الميكانيكي . اما ما نستهدفه  
في هذا البحث فيمكن تلخيصه بالنقاط الآتية : -

١ - ان نربط بين المنهج العلمي الجديد الذي طبقه آينشتاين والحقائق

---

(١) الفيلسوف والعلم ص ٢٥٠ - ٢٥١ تأليف جون كيبي و ترجمة امين الشريف

(2) Popper, K., The Logic of Scientific Discovery P. 30, 32.

العلمية التي توصل لها .

٢- ان نبرز الافكار والمبادئ الفلسفية الجديدة المتعلقة بالكون وحقائقه من الناحيتين العامة والتشريحية .

طرح اينشتاين بعد دراسته للتناقضات التي وقعت فيها الفيزياء الكلاسيكية فرضيتين أساسيتين هما <sup>(١)</sup> : —

الفرضية الاولى : الوسط الاثيري فرض غير ضروري ومن العبث محاولة تحديد حركة الجلملة المادية بدلالة وسط لا مبرر لوجوده

الفرضية الثانية : تنتشر الموجة الضوئية بسرعة ثابتة في الفضاء ولا تتأثر سرعتها بحركة المنبع الباعث لها .

تتعلق الفرضية الاولى بالنتيجة السلبية التي حصلت عليها تجربة ميكلسن ومورلي في قياس سرعة حركة الارض بدلالة الاثير . وتتلخص الفكرة بان حركة الارض تثير تياراً اثيرياً ، فاذا ما اطلقنا حزمة ضوئية باتجاه حركة الارض وحزمة ضوئية اخرى ضد حركة الارض ، فانه لا بد من الحصول على فرق في سرعة انتشار الضوء في الحالتين ، لان سرعة الضوء مع التيار الاثيري تكون اسرع من سرعة الضوء ضد التيار الاثيري . وقد صممت التجربة بدقة لتحقيق هذا الغرض باستخدام المرايا ومصدر ضوئي ، وكانت النتيجة محيرة اذ لم يسجل الجهاز اي فرق بين سرعتي الضوء في الاتجاهين . وواجه العلماء لتقرير النتيجة احتمالين هما :

١- اما ان تستبعد الفيزياء فرضية الاثير التي استند اليها العلماء في تفسير الظواهر الكهرومغناطيسية وغيرها .

---

(١) التسمية : « من نيوتن الى آينشتاين » ص ١٦٤ الدكتور مرسيل داغر

٢- أو ان يفترض العلماء عدم حركة الارض وهو الامر الذي يخالف ايسر الحقائق الفلكية .

استبعد آينشتاين الاحتمال الثاني معلناً عدم ضرورة الأخذ بفرضية وجود الاثير واستنتج بعض الحقائق الهامة من تجربة ميكلسن ومورلي ان سرعة الضوء ثابتة بالنسبة لحركة الارض ، وانها لا بد ان تكون ثابتة بالنسبة لحركات الكواكب او اي جسم متحرك في الكون . وهكذا وصل الى فرضيته الثانية التي تؤكد ثبوت سرعة الضوء في الفضاء ولا تتأثر سرعته بحركة المنبع الباعث له . وقد قاده استنتاجه الى وضع قانون اساسي لجميع ظواهر الطبيعة سواء كانت متعلقة بالكون الكبير او بالظواهر الضوئية والمغناطيسية والكهربائية . وينص القانون :

« ان جميع الظواهر الطبيعية وكل قوانين الطبيعة واحدة لكل الاجسام التي تتحرك بسرعة منتظمة بالنسبة الى بعضها البعض » .

لهذا القانون باعتباره حقيقة كونية اهمية كبيرة من ناحيتين : -

١ - انتظام الظواهر الطبيعية والتوافق الكوني للقوانين الطبيعية

ب - استخدام سرعة الضوء كمرجع لقياس حركات الاجسام ، على اساس ان سرعته ثابتة في جميع انحاء الكون ولا تتأثر بالحركات .

ان قياس حركات الاجسام يستلزم وجود جسم ثابت تقاس به حركات الاجسام ، ولما كان الكون بما فيه من كواكب وشموس في حركة مستمرة ، فانه من الصعب قياس حركة الاجسام المطلقة . ولكن الامر يبدو مختلفاً في حالة الاعتماد على سرعة الضوء وثبوتها في الكون مهما كانت حركة مصدره ، لاننا في هذه الحالة نملك مرجعاً ثابتاً لا تتغير سرعته . وبالتالي فان الكثير من المفاهيم الكلاسيكية مثل التوافق الزمني وغيرها تتغير اذا اتخذنا من الضوء اساساً للقياس . وقد ناقش البرت آينشتاين مشكلة التوافق استناداً الى سرعة الضوء الثابتة وتوصل الى نتائج تختلف كلياً عن نتائج

الفيزياء الكلاسيكية التي افترضت ان وقوع حادثة في مكان ما في الكون تقع في وقت واحد من دون ان يكون لها التعريف العلمي الدقيق للتوقيت الزمني . تناول آينشتاين مسألة التوقيت من زاوية جديدة وضرب مثالا يدل به على اختلاف التوقيت . نفترض الآن مسافة بين مكانين هما أ ، ب ، وقد جلس شخص في منتصف المسافة وقد جُهِز بمرايا لمشاهدة ضربتي الضوء في نفس اللحظة ، فانه يرى ان الحادثين وقعتا في وقت واحد . ولكن لنفترض الآن وجود شخص آخر وقد جلس فوق القطار وقد جُهِز بالمعدات التي جُهِز بها الشخص الجالس على الرصيف بين أ و ب . ثم سار القطار في محاذاة الرصيف وحدثت ضربة الضوء عند أ ، ب في الوقت الذي اصبح الشخص الذي فوق القطار بمحاذاة الشخص الذي على الرصيف ، فهل تبدو ضربتا الضوء في نفس الوقت للشخص الذي على القطار والشخص الذي يجلس على الرصيف ؟ الجواب كلا .

فاذا افترضنا ان الشخص المتحرك يتجه نحو أ ويتبعد عن ب ، فانه سيسجل الحادثة أ قبل الحادثة ب بفرق زمني . وهذا معناه ان الزمن الذي سجله الشخص المتحرك يختلف عن الزمن الذي سجله الشخص الجالس على الرصيف . ونلجأ الآن الى تجربة خيالية تفسر لنا ما تقدم . لنفرض ان القطار يسير بسرعة الضوء ، فان المرايا في هذه اللحظة لا تستطيع تسجيل اضاءة (ب) ، لانها لن تستطيع ادراك القطار المتحرك بذات السرعة . وان الشخص الراكب على القطار يدرك ويؤكد وقوع ضربة واحدة فقط من ضربتي البرق . وكيفما كانت سرعة القطار فان الراكب على هذا القطار سوف يؤكد ان ضربة البرق أ التي امامه تسجل دائماً قبل غيرها . ومن هنا كانت ضربتا البرق اللتان تبدوان كأنهما تحدثان « في نفس الوقت » للشخص الجالس على الرصيف لا تبدوان كذلك بالنسبة الى الشخص الجالس فوق القطار<sup>(١)</sup> .

(١) العالم واينشتاين ص ٥٦

ان لهذه التجربة الخيالية نتائج فلسفية وعلمية هامة تلخصها بالنقاط الآتية :-

١- ان التوافق الزمني يختلف باختلاف حركة المراقب او المشاهد ، وان التوافق الذي يسجله الشخص الجالس على الرصيف هو غير التوافق الذي يسجله الشخص المتحرك .

٢- ان ترتيب الحوادث او غياب بعضها من لائحة التسجيل يختلف تبعاً لحركة الاشخاص المراقبين .

٣- لا يوجد توافق زمني مطلق في الكون ، وبالتالي فان فرضية الزمان المطلق ميتافيزيقية تستبدل بحقيقة علمية تجريبية هي التوافق النسبي

٤- ان الزمان هو تسلسل حوادث استناداً الى مرجع ، وان تسلسل الحوادث ليس واحداً عند جميع المراقبين . وهذا معناه ان فكرة وجود زمان واحد ينساب في الكون كله ترتب بموجبه الحوادث في الكون هو فرض ميتافيزيقي لا اساس له من الصحة .

وبنفس الروح العلمية الدقيقة ناقش آينشتاين مسألة الفضاء او المكان المطلق الذي افترضته فيزياء نيوتن لاعتبارات ميكانيكية ، لان المكان ليس إلا نظام العلاقات بين الاجسام وانه لا يمكن تصويره مطلقاً خالياً من الاجسام . واذ رفض آينشتاين الزمان المطلق والمكان المطلق ، فانه في الوقت نفسه لم ينظر الى الزمان والمكان باعتبارهما حقائق منفصلة ، بل ان بينهما ارتباطاً لا يفصل . واذا كان الانسان يميل الى الفصل بين المكان والزمان ويتصور المكان على طريقة هندسة اقليدس بانه يتألف من ثلاثة متعامدات طول وعرض وارتفاع من دون اعتبار للزمان ، فهذا لا يعني ان هذه المعقولية في التصور تمثل الحقيقة ، بل ان الحقيقة

هي ان الكون باجمعه عبارة عن متصل زماني مكاني وان جميع الحوادث في الطبيعة تقاس بالنسبة لهذا المرجع ، فلا يوجد مكان من دون زمان ولا يوجد زمان من دون مكان . ان هذه الحقيقة الفيزيائية قد تكون صعبة بالنسبة للانسان العادي ، ولكنها مع ذلك حقيقة من حقائق الكون تصفها الرياضيات بكل دقة . ولتقريب هذه الحقيقة الى الذهن نفترض حركة جسم ما في مكان ، فاذا اردنا تعيينه بدقة وجب علينا تحديد موضعه بالنسبة لمتعامدات ثلاثة هي الطول والعرض والارتفاع ، ولكن هل مثل هذا التحديد يكفي لاعطاء صورة دقيقة لحركة الجسم ؟ بالطبع لا ، اذ لا بد من تعيين وقت تحديد المكان ، كما ان تعيين وقت حركة الجسم لا يكون كافياً الا اذا ارتبط به تحديد المكان في تلك اللحظة . ولا بد لنا ان نشير هنا الى آراء مينكوفسكي في متصل الزمان - المكان ، وهو عالم الرياضيات الذي استعان آينشتاين بنظريته . ان متصل الزمان - المكان في رأيه هو الابعاد الاربعة : ثلاثة للمكان وآخر للزمان ، وان الهندسة التي تصف المكان هي هندسة اقليدس ، لذلك فان متصل الزمان - المكان عنده متصل اقليديسي ولكن النقطة في هذا المتصل لا تذكر وحدها ما دام المكان مرتبطاً بالزمان . وهذا معناه ان نقول ان نقطة في لحظة معينة او بتعبير ادق «حادثة» تدل على النقطة في لحظة معينة ، وعندئذ تحدد الحادثة بأربع متعامدات .

لهذه الآراء قيمة فلسفية كبيرة ، لانها تبين حقيقة متصل الزمان - المكان بعد ان بقي الفلاسفة ينظرون اليهما بشكل منفصل ومطلق ، كما انها تزعزع الثقة بالتجريبية الحسية التي بقيت تنظر الى الاجسام والحوادث في المكان من دون ان تدرك الصلة الوثيقة بين المكان والزمان . ان هذه الصلة ليست اضافة بعد الى ابعاد ثلاثة ، بل ان هذه الابعاد الاربعة متداخلة تكون متصلاً واحداً . وقد يثير البعض سؤالاً حول المتصل هو هل المتصل الزماني المكاني حقيقة موضوعية او حقيقة رياضية ؟

يقول آينشتاين في كتابه النسبية : ان غير العالمين بالرياضة يكتشفهم الغموض عندما يسمعون عن الابعاد الاربعة ويعتقدون ان في ذلك ضرباً من الخيال . وعلى الرغم من ذلك فان القول بان العالم الذي نعيش فيه هو عبارة عن عالم متصل له اربعة ابعاد هو قول واضح صريح . وهذا معناه ان آينشتاين يرى في المتصل حقيقة موضوعية وان الرياضيات بوسائلها تستطيع تحديد هذا المتصل بدقة .

تناول آينشتاين متصل الزمان - المكان من جديد في النظرية النسبية العامة وذلك على اساس ان الكون الذي نعيش فيه تصفه هندسة لا اقليديسية هي هندسة المنحنيات لا المستقيمات . وهنا يجب التمييز بين حقيقتين رياضيتين : -

- ١- ان الهندسة الاقليديسية هي هندسة المستقيمات وفيها ان الخط المستقيم هو اقصر بعد بين نقطتين . وانه من نقطة خارجة عن مستقيم لا يمكن رسم اكثر من مواز واحد للمستقيم .
- ٢- ان الهندسة غير الاقليديسية على نوعين : -

- ١- نظام بوليائي ولوبانثيفسكي الذي يصور الفضاء مقوساً وعدد الخطوط الموازية لخط معين لامتناه وطبيعة الكون فيه انه غير محدود .

- ٢- نظام ريمان الذي يصور الفضاء مقعراً ولا يمكن رسم اي خط موازي ، وطبيعة الكون فيه انه محدود .

ادرك آينشتاين ان هندسة الكون لا يمكن ان تكون كلها اقليديسية ، وانها في الحقيقة تتبع توزيع المادة في الكون . فاذا تصورنا فراغاً في الكون خالياً تماماً من المادة ، فان الهندسة الاقليديسية هي التي تصفه ، اما اذا وجدت مادة في الكون فان الهندسة التي يبنها آينشتاين هي هندسة تختلف باختلاف توزيع المادة . وهذا معناه ان الكون لا يتبع النظام الاقليديسي ؛

بل هو مزيج من الانظمة الثلاثة . ولكن بصورة عامة يرى آينشتاين ان الكون محددآ ولا نهاية له ، لانه ينحني على نفسه . فاذا استخدمنا الشعاع الضوئي في كون اقليديسي ، فانه سيسير بخطوط مستقيمة ، اما اذا كان الشعاع الضوئي منتشرآ في كون غير اقليديسي ، فانه لا يسير بخطوط مستقيمة ، بل بخطوط منحنية ، بحيث يمكننا التنبؤ عن مقدار ذلك الانحناء في حالة انتشاره وسيره بالقرب من الشمس مثلاً . وقد أيدت الملاحظات الفلكية هذه الحقيقة ، حقيقة انحناء مسار الضوء المنتشر بالقرب من مادة جاذبة .

وقد فسر آينشتاين الجاذبية بطريقة جديدة معتمداً على الخصائص القياسية لتحصل الزمان - المكان ، فهو لا يقر كوناً ميكانيكياً تتجاذب فيه الاجسام بقوى ، بل يراه هندسياً يؤلف مجاله ممرات تسير فيها الاجرام السماوية . وهذا معناه ان المسالك لحركة الكواكب والاجرام السماوية تحددتها الخواص القياسية لتحصل الزمان - المكان .

ويكتشف آينشتاين حقيقة علمية هامة في علاقة الجاذبية بالقصور الذاتي ، فيتخيل تجربة لمصعد انساب من حباله وبداخله علماء يجرون بعض التجارب ، فاخرج احدهم قطعة نقود وتركها وسط المصعد ، فانه سيجد ان قطعة النقود تبقى معلقة وسط المصعد ، لان قطعة النقود والمصعد والعلماء يسقطون جميعاً بنفس السرعة حسب قوانين نيوتن في الجاذبية . وقد يفسر العلماء هذه الظاهرة الغريبة بان قوة سحرية قد حملتهم خارج مجال جاذبية الارض ، وانه اذا دفع احدهم قلمه في اي اتجاه فانه يستمر في حركة منتظمة في هذا الاتجاه الى ان يصطدم بجوار المصعد . فكل شيء يبدو كما لو كان خاضعاً لقوانين نيوتن في القصور الذاتي .

ثم يغير آينشتاين الصورة فيفترض ان العلماء ما زالوا في مصعدهم ،

ولكنه نقل الى رقعة من الكون معزولة تماماً عن المؤثرات الخارجية ، وقد ربط المصعد بحبال تشده الى الاعلى بتعجيل ثابت . وقام العلماء بتجاربهم . وذلك بان حاول احدهم القفز الى الاعلى فوجد ان قوة تشده الى الاسفل ، ثم يأخذ احدهم بقطعة نقود ويتركها تسقط من يده فيجدها تسقط شاقولياً ، ثم يرمي قطعة النقود باتجاه افقي موازٍ لأرض المصعد فيجدها تسقط الى الارض بمسار منحنى . وبعد اجراء تجارب اخرى يتوصل العلماء الى حقيقة اساسية هي ان غرفة المصعد في ظروف اعتيادية تماماً كما لو كانت ساكنة وتؤثر عليها الارض بجاذبيتها .

واخيراً توصل آينشتاين الى نتيجة هامة هي قانون تكافؤ الجاذبية والقصور الذاتي الذي يتلخص في انه لا سبيل الى التمييز بين الحركة الناتجة عن القصور الذاتي والحركة الناتجة عن قوة الجاذبية .

وتوصل آينشتاين في نظريته النسبية الخاصة والعامة الى نتائج علمية هامة اضافة الى ما تقدم ذكره ، وهذه النتائج هي : —

- ١ — ان سرعة الضوء هي السرعة القصوى في الطبيعة .
- ٢ — ان بين الطاقة والكتلة علاقة هي ان الطاقة تساوي الكتلة  $\times$  مربع سرعة الضوء . فالطاقة ليست الا مادة ذات سرعة عالية جداً ، والكتلة ليست الا طاقة متمركزة ذات سرعة بطيئة . فالمادة طاقة والطاقة مادة ، واحدهما حالة وقتية للأخرى .
- ٣ — ان الساعة لقياس الزمن والمسطرة لقياس الاطوال تتغير بتغير السرعة . فالساعة تؤخر كلما زادت السرعة ، والمسطرة تنكمش ويقل طولها باتجاه حركتها .
- ٤ — ان كتلة الجسم تزداد بازدياد السرعة ، وذلك على أساس ان الكتلة هي الخاصية المقاومة للحركة وليست الثقل .

## الفصل الثالث

### النظرية الذرية والسببية

ماكس بلانك

حمل القرن التاسع عشر بالاضافة الى الانجازات العلمية التي عززت النظرية الميكانيكية للطبيعة بذور انهيار كثير من مفاهيم الفيزياء الكلاسيكية والفلسفة الميكانيكية المرتبطة بها ، كما بدأت خطوات طريقة علمية تأخذ مكانها بعد ان شعر العلماء بتقهقر الطريقة التجريبية وعدم قدرتها ، لكونها محدودة الابعاد على المتابعة وصياغة القوانين والحقائق الفيزيائية . وكانت اهم التطورات التي رافقت تبدل الفلسفة الميكانيكية ما ظهر في الحقول العلمية الآتية : -

- ١ - تحليل المادة الى ذرات ودراسة تركيب الذرة وسلوك الالكترونات .
- ٢ - دراسة ظواهر الاشعاع والاهتداء الى ايجاد معادلة رياضية تتفق والتجارب العلمية ، ومعرفة الوحدات التي تتألف منها الطاقة .
- ٣ - التوصل الى تفسير الظاهرة الضوئية الكهربية ، وهي الظاهرة التي عجزت عن تفسيرها النظرية الموجية للضوء .

٤ - الانقلاب العلمي الكبير في هندسة الكون والجاذبية والعلاقة بين الكتلة والطاقة ، والزمان والمكان .

تركزت ابحاث الفيزياء الذرية على دراسة التركيب الداخلي للذرة لمعرفة سلوك الجسيمات او الدقائق الصغيرة التي تتحرك بداخلها والقوانين التي يمكن معرفتها لتفسير الظواهر الاشعاعية واختلاف العناصر فيما بينها . واهتدى العلماء الى معرفة الكثير من الظواهر الطبيعية بعدما تبين ان الذرة تتألف من الكترونات وبروتونات ونيوترونات ، وان الالكترونات تتحرك في مدارات حول النواة التي تتألف من البروتونات والنيوترونات ، ويختلف عدد الالكترونات خارج نواة الذرة باختلاف العناصر الطبيعية . وإذا كانت الالكترونات تتحرك في مدارات تبعاً لتوزيع عددي معين ، فانه من الواضح ان تكون لدينا مدارات تختلف مستوياتها وابعادها عن النواة ، بحيث تكون هذه المدارات مستويات مختلفة للطاقة ، وقد أيدت التجارب اختلاف الطاقة لمجموعات الالكترونات . وعلى هذا الاساس فان الالكترون الذي يتحرر من مداره يحرر معه كمية من الطاقة الاشعاعية ، والطاقة التي يحتاجها الالكترون للخروج من مداره تتناسب مع مستوى الطاقة ، وهذا معناه ، ان الالكترون في المدارات الواطئة يحتاج الى طاقة اكبر لاطلاقه من مداره ، وان انتقال احد الالكترونات من المدار الواطئ الى مدار اعلى يسبب فرقاً في الطاقة تنبعث على هيئة اشعاع .

وكان اهم انتصار حققته الفيزياء الذرية هو اعتداء ماكس بلانك الى معادلة رياضية يفسر بواسطتها ظاهرة من ظواهر الاشعاع الحراري والطاقة ، فأصبحت نتائج ما توصل اليه حجر الزاوية في تفسير كثير من الظواهر النووية والاشعاعية والضوئية . فمنذ سنة ١٨٩٥ كان بلانك يبحث عن تفسير لظاهرة اختلاف لون اللهب عند تسخين الاجسام ، اذ وجد ان الاجسام تبعث اشعاعاً احمر اللون عندما تنوهج ، وان لون اللهب ينقلب الى البرتقالي فالأصفر ثم الى الأبيض . واستطاع في مايس سنة ١٨٩٩ ان يحصل على الثابت الطبيعي

الذي اقترن باسمه ، وادرك اهميته الفيزيائية وما ينتج عنه من تفهقر لمبدأ الاستمرارية المعروف في الفيزياء الكلاسيكية ، وبداية تحول كبير في الفيزياء . وكان يوم ١٤ كانون الاول سنة ١٩٠٠ هو يوم ميلاد نظرية الكم ، فقد وفق بلانك الى ايجاد معادلة رياضية تتفق مع النتائج التجريبية لظاهرة الاشعاع الحراري ، فافترض ان الطاقة المشعة تنبعث على هيئة وحدات متقطعة اطلق عليها اسم « الكمات » Quanta . وعلى هذا الاساس تكون الطاقة مؤلفة من مقادير منفصلة للطاقة وليست سيلاً متصلاً لا ينقطع .

اما المعادلة فتميز بالبساطة حيث تبين علاقة الطاقة بتردد موجة الاشعاع ، وهي ان الطاقة = ثابت بلانك  $\times$  تردد موجة الاشعاع ، مع العلم ان ثابت بلانك يساوي مقداراً ضئيلاً يبلغ نحو  $6,55 \times 10^{-27}$  .

وفي سنة ١٩٠٥ قام آينشتاين باستخدام نتائج نظرية الكم بتطبيقها على الضوء ، وقد اظهرت ابحاثه والقوانين التي توصل اليها ان الضوء والحرارة والاشعة السينية تنتشر في الفضاء بنفس الطريقة التي تنبعث بها الطاقة المشعة في تجربة ماكس بلانك . وتوسع آينشتاين في النظرية عندما استطاع تفسير الظاهرة الضوئية - الكهربائية والتي تلخص في ان الاشعة الضوئية لها تأثير على لوح من معدن الزنك وذلك باطلاقها عدد من الالكترونات منه ، وان سرعة الالكترونات تختلف باختلاف طول موجة الضوء الساقط على اللوح المعدني . فاعتبر آينشتاين ان الضوء يتألف من حزم منفصلة من الطاقة هي « الفوتونات Photons » ، وان سرعة الالكترونات تتوقف على كمية الطاقة المخزونة في الفوتون ، فاذا كانت موجة الضوء ذات تردد عالٍ مثل الاشعة فوق البنفسجية ، فانها تخزن طاقة اكبر من طاقة فوتونات الاشعة دون الحمراء مثلاً . وعلى هذا الاساس تكون كمية الاشعاع تبعاً لنظرية آينشتاين في الظاهرة الضوئية الكهربائية هي ثابت بلانك مضروباً في تردد الاشعاع <sup>(١)</sup> . فاذا كان التردد عالياً

(1) Thomson, G., The Atom P. 97.

كانت طاقة الاشعاع اكبر بغض النظر عن شدة الضوء او قلته .

ومع تطور نظرية الكم تعرضت مفاهيم الفيزياء الكلاسيكية وعلم المناهج المرتبط بها الى تغييرات جذرية أدت في النهاية الى رسم صورة جديدة لطبيعة العالم الخارجي والقوانين التي تسلك الالكترونات بمقتضاها . وكانت النتائج الفلسفية المترتبة على هذه التغييرات كبيرة سواء في حقل المنطق او نظرية المعرفة او مناهج بحث العلوم ، كما برزت مشكلات جديدة واسئلة تتناول الطبيعة الحقيقية للكون وامكانية الانسان بما يملك من معدات ذاتية واجهزة علمية في معرفة ما يجري حوله في الكون بدقة تامة .

تناول ماكس بلانك بعض المشكلات التي اثارها النظرية الكمية في عدة مقالات هامة<sup>(1)</sup> تبيّن بوضوح آراء بلانك الفلسفية والمنهجية والحلول التي يقترحها للمشكلات الناتجة عن النظرة الجديدة للكون . ومن اجل اعطاء صورة واضحة لفلسفة بلانك الفيزيائية فمن الضروري التعرف على موقفه من العلاقة بين الفلسفة والعلم ، فهو يرى ان علم الفيزياء يتناول بالدراسة الاشياء والحوادث في الطبيعة ، بينما تقوم الفلسفة بدراسة النواحي الطبيعية والعقلية وتلك المسائل ذات العلاقة بالمشكلات الاخلاقية . وبناءً على ذلك يكون للفلسفة اطار اوسع من حقل الفيزياء ، ولكن هذا الاطار لا يمكن ان يبقى بمعزل عن النتائج التي يحققها العلم الفيزيائي ، بل بالعكس على الفيلسوف ان يأخذ في اعتباره قوانين الطبيعة وتفسيرها للظواهر المختلفة ان اراد ان تكون فلسفته متينة ولا تقع في تناقض مع النتائج العلمية . ومن ناحية

(1) Planck, M., Die Physik im Kampfe um die Weltanschauung Leipzig, 1935.

Planck, M., Die Kausalität in der Natur. Leipzig 1933.

Planck, M., Ursprung und Auswirkung wissenschaftlicher Ideen. Leipzig, 1933.

Planck, M., Wissenschaft und Glaube. Leipzig, 1935

وقد ترجمت هذه المقالات الى اللغة الانكليزية وجمعت في كتاب تحت عنوان

The Philosophy of Physics.

اخرى لا يمكن انكار دور القيم والاهداف العقلية والحلقية في البحث العلمي .  
فالباحث لا يستطيع فصل ذاته نهائياً عن ابحاثه ، ويرى بلانك ان الفلسفة العامة  
للطالب لا بد لها من تأثير على ابحاثه العلمية<sup>(1)</sup> ، ويظهر هذا التأثير عندما يكون  
امام الباحث مجموعة من الحقائق والمعطيات تحتاج الى ترتيب وتصنيف ،  
فلكي يحقق ذلك عليه ان يختار مبدءاً ما يقوم بموجبه بعملية التصنيف . واذا  
عرفنا انه لا يوجد مبدءاً ثابت جاهز قبلياً لتصنيف المعطيات والحقائق ،  
ادركنا على الفور ان اختيار المبدء يتوقف على الفرد ونظراته للحوادث والاشياء .  
واذا استعرضنا اسباب تطور العلم وانجازاته العظيمة ، فاننا لا بد ان نعطي  
اهمية كبيرة لطريقة البحث ونزعة الباحث في تصنيف الحقائق ووضع  
الفرضيات لتفسير الحقائق قيد الدرس والحالات التي تشابهها او تقع معها  
في الفئة التي تنطبق عليها الفرضية . وتعتمد هذه العملية على معطيات التجربة  
والمشاهدة ، وهذا معناه ان اي فرع من فروع العلم لا بد ان يعتمد على  
أسس تجريبية ، ولكن ذلك لا يعني مطلقاً ان جمع المعلومات وتصنيفها  
واستنتاج الحقائق خالٍ من العملية العقلية . اذ ليس المهم جمع المعلومات ،  
بل الطريقة التي نستعمل بها هذه المعلومات . ومن جهة اخرى نجد ان الطريقة  
في تناول المعلومات تعتمد هي كذلك على سد الفراغات او الفجوات بعناصر  
عقلية تقادياً لما قد يقع من خلل وعدم قدرة الباحث على الوصول الى صياغة  
القوانين الطبيعية . ان الحقائق التجريبية ليست كاملة ، وهي تحتوي على عدد  
من الاجزاء المنفصلة بالرغم من كثرتها ، وعليه يجب ان تصبح كاملة ،  
ولا يتم ذلك الا عن طريق ملء الفجوات ، ولا يتم ذلك الا بواسطة ترابط  
الافكار . ان ترابط الافكار ليس من عمل الفهم ، بل انه ناتج عن تخيل  
الباحث ، وهي الفعالية التي يمكن وصفها بالايمان<sup>(2)</sup> .

(1) Planck, M., The Philosophy of Physics P. 12.

(2) Ibid., P. 113.

وعلى الرغم من غموض عبارة «الايمان» في مقالة بلانك «العلم والايمان»<sup>(1)</sup> الا اننا نستطيع ادراك ما يعنيه من خلال الامثلة التي يسوقها في البحث . فالباحث لا يقف عند حدود الخبرة التجريبية ، بل يتعداها ايماناً منه بوجود انتظام وانسجام في الطبيعة ، ويقوده هذا الايمان الى طرح فرضية تقوم على اساس ان للكون قوانين عقلية . وقد كان مثل هذا الايمان دليلاً للبحاث كبلر في اكتشاف قوانين حركة الافلاك ، واساساً مهماً في منهجه العلمي .

ان «الايمان» في فلسفة بلانك هو عقيدة الباحث ودليله في جمع المعطيات التجريبية وتنظيمها لاكتشاف القانون ، ولكن مثل هذا الايمان قد يقود الباحث الى نتائج على عكس ما يتوقعها بلانك ، فيرتمي في احضان الميتافيزيقا او يحصل على نتائج ليست علمية فتضيق جهوده . كما ان الايمان لا يمكن ادخاله كعنصر من عناصر البحث العلمي ، فهو يتميز بصلته بفرد بالذات ، لأنه لا يوجد ايمان مشترك يفترضه البحث العلمي . ونستطيع القول ان الايمان في فلسفة بلانك هو موقف الباحث من المعطيات التجريبية وطريقة معاملته لها ، وهذا ايمان يختلف عن ايمان رجل الدين او العامة من الناس .

اذا كانت الحقائق والحوادث في الفيزياء هي الاساس في البحث العلمي ، فهل نستطيع القول ان هذه المعطيات تبقى مستقلة عن الباحث ولا تتأثر باجهزة البحث والتجربة ؟ . تقوم الفيزياء على افتراض ان الحوادث والاشياء مستقلة عن الخواس او الباحث ، وان لها وجوداً حقيقياً ، وانه بالامكان الوصول الى معرفة القوانين التي تتحكم في الحوادث الحقيقية . ان هذا الافتراض ضروري للبحث والا وقعت الفيزياء في فلسفة عقيمة حول وجود العالم وعدم وجوده . ولكن الفيزياء الكلاسيكية ذهبت الى ابعد من ذلك في افتراض ان القوانين التي تحكم حادثة حقيقية يمكن ان تفهم بشكل كامل اذا ما فصلت عن الحادثة التي تم بها القياس<sup>(2)</sup> .

(1) Plank, M., Wissenschaft und Glaube

(2) Planck, M., The Philosophy of Physics P. 21

ان التحليل العلمي والطرق الجديدة تبين العلاقة بين الحادثة الحقيقية والجهاز الذي يقيسها ، ومن العسير فهم القانون الذي يتحكم بالحادثة الحقيقية لتدخل جهاز القياس في الحادثة . وهنا تواجه بلانك مشكلة علمية وفلسفية مهمة تتعلق بقانون السببية الذي بقي حجر الزاوية في الفيزياء الكلاسيكية ، فهل بالامكان صياغة قوانين سببية في حقل الفيزياء النووية ؟

لقد لوحظ ان محاولة الباحث معرفة مكان الالكترون وسرعته لا يمكن ان تكون مضبوطة ، وذلك لتدخل جهاز القياس عند قياس حركته وتعيين مكانه . فاذا استطاع تعيين مكان الالكترون فان تعيين سرعته لا تكون مضبوطة واذا استطاع تعيين سرعته ، فان تعيين مكانه لا يكون مضبوطاً<sup>(١)</sup> . ومن المعروف الآن في الميكانيكا الموجية ان تعيين مكان الالكترون وسرعته يخضع للاحتمالية ، وانه من المحتمل ان يكون الالكترون في مكان ما وفي زمن معين . وهذا يقودنا الى القول ان القوانين في الميكانيكا الموجية ذات طابع احصائي او احتمالي ، وانه لا يمكن الاعتماد على القوانين السببية في معالجة المشكلات المتصلة بالذرة واجزائها . وذهب بعض علماء الفيزياء الى تعميم القوانين الاحصائية على جميع فروع الفيزياء ، لاعتقادهم ان كل قانون طبيعي ذو طبيعة احصائية وان اي سؤال عن السببية للحوادث هو فيزيائياً لا معنى له<sup>(٢)</sup> .

يحاول بلانك حل المشكلة لاقتناعه بأهمية قانون السببية في الفيزياء ، خاصة ان الاعتماد عليه في الفيزياء الكلاسيكية قد اثبت جدارته ، بحيث كانت القوانين المؤسسة عليه تقدم لنا دائماً معلومات عن حوادث لم تقع بعد ، كما تبين جدارتها في فهم الحوادث الطبيعية . والطريقة التي يعالج بها بلانك مشكلة السببية في الفيزياء الذرية تلخص فيما يأتي : —

١ — لا يمكن عزل تأثير جهاز القياس عن الحادثة الحقيقية مهما كان

(١) يعرف هذا المبدأ باسم « مبدأ الاحتمية » لهايزنبرك

(٢) Ibid., P. 24.

سعيًا في تحسين الجهاز ، وذلك لوجود حدود لا يستطيع الجهاز تخطيها اضافة الى كون الجهاز يعتمد هو على الذرات ، فكيف لا يؤثر على حركة الالكترود وسرعته ؟

ب - تبقى نتيجة البحث العلمي في الفيزياء الذرية غير دقيقة ، ومن السخف الاعتقاد بإمكانية قياس الحوادث الحقيقية بالدقة التامة ، سواء عمدنا الى تحسين الجهاز او غير ذلك .

يتضح من ذلك ان التنبؤ بالحدث بدقة غير ممكن ، وان مبدأ السببية كما يراه بلانك على اساس ان الحادثة ترتبط رباطاً علياً ضرورياً اذا امكن التنبؤ بها بكل دقة ويقين ، لا يمكن ان يبرهن على دقة النتائج ، مهما بلغت بساطة الظروف التي تختارها ومهما بلغت دقة الاجهزة القياسية المستعملة .

ومن أجل الخروج من المعضلة تبدو امامنا الاقتراحات الآتية : -

١ - اذا كانت الفيزياء الكلاسيكية وما قدمته من انجازات في صياغة القوانين الطبيعية معتمدة على قانون السببية ، فان القول بعدم الالتزام بهذا القانون في الفيزياء الذرية ، لان القوانين ذات طبيعة احصائية ، ثم توسيع هذا المفهوم الى حد المطالبة بايجاد أسس احصائية لكل قانون ، يؤدي الى اعادة النظر من جديد في أسس الفيزياء .

ولكننا اذا دققنا النظر في مفاهيم الفيزياء الكلاسيكية ، فانا نجد انها ذات فاعلية كبيرة في حقل الاجسام الكبيرة ، وان العقبة التي أدت الى زعزعة الثقة بها ناتجة عن محاولة علماء الفيزياء الاستعانة بها في حقل الفيزياء الذرية . فاذا عدلت هذه المفاهيم بحيث اصبحت اكثر دقة وشمولاً ، فان كثيراً من المشكلات ومنها السببية تكون في طريقها الى الحل السليم .

٢ - ان تحسين الاجهزة القياسية لا يؤدي الى المعرفة بالحادثة بدقة ، وذلك

لوجود علاقة عليّة بين الجهاز والحادثة من شأنها أن تؤثر على النتيجة . وهذا هو جوهر الصعوبة في عدم تحقيق السببية . ولكن اذا استطعنا بأجهزة اخرى تصحيح النتيجة ، فان ذلك معناه العودة الى قانون السببية . ان الايمان بتقدم العلم وتحسين النتائج التي يتوصل اليها البحث العلمي هو الدافع كذلك لتصحيح او تقريب النتائج الى المستوى الذي نستطيع ان نحقق الدقة الممكنة .

٣- اذا سلمنا باستحالة قدرة الاجهزة العلمية مهما بلغت دقتها ان تقيس سرعة الالكترون ومكانه بدقة ، فالتجارب تذهب الى النظرية لتحقيق السببية ، وهذا معناه ضرورة التمييز بين العالم الواقعي وما ينشأ عنه في مجالات البحث العلمي ، وبين النظرية التي تذهب بنا الى ما وراء الاقيسة المباشرة وتساعدنا في طرح الفرضيات الضرورية . وبناء على ذلك يميز بلانك بين نوعين من التجارب : —

١- التجربة العقلية Gedankenexperiment التي تتجاوز حدود اخطاء الاقيسة المباشرة ، فتساعدنا على بناء الفرضيات وصياغة الاسئلة التي يكون الشبث منها عن طريق التجارب الواقعية<sup>(١)</sup> .

ب- التجربة الواقعية « Das wirkliche Experiment » التي تقوم بالقياس واثبات الفرضية والجواب على الاسئلة التي يطرحها الباحث .

ان أهمية النظرية تكمن في كونها اكثر دقة وثباتاً ، فالافكار هي اكثر ثباتاً من النوات والالكترونات ، ولا يوجد خطر من تأثير جهاز القياس على الحادثة التي نريد قياسها . وان التجربة العقلية بحاجة الى شرط واحد لنجاحها

---

(1) Ibid., 27

وهو سماحها لكل قانون غير متناقض يحكم العلاقات بين الحوادث التي هي تحت الملاحظة . ان فلسفة بلانك تعتمد على النظرية والتجربة ، وهي لا تفرض بالنظرية على حساب التجربة او تفرض بالتجربة على حساب النظرية ، لان التفريط بالنظرية يؤدي الى تجريبية متطرفة ، والتفريط بالتجربة يؤدي بنا الى مثالية لا جدوى منها . ان العلاقة بين التجربة العقلية او النظرية والتجربة الواقعية ضرورية ، اذ لا يمكن الثبوت من التجربة العقلية الا في حدود التجربة الواقعية ، ولكن اهمية التجربة العقلية تبرز بشكل واضح عندما نعرف ان التجربة الواقعية لا تستطيع ان تتخلص من عامل اللادقة فيها . وفي سبيل توضيح ذلك نأخذ مثلاً من علم الهندسة باعتباره علماً برهانياً دقيقاً . فالنقطة والخط مثلاً مفاهيم هندسية اذا بحثنا عنهما في العالم الواقعي لا نجد ما يطابقهما تماماً ، فالنقطة الموضوعة على السبورة او الورقة قد تكون صغيرة او كبيرة ، ولكن ذلك لا يعني اننا نشك في قدرة الهندسة البرهانية .

فالتجربة العقلية بناء على ذلك تكون الدليل الذي يفتح امامنا امكانية معرفة القوانين الجديدة من خلال التجربة الواقعية .

تناول بلانك هذه المشكلة بطريقة اخرى في مقالته عن « السببية في الطبيعة »<sup>(1)</sup> ، فهو يرى ان طائفة العلماء المؤمنين باللاحتمية في الطبيعة قد رفضوا السببية في مفهومها القديم دون محاولة لتعديلها ، فاعتبروا القوانين الطبيعية خاضعة لاعتبارات احصائية ، وانه بناء على ذلك لا توجد سببية حقيقية في الطبيعة ، وان الوهم في وجودها يعود الى وجود قواعد معينة تظهر وكأنها صادقة مطلقاً .

ان التمييز بين عالم الرموز وعالم الحقائق والوقائع خير سبيل يراه بلانك في دفاعه عن السببية ، ففي الفيزياء النظرية تنتقل من عالم الوقائع الى عالم الرموز والافكار ، فنقوم ببناء او تركيب عالم ذهني لفهم العالم الواقعي ،

---

(1) Planck, M., Die Kausalität in der Natur.

ويختلف عالم الرموز عن عالم الحواس والاجهزة الحسية بأنه أكثر دقة وثباتاً ، ويسمى بلانك هذا العالم بـ « صورة العالم الطبيعي Physical World image »<sup>(1)</sup> ، ويتميز بكونه نموذج تجريدي يكوّنه الباحث في سبيل تحاشي اللادقة المتضمنة في كل قياس . فاذا كان العالم الطبيعي مكوناً من اشياء لها طول ومقاييس اخرى ، وشحنات وموجات والكروونات وغيرها ، فان عالم الرموز مؤلف من مفاهيم وصور او رموز لهذه الحوادث والاجسام . وهذا معناه ان كل كتلة وكل شحنة وكل فترة زمنية لها معنيان : المعنى الاول مرتبط بالنتيجة المباشرة للقياس ، والمعنى الثاني على اساس انها تطبيق لنموذج ينتمي الى عالم الرموز . ففي الحالة الاولى لا يمكن ان تعرف بدقة ولا يمكن ان يُعبّر عنها برقم مضبوط ، اما في الحالة الثانية فانها تعتبر دلالات لرموز رياضية معينة نستطيع بموجبها العمل بقواعد مضبوطة . ومن الامثلة على صدق هذا التحليل الثوابت في الطبيعة ومنها ثابت بلانك ، فبالنسبة للصورة التي ترسمها الفيزياء النظرية يكون الثابت مضبوطاً بدقة ، بينما هو ليس كذلك بالنسبة للأقيسة .

ومن الجدير ان نذكر هنا ان عالم الرموز والرياضيات باعتباره النموذج لا يحتوي على مقادير قابلة للملاحظة مطلقاً ، وان صفته التجريدية تجعلنا نقوم باشتقاقات متتالية لنصل الى عالم الواقع والحس . لذلك من الضروري التمييز بين العالمين وعدم التفريط باحدهما .

ان دفاع بلانك عن قانون السببية لا يعني مطلقاً رفضه للقوانين الاحتمالية في الميكانيكا الموجية ، ففي الوقت الذي يعترف بأهمية هذه القوانين وجدواها في البحث العلمي ، يعتقد كذلك بأهمية قانون السببية في الفيزياء باعتباره الدليل الذي يفتح الطريق امامنا وسط عالم مليء بالحوادث الطبيعية المضطربة . فهو يعترف ان قانون السببية لا يمكن البرهان عليه ، واننا لا نستطيع الحكم

(1) Planck, M., The Philosophy of Physics P. 50

عليه بكونه صحيحاً أو غير صحيح<sup>(١)</sup> ، ولكنه على الرغم من ذلك يبقى ذا أهمية بالغة في البحث العلمي ، لأنه يساعدنا في ترتيب الحوادث وإيجاد العلاقات القانونية بينها .

إذا نظرنا الى هذا الموقف من زاوية تجريبية بحثة ، فأننا سنصل الى رفض السببية لاعتبارات تجريبية ومنطقية ، ولكن مثل هذا الرفض قد يكون غير موفق ، خاصة اذا كانت الغاية التخلص من المفاهيم والمبادئ التي يراها فلاسفة التجربة لا معنى لها ، وذلك لأن العلم يزودنا بأمثلة لا تتفق وهذه النظرة الضيقة . ومن الأمثلة التي يقدمها بلانك اعتبار علماء الفيزياء التجريبيين قبل خمسين عاماً السؤال عن تعيين وزن ذرة واحدة لا معنى له ولا يخضع للبحث العلمي<sup>(٢)</sup> .

يظهر من التحليل العام لفلسفة بلانك ان محاولاته لحل المشكلة تتعد عن العالم التجريبي لتجد لها حلاً في عالم النظريات الفيزيائية ، وانه كعالم لا يلتزم بمذهب فلسفي معين ، بل ينظر الى المسائل المطروحة امامه من خلال تجاربه الذاتية وتجارب الآخرين ، وما تأكيده على دور التخيل والايمان الا الدليل على جمعه بين العقلية والتجريبية . كما ان تمييزه بين التجربة العقلية والتجربة الواقعية او بين عالم الرموز وعالم الحس دليل آخر على ادراكه لأهمية العقل في صياغة عالم الرموز وبناء النموذج ، حيث تقوم التجربة باثباته . كما ان دفاعه عن السببية واعترافه بالقوانين الاحصائية التجريبية في الفيزياء الذرية هو دفاع عن الجانب العقلي والتجربي في البحث العلمي معاً . كل هذه الاتجاهات تبين الاساس الفلسفي في معالجته للمشكلات الناتجة عن علم الفيزياء ، وتفتح الطريق امام مذهب فلسفي فيزيائي تقترح تسميته « بالمذهب العقلي التجربي » .

(1) Ibid., P. 76.

(2) Ibid., P. 29.

## الفصل الرابع

### المثالية الرياضية

جيمس جيفس

قدمت النظرية النسبية ونظرية الكم مادة جديدة ونظرة مختلفة عن الكون الذي نعيش فيه ، فكانت قاعدة لفلسفات وتأملات اشترك فيها العلماء والمفكرون والفلاسفة ، كما كان لمناهج البحث فيها الأثر الكبير في تغيير الاساليب التجريبية القديمة والانتقال صوب الطريقة الرياضية للتعرف على اسرار الطبيعة وظواهرها الخفية . فقد اظهرت الطريقة الرياضية في البحوث الفيزيائية مقدرة كبيرة تفوق مقدرة الطريقة التجريبية ، فأصبح هذا الانقلاب في الطريقة بمثابة عامل مساعد لظهور فلسفات تقرب في روحها من الاتجاهات الفكرية العامة للفلسفة الفيثاغورية والافلاطونية . فاذا اعتمدت الطريقة التجريبية على الاستقراء وملاحظة حقائق التجارب وربطها بتعميم يساعد الباحث على ايجاد صيغة قانونية عامة ، فان الطريقة الرياضية تعتمد على عدد من الفرضيات ، ولكن ذلك لا يعني مطلقاً ان هذه الطريقة لا تهتم بالتجربة ،

لان في هذا الاعتقاد خطأً كبيراً ، فالتجربة تبقى دائماً معيار صدق القانون او كذبه ، وبدونها لا يمكن التحقق من القوانين الفيزيائية التي نتوصل اليها بالعلم الرياضي . ونتيجة لهذا التطور في الطريقة العلمية اصبحت النظرية او النظام مثلاً جيد للصفة الاساسية في التطور الحديث في العلم النظري . فالفرضيات التي بدأت منها اصبحت اكثر تجريداً وبعداً عن الخبرة والتجربة . واقتربت بذلك من المهدف الجليل الذي تسعى اليه جميع العلوم ، وهو ان تشمل اكبر عدد ممكن من الحقائق التجريبية بواسطة استدلال منطقي من اصغر عدد ممكن من الفرضيات والبداهات<sup>(١)</sup> .

اتجه بعض العلماء بفضل هذا التيار في الفلسفة العلمية الى بحث الفرضيات لاعتقادهم انها مبادئ اِستمولوجية تؤلف قاعدة هامة في المعرفة القبلية apriori Knowledge التي لا تعتمد الخبرة الحسية او التجربة في اشتقاقها . وتقدم بعض هؤلاء الفلاسفة بفرضيات ميتافيزيقية ، لاعتقادهم ان الفيزياء المعاصرة تكشف لنا عن وجود كائن اعلى او مهندس عظيم ، وان العالم المادي ظل للحقيقة الخالدة . وكان الى جانب ذلك بعض الدوافع العلمية التي وضعت الحجة بأيدي هؤلاء العلماء المتفلسفين لتدعيم آراء ميتافيزيقية ، ويمكننا تلخيص هذه الدوافع بالنقاط الآتية : —

١ — انهيار التفسير الميكانيكي والمادي للكون ، واثبات بعض الحقائق التي يعجز التفسير الميكانيكي عن ايجاد حل لها وذلك بأساليب الفيزياء المعاصرة .

ب — الانتقال الواضح من الطريقة التجريبية الى الطريقة الرياضية ، واثبات ان الثانية اكثر جدارة ، حتى اعتقد العلماء ان الكون قد صمم بطريقة رياضية ، وان الرياضيات وحدها تستطيع التعبير عن

(١) Ed., Commins, C., & Linscott, R.N., The Philosophers of Science P. 479.

## حقائق الكون .

ح- تهافت النظرية المادية الكلاسيكية بعد معرفة الانسان علمياً للعلاقة بين الطاقة والمادة ، وان المادة لا تمثل الا تقلصاً او انكماشاً في متصل الزمان - المكان ، فهي ليست الا ظاهرة تخضع لخصائص المتصل الزماني - المكاني .

وفي الحقيقة ان النظرية النسبية والكمية قد قدمتا كثيراً من الحقائق التي لا يستطيع العالم وصفها الا بمعادلات رياضية مثال ذلك حقيقة متصل الزمان - المكان . فاعتقد جينس مثلاً ان الرياضيات هي الطريق الوحيد الذي يكشف لنا عن ظواهر العالم الحقيقي بصورة واضحة . وتعود نشأة الرياضيات في اعتقاده الى حقيقة وجود رياضي بحت Pure Mathematician خلق العالم ، بحيث ان اهتمامنا بدراسة هذا العالم تكشف لنا عن هذا العقل الرياضي . اورد جينس رأيه . هذا في كتابه « الكون الغامض »<sup>(١)</sup> الذي استعرض في الفصول الاولى منه التطورات العلمية الحديثة ونظرة علم الفيزياء للعالم والمادة والاشعاع والاثير ، وكانت غايته التمهيد للفصل الاخير الذي اورد فيه نظراته الفلسفية ، ومن الخطأ الاهتمام بنظراته الفلسفية من دون التعرف على استنتاجاته العلمية في الفصول الاولى . ولم تخل كتاباته الاخرى من نظرات فلسفية فيها نتائج العلم وتأملات صادرة عنها . ومن كتبه الرئيسية « الارضية الجديدة للعلم »<sup>(٢)</sup> ، و « الكواكب في مداراتها »<sup>(٣)</sup> و « خلال المكان والزمان »<sup>(٤)</sup> و « الفلسفة والفيزياء »<sup>(٥)</sup> .

جاء اسلوب كتابة جينس بسيطاً ابتغاء تبسيط العلوم بلغة غير رياضية

- (1) Jeans, J. The Mysterious Universe .
- (2) Jeans, J., The New Background of Science.
- (3) Jeans J., The Stars in their Courses.
- (4) Jeans, J., Through Space and Time.
- (5) Jeans, J. Philosophy and Physics.

لا تخلو من العاطفة الدينية والاستعارة والتشبيه ، فكان كل ذلك هدفاً لنقد سوزان ستينيك في كتابها « الفلسفة وعلماء الفيزياء »<sup>(١)</sup> ، وارتكزت انتقاداتها على ناحيتين هما : -

١ - استخدام جينس العبارات العاطفية والاستعارة والتشبيه في محاولته تبسيط نظرية العلوم الى الكون .

ب - استنتاج جينس بعد استعراض للنظريات العلمية ، وبصورة خاصة للنظرية النسبية والكم ، بعض الآراء الميتافيزيقية والدينية باعتبارها لا تخضع لاساليب البحث العلمي .

لا شك ان استخدام الفيلسوف لاسلوب الاستعارة يفتح الطريق لانتقادات كثيرة ، لان عليه ان يكون دقيق العبارة واضح المفاهيم والمبادئ . وستينيك التي تمثل تياراً فلسفياً هو التجريبية المنطقية تؤكد أهمية وضوح العبارة ودقتها في الفلسفة والعلم ، وأنها باساليب التجريبية المنطقية تستطيع ان تستنتج من عبارات جينس تناقضات مضحكة . وقد استخدم جينس بالفعل في بعض الاحيان عبارات عاطفية لا تخلو من نزعة دينية عند مقارنته صغر الانسان بالنسبة لعظمة الكون واتساعه ، وكأنه يريد بذلك اظهار عظمة الله مقابل صغر الانسان وثقافته وجوده . ومن ناحية اخرى ارادت ستينيك من مناقشتها لآراء جينس في الله او المهندس الاعظم كما يسميه جينس ان تقول له - وهو من دون شك يعرف ذلك بحكم كونه مشتغلاً بالفلك والفيزياء - ان عالم الفيزياء لا يستطيع اثبات وجود الله او الشيطان طالما هو مهتم بعلم الطبيعة ، اللهم الا اذا كان الله او الشيطان من تلك الاشياء التي تخضع لبحث عالم الفيزياء<sup>(٢)</sup> .

لقد غاب على ستينيك مسألة هامة في مجال تبسيط العلوم ، فكثيراً ما

(1) Stebbing, S., Philosophy and the Physicists 1937.

(2) Ibid., P. 24.

يلجأ الكاتب الى ترجمة الرياضيات المعقدة الى لغة بسيطة يقرب بها من اذهان الناس ، وان عملية تبسيط العلوم لا تكون دقيقة ولا يمكن لها ان تكون بنفس دقة المعادلات الرياضية ، فيلجأ الكاتب الى عبارات لا تخلو من العاطفة والمجاز ، وهذا امر لا يعد تقصيراً اللهم الا اذا قيس بمقاييس العلم . اما آراء ستينك في استنتاجات جينس فهي من جهة اخرى غير عادلة ، لان النتائج التي توصل اليها لم تكن امتداداً لاستنتاجات فيزيواوية او رياضية ، بل انها انطباعات حصلت له من دراساته لطبيعة النظرية العلمية ونتائجها . فلا يمكن اثبات بطلان افكاره الفلسفية لكونها لا تخضع لاساليب البحث العلمي ، ولم يطلب جينس في مؤلفاته اثبات ما توصل اليه بالتجربة والملاحظة ، بل يبين ان العلم الحديث والنظرية الفيزيواوية تسير نحو التجريد الرياضي وبالتالي تكشف بطريقة غير مباشرة عن وجود عقل رياضي .

والواقع ان هذا المذهب ليس بجديد في الفكر الفلسفي ، واختلافه عن المذاهب القديمة يكمن في استعانة جينس بالنظرية الرياضية والفيزيواوية ، في حين استمدت المذاهب الفلسفية القديمة افكارها عن طريق تأثرها بالعلم في ذلك الوقت والتأمل في الظواهر الطبيعية الغامضة . فالمدرسة الفيثاغورية اعتبرت الرياضيات الوسيلة لتنقية الروح وكشف ماهية العالم وطبيعته ، فكانت نظريتهم في العدد بمثابة صيغ رياضية تمثل حقيقة العالم . والفلسفة الافلاطونية مثال آخر يبين اثر الرياضيات في تحليل ظواهر العالم المتغير . ومحاولة افلاطون في فهم العالم تدل كذلك على حقيقة اهتمامه بالرياضيات والاستعانة بها في كشف الحقائق . ونظرية المثل التي صاغها افلاطون ما هي الا صيغة فلسفية تعتمد على الرياضيات وتعاليم المدرسة الفيثاغورية في اتجاهها الصوفي .

كان افلاطون شديد الاهتمام بالرياضيات الى حد كبير ، وذلك لاعتقاده انها الوسيلة التي نسمو بها فوق عالم مادي لا يصلح ان يكون حقلاً للمعرفة اليقينية . فتصور المثل مفارقة خالدة ابدية لا يطرأ عليها

تغيير ، وتميز بكونها الموضوع الحقيقي للعلم .

ان بين فلسفة جينس وافلاطون شبهاً كبيراً وذلك لالتقاء آرائهما في نقاط فلسفية كثيرة أهمها اعتمادهما ان العالم المادي مجرد ظل للحقيقة الكلية الخالدة ، وان الرياضيات هي الطريقة التي توصلنا الى معرفة الحقائق الابدية او تكشف لنا عن وجود عقل كلي .

تقرب نظرية المعرفة لجينس من نظرية المعرفة لافلاطون وافلوطين . واذا عقدنا مقارنة بين نظرية جينس وافلاطون لوجدنا ان بين النظريتين تشابهاً وتطابقاً لا يمكن انكاره . ف يرى افلاطون ان ما وراء العالم المحسوس يوجد عالم الحقيقة الثابتة . فكل طفل يولد في محيط يجد فيه اجساماً مادية يحسها ويبصرها ويحكم عليها على اساس انها حقائق مادية ممتدة في المكان . ولكن الحس ما هو الا مرحلة ابتدائية نستعين بها لادراك العالم الخالد ، وهي مرحلة ابتدائية لانها لا تمدنا الا بمعرفة الظواهر المتغيرة ، وهي معرفة ليست يقينية ، ولكنها في الوقت نفسه تساعد الباحث او العالم في اقامة تجاربه والتحقق من نظرياته ، لانها المعرفة المباشرة له ذات الصلة بالعالم الخارج عن ذاته . وعالم الفيزياء لا ينكر هذه الظواهر او يشك في وجودها ، بل انه يحاول ان يرتقي بمعرفته الى عالم اكثر دقة و يقينية ، فهي معرفة لا مندوحة له من الاعتماد عليها . ولكن عالم الفيزياء لا يتوقف عند حدود المشاهدات البسيطة لظواهر العالم الخارجي ، بل يتخذ منها نقطة ابتداء لاجراء التجارب وتحسين مشاهداته لها بانتظام عن طريق ايجاد او بناء الاجهزة العلمية الدقيقة والمقاييس التي تقوم بتسجيل الحوادث والظواهر التي لا تستطيع الاجهزة الحسية للانسان ان تضبطها او حتى مشاهدتها في بعض الاحيان . ان انتقال العالم من مستوى المشاهدة والحس الساذج الى مستوى التجربة وصناعة الاجهزة العلمية يشكل مجد ذاته ثورة في مفاهيم الانسان ونظرة الى الكون .

وماذا بعد ذلك؟ اليس هذه المعرفة عاجزة عن ان تعطينا صورة كاملة للحقيقة التي ينشدها الانسان؟ فاذا اردت ان تصدر حكماً على موجود متغير ، أفليس هذا الحكم ظناً؟ لا بد إذاً من اجتياز هذه العقبة لترتفع فوق العالم الحسي متجهين الى عالم تسوده الحقيقة .

يتفق جينس مع هذا التحليل في ان العلم الطبيعي لا يطلعنا الا على ظواهر الحقيقة ، ويعتقد (مثل افلاطون) باننا نعيش في كهف لا تظهر منه غير اشباح الحقيقة<sup>(١)</sup> . والعلم لا يعرف ما اذا كانت وراء هذه الاشباح حقائق خارجية ، فهو يدرس ظل الاجسام الساقطة لانه يجد سلوكها شبيهاً بالاجسام الساقطة فيفسر سلوكها بفلسفة ميكانيكية .

ان الكهف الذي نعيش فيه تنعدم فيه الحقيقة ، لان الحقيقة كما يراها جينس خارجة عن الكهف ، فاذا صادف أن خرج انسان منه ، فانه سوف يأسف على الوضع الذي يعيش فيه اصداقائه ، لانهم تعودوا على رؤية الاشباح فتوهموا انها الحقيقة . ولكن الحقائق بعيدة عن متناول ايديهم الا اذا استطاعوا ان يتخلصوا من وضعهم المؤلم . فالحقيقة في فلسفة جينس تبدو بعيدة المثال ولا يمكن ان تدرك ، وهذا قرار يخالف ما اعتقده افلاطون في ان الحقائق الابدية يمكن الوصول اليها بعد تدريب وتعلم وتفلسف .

فعلماء الفيزياء مثلهم في ذلك مثل الناس الذين يعيشون في الكهف لا يرون الا الظواهر للعالم الحقيقي . ولكن افلاطون يرى ان باستطاعتنا ان نرتفع درجة فوق الظواهر الى عالم اكمل واكثر تجريداً . فبالذهن Intellect أو العقل نتوصل الى القضايا والمفاهيم الرياضية والاستدلالية بعد ان نكون قد جاوزنا مرحلة المحسوسات . فالمثلث مثلاً حقيقة رياضية يستخلصها العقل بعد ان يجرد منها الصور والعناصر الحسية ، وهذه المرتبة

---

(١) الكون الفاضل ص ١٤٠ (ترجمة عبد الحميد حمدي مرسي)

هي الاطار العام لحقل الرياضيات التطبيقية والفيزيائية . ولا يختلف هذا السلوك العلمي عن سلوك علماء الفيزياء في الكهف الذين يحاولون دراسة سلوك الاشباح والظواهر ، وغايتهم معرفة القوانين التي تتحكم في سلوك هذه الاشياء او القوانين التي تسير الاشياء بمقتضاها . ان القوانين التي نتوصل الى صياغتها ليست موجودة وجود الاشياء في الطبيعة ، بل هي مجرد صيغ رياضية لتفسير اكبر قدر ممكن من الحوادث . فاذا افترضنا عدم قدرة الانسان على معرفة مثل هذه القوانين ، وجب علينا التسليم بان معرفته لا تتعدى الخبرات الحسية . ومثل هذا الافتراض يناقض العلم الذي ينشئ تنظيم الخبرات الحسية وايجاد الصلات بينها لمعرفة القوانين والارتفاع بالمعرفة نحو التجريد والدقة .

اذا تتبعنا التطور العلمي في نظرة الانسان للكون لاستطعنا تحديد الاتجاه الفكري للانسان في الحصول على المعرفة . فالتطورات العلمية الحديثة التي ظهرت في حقل الفيزياء تشير الى حقيقة هامة هي ان نظرتنا الى الكون تبدلت جذرياً واصبحت النظرة الميكانيكية السابقة غير ملائمة وغير قادرة على تفسير كثير من الحقائق ، اضيف الى ذلك انهيار الاساس الميكانيكي الذي افترضته الفيزياء الكلاسيكية والذي تمت بموجبه صياغة القوانين الطبيعية . فلقد بدأ التفكير في الكون اولاً على اساس حيوي ، فاعتقد الانسان بوجود أنفس وآلهة وارواح هي المسؤولة عن الكون وحركات اجزائه ، فجاءت تفسيراته مقترنة بهذا الاعتقاد . وعندما بدأت الفيزياء تشق طريقها في تفسير الكون على أسس تجريبية ظهرت النزعة الميكانيكية في تصوير الكون بعد ان تخلت عن التفسير السابق . ولكن هذه الفلسفة الميكانيكية التي حاولت ان تصور الطبيعة في عملها بشكل يشبه عمل العضلات والاوراق العصبية لم تستطع البقاء بعد ان ثبت للعلماء بما لا يقبل الشك عدم جدوى هذه النظرة وقصورها في تفسير الكون ، وانه لا يمكن للطبيعة ان تكيّف نفسها تبعاً للعضلات والاوراق

او تبعاً لرغباتنا<sup>(١)</sup>. وهنا يفرض الاساس الرياضي نفسه ، وقد ثبتت جدارته ، بانه يكشف لنا الطبيعة بالطريقة الرياضية ، لان جينس يرى ان جميع الصور التي يرسمها العلم للطبيعة والتي تظهر وحدها القادرة على وصف الكون بتأييد من التجربة والملاحظة هي الصور الرياضية . وهنا تظهر فلسفة جينس باتخاذها الاساس الرياضي قاعدة لفهم الطبيعة ، فالتخذت العقل اساساً . ولا فرق اذا كان العقل هو الذي يطبع قوانينه على الطبيعة او بالعكس ، لان المهم في رأي جينس النتيجة التي نتوصل اليها والتي تقودنا الى الاعتقاد بوجود مصمم للكون قام بهندسته على أسس رياضية . ويظهر ان هذه النتيجة التي توصل اليها جينس ترتبط بالتطورات العلمية الحديثة في حقل الميكانيكا الموجية وبالحقيقة التي توصل اليها علم الفيزياء في رسم نماذج او صور رياضية لفهم الطبيعة والتي اثبتت بالتجربة والملاحظة انها تمدنا بمعرفة دقيقة عن حقيقة الكون . ومن ذلك يصل جينس الى القول ان هذا المصمم الذي هندس الكون هو مهندس رياضي .

اذا أردنا البحث فلسفياً في هذه النتيجة ، فانتا نضطر الى طرح سؤال في غاية الاهمية هو : ما هو مصدر الرياضيات التي جاء الكون مطابقاً لها ؟ هل هي من خلق الانسان وعقله ام انها هبطت من عالم علوي فاصبح العالم المادي صورة او نموذجاً لها ؟ ان جينس في جوابه عن هذا السؤال لا يقرر بالضبط ، فتجده يتخذ الموقف الاول ثم يبدله ليقرر الموقف الثاني ، مع العلم ان بين الموقفين اختلافات جذرية . فاذا كانت هذه القوانين من خلق الانسان لفهم الطبيعة بعد تدبر لمجريات الأحداث فيها ، فانتا عندئذ تقرر ان الطبيعة تترجم نفسها بقوانين ذات صيغة رياضية ، ولكننا لا نستطيع القول ان هذه القوانين موجودة في العقل قبلياً *apriori* . اما فيما يخص الموقف الثاني فان جينس يقرر ان هذه القوانين الرياضية

---

(1) Jeans, J. The New Background of Science. P. 43.

قد هبطت من عالم العقل او الله ، وهنا يصبح الكون مجرد نموذج لهذه القوانين . ولكي يكون باستطاعتنا معرفة هذه المواقف المتضاربة لا بد لنا من بعض اقواله في هذا الصدد ، فهو يقول : « انه يلوح ان الطبيعة ملمة بقواعد الرياضة البحتة كما وصفها علماءنا الرياضيون في اثناء دراساتهم ، فأخرجوها من خبايا وعيهم من غير ان يلجأوا كثيراً الى صلاتهم بالعالم الخارجي »<sup>(١)</sup>. نرى في هذا النص وضوح موقف جينس في ان القوانين هي من اختراع العلماء وانها من ابداع عقولهم ، ولكننا لا نستطيع تقرير ما يقصد اليه بقوله « فأخرجوها من خبايا وعيهم .. الخ » ، فهل ذلك معناه ان هذه القوانين الرياضية موجودة في العقل وانها خرجت بمجرد اتساع المعرفة الفيزيائية ام انها قوانين طبعت في العقل بشكل او بآخر .

ولكن الذي يظهر من اقوال جينس الاخرى « ان التفسير الرياضي الجديد للطبيعة لا يمكن ان يكون كله ناشئاً من نظرتنا إليها - اي من نظرتنا الذاتية الى العالم الخارجي »<sup>(٢)</sup> ، وهذا يدل على حقيقة هامة هي عدم اعتراف جينس بالقول القائل بان معرفتنا للطبيعة قبلية باجمعها . ويسترسل جينس في استنتاجاته الفلسفية مبيناً اهمية الرياضة البحتة وكون العالم مصمم تبعاً لها فيقول : « ونحن نزعم ان الكون يبدو لنا الآن في مظهر رياضي ، ولكن بمعنى يختلف كل الاختلاف عن كل ما فكر فيه « كانت » وعن كل ما كان يمكن ان يفكر فيه ؛ وجملة القول ان الرياضة هبطت على الكون من أعلى ولم تجئه من اسفل »<sup>(٣)</sup> وفي هذا القول اعتراف صريح ان الرياضيات ليست من خلق الانسان ، بل انها مجموعة القوانين والانظمة التي دخلت ثنانيا الطبيعة نازلة من العقل الكلي لتحيل الطبيعة

(١) الكون الفاض ص ١٤٢

(٢) المصدر السابق ص ١٤٥ - ١٤٦

(٣) المصدر السابق ص ١٤٧

الى صورة رياضية ، بحيث يصبح بمقدور الانسان فهم الطبيعة على أسس رياضية . وهنا تظهر التناقضات واضحة في فلسفة جينس بحيث لا يكون من السهل ان نخرج من هذا المأزق والغموض الا اذا اتخذنا من فلسفة افلاطون صورة لفلسفة جينس . فالمثل الافلاطونية هي صور مفارقة تتحول في فلسفة جينس الى رياضيات بحتة ، واذا كان العالم الطبيعي مجرد محاكات لعالم المثل ، فان الرياضيات البحتة لا بد ان تكون النموذج للعالم الطبيعي . ان المعرفة الانسانية كما يراها افلاطون تذكر ، فعندما نتعرف على ظواهر العالم الخارجي نتذكر الصور الازلية للعالم وكأنها مطبوعة في الذهن ، كذلك المعرفة عند جينس تبدأ بالظواهر ولكنه سرعان ما يتعد عنها ليقرر ان عالم الرياضيات هو الذي رسم الصورة الرياضية للكون بعيداً عن العالم الخارجي ، ويرى جينس ان البحث الفيزيائي يوصلنا الى معرفة القوانين الرياضية التي تكشف لنا عن وجود رياضي كبير هو المهندس الاعظم للكون .

وفضلاً عن هذا التشابه بين الفيلسفين ، فان بينهما مبادئ فلسفية اخرى مشتركة . فالرياضة والاستدلال في فلسفة افلاطون مرتبة تتوسط بين عالم الحس وعالم الحقيقة . اما الحقائق الابدية فهي المرتبة الاخيرة التي يمكن ان يصل اليها العقل الانساني . والحقائق الابدية عبارة عن مثل رياضية مفارقة تشبه في كثير من الوجوه فلسفة جينس في الرياضة البحتة . والحقائق الرياضية (في فلسفة افلاطون وجينس) هي المبادئ الاساسية التي بنى الله الكون بموجبها . فالله عند افلاطون مهندس عظيم صمم الكون على هيئة اشكال هندسية ، فالتار مؤلفة من ذرات هرمية ، والهواء من ذرات ذات ثمانية اوجه والماء من ذرات ذات عشرين وجهاً والتراب من ذرات على هيئة مكعبات هندسية . ولكن الله عند جينس ذو قلرة هندسية اكبر خلق الكون بموجب قوانين طبيعية او رياضية ، وبذلك وقع في مثالية رياضية عندما اعتقد ان في ذلك برهاناً على ان الكون هو فكر الله . وكان عليه

ان يميز بين القول : « ان الله خلق الكون تبعاً لقوانين رياضية » . وبين « ان الكون هو فكر الله » ، لان المقدمة الاولى لا تؤدي الى النتيجة .  
فبينما تبين الاولى اعتراف جينس بالعالم المادي المطبوع بالقوانين الرياضية ، تقوم النتيجة باثبات روحية الكون بعيداً عن المادية والطبيعة .

ونعود الآن الى العالم الارضي او الخارجي بعد ان حلقنا مع جينس الى السموات في استنتاجاته ، لنعرف موقفه من هذا العالم الذي نعيش فيه ويحيط بنا من كل جانب . استعرض جينس في كتابه « الكون الغامض » نظرية الفيزياء الكمية والسببية للعالم ، وكانت غايته تقرير بعض المبادئ العلمية والفلسفية التي يستعين بها في بناء فلسفته . ونستطيع تلخيص هذه المبادئ بالنقاط الآتية : —

١ — اثبتت التجارب العلمية والصور الرياضية التي استعان بها العلماء ان كثيراً من الظواهر الطبيعية لا تتفق والتفسير الميكانيكي للكون وخاصة في حقل الفيزياء الذرية ، حيث اثبت مبدأ هايزنبرك في اللادقة او الاحتمية من عدم قدرتنا على تحديد المعلولات الصادرة عن علل معروفة . وبذلك يكون مبدأ السببية قد فقد مكانته التي تتمتع بها في الفيزياء القديمة . ويضع جينس ثقته في الثوابت الطبيعية ومنها ثابت بلانك الذي تبقى قيمته واحدة في جميع الكون ، وان الثوابت هي من دون شك حقائق رياضية غامضة لا يمكن تفسيرها .

٢ — رفض النظرية النسبية لفرضية الاثير والتأكيد على متصل الزمان — المكان باعتباره الاطار العام لتفسير الظواهر الطبيعية من جهة وان القوانين الطبيعية تعبر عن الحوادث في الزمان والمكان من جهة اخرى على اساس ان الحوادث تحدث في اطار متصل الزمان — المكان . واذا علمنا ان هذا المتصل لا يمكن التعبير

عنه الا بالرياضيات لانه حقيقة رياضية ، ادركنا في الوقت ذاته السبب الذي دعى جينس الى القول ان الزمان والمكان مجرد تراكيب عقلية .

٣- اثبتت النظرية النسبية ان لامكان للتفسير الميكانيكي بصدده الجاذبية ، وان الاجسام او الكواكب تسلك الممرات او المسالك التي تحددها الخواص القياسية لمتصل الزمان - المكان . ويرى جينس استناداً الى بعض النظريات التي ترى ان القوة الكهربية المغناطيسية ليست الا نوعاً من الانكماشات في المتصل وان اختلافها عن الجاذبية لا يتعدى ان يكون اختلافاً في الهندسة لكل منها . وهكذا يصل الى نتيجة هي أن الكون ليس الا متصل الزمان - المكان خالياً من كل مادة سوى الانكماشات الكبيرة والصغيرة والقوية والضعيفة وهكذا .

٤- ان ما نحصل عليه من معلومات عن الطبيعة الخارجية لا يمكن اعتباره الحقيقة ، وان ما تمدنا به الطبيعة لا يتعدى كونه مظاهر او ظواهر للحقيقة .

استناداً الى هذه المبادئ يحاول جينس ان يجد طريقة الى عالم روحي تسود فيه الحقائق الرياضية . ولكن جينس عندما يتكلم عن العالم المادي لا ينفيه من الوجود ولا يعتقد مثل ادنجتون ان قوانين الطبيعة موجودة قبلياً في العقل ، اذ لو صح ذلك لكان الفكر العلمي الآن هو نفسه قبل الفتي عام ، ولما حصل تقدم في المعرفة العلمية . وفي ذلك يقول جينس : ان العقل الانساني في نوعه واسلوب تفكيره لم يتغير الآن عما كان منذ قرن مضى ، ولذلك فان التغير الحديث الهام الذي طرأ على التفكير العلمي انما نتج عن تقدم سريع في المعارف العلمية ، ولم ينتج عن اي تبدل في العقل الانساني (١) .

(١) المصدر السابق ص ١٤٦

فاذا كانت الرياضيات البحتة ، وهي التي يحددها جينس بقوله : «المقصود بالرياضة البحتة تلك الاقسام الرياضية التي هي من ابتداع التفكير البحت ومن عمل العقل في دائرته الخاصة»<sup>(١)</sup> ، هي الصورة التي صمم الكون بموجبها ، فكيف نتوصل الى معرفتها وادراك ابعادها ؟ يعتقد جينس ان معرفتنا للرياضيات متأتية من بحثنا لكون خلقه عقل رياضي ، فالله او العقل هو الذي خلق الكون تبعاً لمعادلات وصيغ رياضية ، وبعبارة اخرى ان هذه القوانين او الصيغ هبطت من الاعلى ، ولكن المشكلة الفلسفية تبقى قائمة في حل ما يقصد اليه جينس ، ففي النص السابق يتحدث جينس عن الرياضة البحتة باعتبارها من ابتداع التفكير او العقل ، وهو في هذه الحالة لا يقصد العقل الانساني المفرد ، بل العقل الكوني او الله . اما اذا كان قصده العقل الانساني فكيف نوفق بين اعتقاده ان قوانين الرياضة من عمل العقل وابتداعه وبين اعتقاده « ان القوانين الرياضية ليست ذاتية او قبلية ؟

ترى ستينك ان جينس وقع في تناقض لعدم تمييزه بين الرياضيات البحتة والرياضيات التطبيقية ، وان من اختصاص عالم الرياضة البحت الاهتمام بالرموز وترتيبها في تراكيب بعيداً عن تفسير رموز الرياضيات فيزيائياً<sup>(٢)</sup> ، بينما ترتبط الرياضة التطبيقية بالعلوم الطبيعية ، وان اهتمامها يتركز على علاقاتها بالعالم الطبيعي . واني اعتقد ان مثل هذا القول يجافي الحقيقة ، لان جينس يميز بوضوح في كتابه «الكون الغامض» بين الرياضة البحتة والرياضة التطبيقية<sup>(٣)</sup> . ويعطي امثلة على الرياضة البحتة مثل قوانين الاحتمالية والقواعد الخاصة بالاعداد الوهمية مثل الجذر التربيعي لـ ناقص واحد  $\sqrt{1-1}$  . والسبب في تأكيده على الرياضة البحتة

(١) Stebbing, S., The Philosophy and the Physicists P. 28.

(٢) الكون الغامض ص ١٤٦

هو ان الرياضه التطبيقية ليست الا مبادئ وضعها الانسان ليلآثم بها اعمال الطبيعة ، في حين ان الرياضه البحتة مرتبطة بالفكر البحت وان الله طبع العالم بموجبهها ، فالعالم هو فكر بحت ، كما يرى جينس في العقل مجالاً تسبح فيه الذرات وتؤلف الكون باعتبارها افكاراً ، وهكذا يتحول الكون في نظره الى فكر تبعاً لما زودته معرفته العلمية واستنتاجاته الفلسفية ، ومن الخطأ الحكم على نتائج جينس من زاوية اخرى بعيداً عن ارتباط فلسفته بالنظريات العلمية .

ان الرياضه البحتة التي يفكر بها جينس موجودة في عقل الله ، وان محاولات الانسان في توسيع معرفته بتقديم العلوم هو الوصول الى اقتراب من معرفة هذه القوانين التي وضعها الله في الكون . اصف الى ذلك اعتقاده خلافاً لبعض الفلاسفة المثاليين ان العالم المادي قائم لا شك في وجوده ، ولكن هذا العالم لا يصور لنا الا غلاف الحقيقة ، هذه الحقيقة التي تتجلى في تصميم الكون بشكل رياضي وهندسي ، فليس المهم في الكون ماديته ، بل المهم هندسته التي تكشف عن خالق مهندس . وعلى هذا الاساس تصبح فلسفة جينس في نظراتها الى العالم الخارجي وعلاقة هذا العالم بالحقيقة الرياضية مؤمنة بالظواهر ساعية نحو الحقيقة . وهذه الفكرة اهمية في فلسفة جينس ، لانها تعطي لفلسفته صبغة فلسفية بعيدة عن بعض المذاهب التي لا ترى في العالم المادي وجوداً . فاذا ضرب شخص ما صخرة ، فانه سيشعر بألم اصاب قدمه ، وهذا يدعو الى الاعتقاد بوجود عالم خارج عن الذات . ولو قام عالم فيزيائي بهذا العمل ، فانه سيواجه الشعور نفسه ، وهو يعلم ان المادة التي ضربها تتألف من ذرات والكثرونات تتحرك بسرعة كبيرة . فهو يؤمن بالمادة وصلابتها من جهة ، ويؤمن ان هذه المادة عبارة عن الكثرونات وموجات من جهة ثانية . فليس الهدف الذي يسعى اليه جينس هو ان يرفض استقلال العالم المادي عن الذات ، بل انه يحاول ان يثبت من خلال دراساته

للتنظريات العلمية الحديثة بان العالم قد صمم من قبل عقل رياضي .

يميز جينس بين نوعين من الرياضة : الرياضة التطبيقية والرياضة البحتة ، ويرى ان الرياضة التطبيقية من عمل الانسان للأنمة افعال الطبيعة ، اما الرياضة البحتة فانها بعيدة عن كل عنصر طبيعي ، اي انها هابطة من عالم غير العالم المادي . والمشكلة التي تعترض سبيلنا في تحليل فلسفة جينس ورسم صورة واضحة لها هي كيف يمكن ان تكون الرياضة البحتة اساساً للعالم الطبيعي ؟ فمن المعروف في الدراسات المنطقية المعاصرة ان قضايا الرياضيات البحتة لا تمت بصلة لعالم الخبرة والواقع ، وان صدقها يعتمد على البرهان والاستدلال ، في حين تختلف قضايا الرياضة التطبيقية او الفيزيائية في اعتماد صدقها والتثبت منها على التجربة والخبرة والملاحظة وشتان بين هذين النوعين من القضايا . فاذا كانت قضايا الرياضة البحتة بهذه الخاصة فكيف يمكننا فهم العالم من خلال نظام لا علاقة له بالعالم ؟ وكيف استطاع الله بناء العالم تبعاً لقوانين لا علاقة لها بالعالم . ولكي نخرج من هذا المأزق اجد نفسي مضطراً الى التسليم بأن الرياضة البحتة عند جينس مفهوم يشوبه الغموض وهو مفهوم يستطيع المرء فهمه بمحدود ضيقة واخرى واسعة . فمن الممكن ان يكون مفهوم جينس في الرياضة البحتة مختلفاً عن المفهوم المعروف ، ومن الممكن ان يكون هذا المفهوم مثالياً تقصر عن مجاراته انظمة الرياضة البحتة التي نعرفها . وعلى كل حال فان استنتاج جينس هذا متأت عن تطور العلوم الفيزيائية في رسم صور للكون ذات اساس رياضي دون اكتراث للتجربة الا في حالة التثبت منها . فالهندسة الكونية غير الاقليدية التي اعتمدها آينشتاين في دراساته ما هي إلا نظام صوري او رياضي ، ومعادلات متصل الزمان - المكان والمعادلات الموجية لهايزنبرك والثوابت الطبيعية كلها حقائق وصيغ رياضية . وهذا التطور اوحى الى جينس ان الكون في صورته الرياضية لا بد ان يكون مصمماً تبعاً لقوانين الرياضة البحتة ، وهي قوانين رمزية

او صورية . وهذا يدل على ان فهم جينس للرياضة البحتة فهم مثالي يسمو على جميع ما نعرفه من دراسات في هذا الحقل .

واذا اعتقد جينس ان الرياضة البحتة موجودة في عقل الله ، فانه لم يبين كيف ان هذا العقل تنزل قطع هذه القوانين عندما خلق العالم ، ولكن من المحتمل كما ترى سوزان ستيببنك<sup>(١)</sup> يانه لم ير اهمية هذا السؤال لانه لم يميز بين الافكار والتفكير . واعتقد ان سبب هذا الارتباك يعود الى اعتقاده بان ما تصفه الرياضة للظواهر الطبيعية يعطينا معرفة تامة للظاهرة ، واعتقاده بان الظواهر الطبيعية عبارة عن مظاهر لحقيقة غير معروفة بعد .

ويقرب في موقفه الفلسفي من موقف بيركلي الى حد كبير مع بعض الاختلافات . فالعالم هو فكر الله او افكاره وجميع الظواهر النورية والكونية تسبح في هذا الفكر ، فالمادة موجودة ولكنها تتعاش على الروح العامة . ولكنه يختلف عن بيركلي في اعتقاده ان وجود المادة يشترك في معرفته جميع الناس ، لان العقل الكوني يضم العقول الجزئية ، بحيث تصبح متحدة ، في حين يعتقد بيركلي ان وجود المادة يعتمد على الشخص المدرك لها او المتصل بها مباشرة . وبعبارة اخرى : ان معرفة وجود المادة حقيقة تشترك فيها جميع العقول البشرية في فلسفة جينس ، كما ان هذه العقول تميل الى التفكير بطريقة رياضية متشابهة ، بينما هي فردية تعتمد على عقل الفرد المدرك في فلسفة بيركلي .

ان السؤال الذي يفرض نفسه اخيراً هو : اذا كان العالم هو فكر الله وكان الله هو رياضي بحت طبع الكون تبعاً لقوانين رياضية ، فهل يستطيع علم الفيزياء بمساعدة الرياضيات معرفة حقيقة العالم ؟  
ان هدف العلم في رأي جينس هو اكتشاف القوانين الطبيعية ، ولكن

---

(1) Stebbing, S., The Philosophy and the Physicists. P. 29.

اكتشافاتنا لهذه القوانين لا يعني مطلقاً معرفتنا للحقيقة ، لان كل ما يمكن معرفته بواسطة العلم يقتصر على وصف الظواهر الطبيعية بمعادلات رياضية ، حتى لبيدو ان الرياضة هي خير الوسائل لوصف الظواهر وسلوكها ، ولكنها مهما بلغت لا تستطيع ان تطلعنا على الحقيقة المخفية وراء عالم الظواهر .

وعلى الرغم من وجود صورة كاملة لعمليات الطبيعة التي تظهر واضحة لعقولنا ، الا اننا لا نزال نرسم صوراً تبيّن ظواهر جزئية للحقيقة . فالفيزياء الحديثة تضع امامنا صورتين جزئيتين : إحداهما تقوم على اساس الدقائق Particles ، والاخرى على اساس الموجات ، ولكن لا واحدة منها يمكن ان تعطي صورة للحقيقة الكلية<sup>(1)</sup> . وعندما تناقش هاتين النظريتين يظهر ان جميع مجهوداتنا في اكتشاف هذه الحقيقة تذهب هباءً . فالصورة التي رسمتها نظرية الكم القديمة تختلف عن الصورة التي قدمتها نظرية الكم الحديثة . فالاولى ترى في حركة الدقائق تعبيراً عن الارادة الحرة ، فالالكترونات وحتى الذرات تتحرك حركات عشوائية ، بحيث يصعب علينا تطبيق قانون السببية والتنبؤ بالمستقبل ، بينما تبيّن النظرية الثانية امكانية تطبيق قانون السببية ، فاين الحقيقة ؟

ان الحقيقة مستعصية الوصول ، ولكننا نستطيع ان نقرب منها بفضل الدراسات الفلسفية والعلمية . فمبدأ ليننر في التعليل الاحتمالي Probable reasoning مثلاً يخدمنا في ذلك . فاذا فرضنا ان عالماً ما قدم فرضية ما ، فان هذه الفرضية ستبقى كذلك الى أن تصيها يد التجريب . فاذا أظهرت التجارب سلبيتها وجب علينا تركها ، اما اذا أثبت التجارب صحتها ، فانا لا يمكن ان نصدر حكماً بأنها حقيقة . والسبب في ذلك هو أن نتظر اثبات صحتها بتجارب اخرى مستقبلة ، لانه من المحتمل ان تظهر انها فاشلة في

---

(1) Ed., Commins, S., & Linscott, R.N., The Philosophers of Science P. 365.

تجارب أخرى ، وذلك لان العلم لا يعرف من الحقيقة الا ظواهرها . وبمعنى آخر اننا اذا اردنا ان نصدر حكماً يقينياً على شيء ما فيجب ان يكون هذا الشيء هو الحقيقة النهائية ، أما ما عدا ذلك فهو حكم احتمالي ، ويصدق الشيء ذاته حينما وجد العلماء بعض الآثار على كوكب المريخ تظهر انها اعمال كائن انساني ، ولكن العلماء لا يصدرن حكماً نهائياً على ذلك ، بل ربما يقولون بأن معظم الاحتمالات تدل على وجود انسان في المريخ .

والمبدأ الآخر الذي يعلق عليه جينس اهمية هو فرضية البساطة The Simplicity Postulate . فلو فرضنا وجود ثلاث فرضيات هي ا ، ب ، ج تصف كل واحدة منها حقيقة معينة ، وتشارك جميعها في وحدة الهدف ، فاننا بطبيعة الحال سوف نسلم بالفرضية الاكثر بساطة ، كما لو اعطيت مسألة رياضية ، فانك ستختار ابسط الحلول الممكنة التي تؤدي الى الهدف ، بينما تترك الحلول الاخرى التي تبدو اكثر تعقيداً .

وفي الحقيقة اننا كثيراً ما نلجأ في البحوث العلمية الى تطبيق هذا المبدأ ، فالنظريات التي تستطيع ان تفسر لنا اكثر المظاهر الطبيعية هي ابسط من النظريات الاخرى . والتاريخ يزودنا بأمثلة كثيرة ، فاذا فشلت نظرية في تحليل بعض الظواهر الكونية قامت على انقاضها نظرية اخرى بنظام بسيط لتفسير ما عجزت عنه النظرية السابقة .



## الفصل الخامس

### الذاتية الانتخائية

#### ارثر ادنجتون

تركزت جهود العلماء منذ ان تبين لهم ضرورة ربط مشاهداتهم وتجاربهم بالرموز والمعادلات الرياضية ، على بناء العالم الطبيعي علمياً ورياضياً ، بحيث اصبح هدف العلم هو فهم العالم الخارجي وظواهره من خلال عالم الرياضيات بكل ما فيه من دقة واستنتاجات عن حوادث تقع في المستقبل . ونفسيرات لظواهر طبيعية . وفي سبيل تحقيق هذا الهدف لا بد من تتبع خطوات اساسية : -

ا - دراسة ظواهر وحوادث العالم الطبيعي الذي يظهر لنا اما عن طريق الحواس او عن طريق الاجهزة العلمية .

ب - بناء الصيغ والمعادلات الرمزية للتعبير عن الظواهر والحوادث بدقة . وهذا معناه ايجاد العلاقة بين العالم الخارجي وعالم النظريات

ج - التثبت من النظريات او الفرضيات القائمة في عالم الرياضيات

بالتجربة والملاحظة . وهذا معناه العودة ثانية من عالم النظريات الى عالم الوقائع .

ان من اصعب الخطوات التي يواجهها العالم الانتقال من وقائع العالم الخارجي الى عالم الرموز والنظريات ، لانه عالم يعتمد في بنائه على الوقائع من جهة وقدرة العالم وتحيله من جهة اخرى . واذا صادف وجود نظرية لا يمكن التحقق منها بالتجربة واساليب البحث العلمي ، فانها لن تكون مقبولة علمياً . وخير ما يمكن للعالم ان يقوم به هو اختيار النظرية بقدرتها على التنبؤ بحدوث في المستقبل وتفسير تلك الظواهر التي عجزت النظريات السابقة عن ايجاد تحليل لها . ويتميز عالم النظريات بأنه غير محدود بوقائع معينة ، لانه يشمل وقائع ممكنة الحدوث كذلك . فالى جانب ما يهدف اليه العلم في بناء الرموز يقوم بتوسيع مجال معرفتنا وخبراتنا . فاذا كانت النظرية تنسق وترتب معرفتنا ، فانها من جهة اخرى تمدنا بمعلومات جديدة تزيد من معرفتنا السابقة . ولهذا اصبح عالم النظريات هو عالم السحر في العلوم تتجلى فيه قوة النظر في الحوادث وتفسير الظواهر وتوقع حدوثها في المستقبل .

يرى ارثر ادنجتون ان هدف العالم هو بناء عالم رمزي لعالم الخبرة الحسية وهو بذلك قد ربط عالم العلم بالعالم المؤلف من دون ان يؤكد على العالم الرمزي فقط ، لان مهمة العالم الفيزيائي هي ايجاد العلاقة بين العالمين باستخدام لغة الرياضيات من جهة والوقائع التجريبية من جهة اخرى .

بناءً على ذلك تكون المعرفة الفيزيائية محدودة بحدود ما تقدمه لنا النظريات من تعليقات وشروح للعالم المؤلف . واذا كانت نظريات المعرفة التجريبية القديمة متأثرة بالفيزياء الكلاسيكية وعلاقة الانسان بالعالم الخارجي والطريقة التي يحصل بها على المعرفة بواسطة الحواس ، فان العلم الفيزيائي في القرن العشرين قد وسّع من دائرة المعرفة الحسية وقدم لنا معلومات جديدة تختلف عن تلك المعلومات الحسية المؤلف . فالمنضدة التي اكتب عليها لها صفات

وخصائص معينة من لون وشكل ومادة وغير ذلك ، ولكن المنضدة ذاتها من وجهة النظر العلمية تتألف من ذرات والكروونات وموجات وغير ذلك ، وإذا جاز لنا مقارنة لغة الحواس بلغة العلم ، فانا لا بد ان نقر ان لغة العلم تقدم معلومات جديدة لا تستطيع الحواس المجردة ادراكها ، وبالتالي فان لغة العلم اصدق في التعبير عن حقيقة العالم الخارجي من لغة الحواس .

واستناداً الى ما حققته العلوم في مجال المعرفة الانسانية ، فانه من الضروري التمييز بين مستويين من المعرفة : -

ا - المعرفة المحدودة بحدود الحواس البشرية ، وهي المعرفة التي نحصل عليها عن طريق فهمنا للعالم الخارجي بالحواس فقط .

ب - المعرفة العلمية التي تزودنا بها النظريات العلمية وطريقة شرحها وتعليلها لحوادث العالم الخارجي .

يحلل ادنجتون المعرفة العلمية ويجعلها مدار بحثه ، لانه يرى في نظرية المعرفة العلمية فائدة كبيرة في تطوير البحث العلمي ، وطريقة في التوضيح للأفكار والمبادئ المستعملة في الفيزياء ، وهو في بحثه وتأملاته ينطلق من قاعدة علمية باعتباره عالماً في الفلك والفيزياء وأحد فلاسفة النظرية النسبية البارزين . كتب مؤلفات عديدة في الفيزياء والفلسفة متناولاً النظرية النسبية ونظرية الكم كأساس لبناء نظرياته الفلسفية . ومن ابرز مؤلفاته كتابه « طبيعة العالم الطبيعي »<sup>(1)</sup> الذي تناول فيه فلسفته البنائية للعالم ، وكتابته الآخر « فلسفة علم الفيزياء »<sup>(2)</sup> الذي ناقش فيه نظريته العلمية في المعرفة . وله الى جانب ذلك مؤلفات اخرى عديدة نذكر منها « المكان ، الزمان والجاذبية »<sup>(3)</sup> ،

---

(1) Eddington, A., The Nature of the Physical World. 1928

(2) Eddington, A., The Philosophy of Physical Science

(3) Eddington, A., Space, Time and Gravitation 1920

« النظرية الرياضية للنسبية »<sup>(١)</sup> . و « مسالك جديدة في العلم »<sup>(٢)</sup> .

استعان ادنجتون بطريقتين لبناء فلسفته العلمية : احدهما علمية والاخرى فلسفية ، وهما : —

( ١ ) الطريقة التحليلية

( ٢ ) الطريقة التركيبية

فأقام على الطريقة التحليلية فلسفته في الاپستمولوجيا العلمية او ما يسمى عادة بنظرية المعرفة العلمية Scientific Epistemology ، واستعان بالطريقة التركيبية لبناء فلسفته الطبيعية . ان لطريقة ادنجتون التحليلية اوجه شبه بالطريقة التحليلية المستخدمة في المنطق ، اذ يقوم جوهر الطريقة على معرفة المبادئ والافكار التي نستند عليها او نشق منها الرياضيات ( طريقة التحليل المنطقي لفريجه ورسل ) ، او معرفة الافكار والمبادئ التي تقوم عليها الاپستمولوجيا العلمية ( ادنجتون ) . واذا كان لعالم الرياضيات ضرورة الاستعانة بالتحليل المنطقي ، فان على علماء الفيزياء كما يرى ادنجتون واجب العلم بالاپستمولوجيا . اما الهدف الرئيس من تأكيد ادنجتون على الاپستمولوجيا فهو ان يزيل الفرضيات التي تعيق تطور علم الفيزياء في بناء عالم النظريات من جهة ، وتوسع مجال المعرفة الفيزيائية من جهة اخرى .

قدمت النظرية النسبية ونظرية الكم صورة جديدة للكون على ضوء التطورات التي رافقتهما منذ نشأتها حتى مرحلة النضج . فكانت صورة تخالف ما ألفه الفلاسفة من التفكير في الكون على اساس ميكانيكي . فاذا نظر فلاسفة القرن التاسع عشر الى الكون على اساس مادي ، فذلك لان النظريات المعروفة والسائدة آنذاك كانت تقدم صورة مادية للعالم . واذا نظر فلاسفة

(1) Eddington, A., The Mathematical Theory of Relativity 1924.

(2) Eddington, A., New Pathways in Science 1933

العلم الحديث في القرن العشرين الى الكون بأنه مجموعة حوادث « events » ،  
فذلك لان النظرية النسبية تقدم مثل هذا المفهوم . واذا انكر فلاسفة التجريبية  
اهمية الاپستمولوجيا في الفيزياء وضرورتها ، فذلك لان الفيزياء الكلاسيكية  
كانت تتخذ العالم المادي الخارجي مادة مباشرة للبحث والدراسة . واذا دافع  
فيلسوف النظرية النسبية عن امكانية التوافق بين العلم والاپستمولوجيا ، فذلك  
لان الفيزياء الحديثة تتضمن مبادئ اپستمولوجية ، وانها تبحث عن المعرفة  
وليس عن العالم الخارجي فقط . فالمعادلات الرياضية وقوانين الطبيعة مثلاً  
ادلة واضحة تبين حقائق رمزية في عناصر المعرفة .

تمثل نظرية المعرفة في الدراسات الفلسفية حقلاً هاماً ، له في الوقت ذاته  
علاقات اساسية مع حقول الفلسفة الاخرى والحقول العلمية ، فالميتافيزيقا  
والمنطق مثلاً يؤثران في بناء نظرية المعرفة ، فتكون ميتافيزيقية او تحليلية  
منطقية ، كما تؤثر العلوم الاخرى مثل الرياضيات والفيزياء في تكوين أسسها ،  
فتكون عقلية او تجريبية او تجمع العقلية والتجريبية معاً . وقد تناولت نظرية  
المعرفة البحث في طبيعة المعرفة ومصادرها ، واختلفت في الاجابات تبعاً  
للاطار الفلسفي الموجودة فيه والفرع او العلم المتأثرة به . فاذا ظهرت المذاهب  
العقلية<sup>(١)</sup> في بداية العصر الحديث ، فذلك لان الطريقة التي استخدمتها كانت  
هي المعول عليها في البحث من جهة ، ولأن الفلاسفة الذين اتخذوها قاعدة  
لفلسفاتهم من المشتغلين بالرياضيات من جهة أخرى . فاستخدم ديكارت وليبنز  
الطريقة الرياضية لتقرير طبيعة المعرفة ، والتأكيد على المعرفة اليقينية وصلتها  
بالرياضيات . واذا ظهرت المذاهب التجريبية بجانب الفيزياء الكلاسيكية ،

---

(١) نقصد بالمذاهب العقلية المدارس الفلسفية التي ترى في العقل مصدراً للمعرفة ، ومن  
المعرفة العقلية نموذجاً للمعرفة اليقينية التي لا تصل اليها في الدقة معرفة اخرى . كما انها تعتقد  
بوجود ملكات عقلية نستطيع بواسطتها ان نصل الى معرفة لا غبار عليها ، وهذه المعرفة قبلية  
apriori لا تخضع للمعايير التجريبية ، كما انها غير مشتقة من التجربة .

فذلك لان الفيزياء تستخدم الطريقة التجريبية في استقراء القوانين الطبيعية والتثبت منها .

كل ذلك يفسر لنا لحد ما اهتمام ادنجتون بنظرية المعرفة وصلتها بالفيزياء الحديثة ، واتخاذها لمذهب الذاتية الانتخابية لاعتقاده ان نظرية المعرفة العلمية تجمع بين قدرات العقل والتخيل وبين الملاحظة والتجربة ، والنظرية النسبية ونظرية الكم تعتمد على الاستمولوجيا او ان فيها عناصر اistemولوجية ، لا بد للعالم والفيلسوف من اكتشافها وتوسيع تطبيقاتها . وهنا يكمن جوهر الاختلاف بين نظرية المعرفة الجديدة ونظرية المعرفة التجريبية ، فبالنسبة لنيوتن وفلاسفة التجربة تكون الفكرة مجرد تجريد للعناصر المتشابهة بين الاشياء ، وان التجربة الحسية هي مصدر المعرفة ، بينما يرفض علماء الفيزياء الحديثة امثال آينشتاين مثل هذا التفسير الذي يرى في الاساس التجريبي مصدراً وحيداً للأفكار ، ويؤكدون دور الفكر في تشكيل الافكار والمفاهيم ، وذلك لان الافكار هي من خلق الفكر ، ولا يمكن ان تشتق من الخبرات الحسية بطريقة الاستقراء<sup>(1)</sup> .

ان اختيار ادنجتون لاسم « الاistemولوجيا العلمية » ناشيء من دراساته لنظرية المعرفة في الفيزياء الحديثة واعتمادها على الطرق العلمية المستخدمة في الفيزياء ، وغايته ان يميز بينها وبين نظريات المعرفة الاخرى سواء كانت ميتافيزيقية او تجريبية .

ان الطريقة في البحث العلمي باعتبارها الدليل لمعرفة قوانين الطبيعة تعمل على تشكيل المعرفة من حيث المفاهيم والمبادئ ، والطريقة التي استخدمتها النسبية والكمية امدتنا بمعارف جديدة عن الكون والظواهر الطبيعية . ونقصد بالطريقة هنا استخدام الوقائع في صياغة الفرضيات والقوانين والتثبت منها عن طريق ما تقدم لنا من معلومات عن حوادث في المستقبل . وهذا معناه ان

---

(1) Schilpp, P.A., Albert Einstein P. 246.

المعرفة الفيزيائية الحديثة مرتبطة بالطريقة العلمية ، وان تعريفنا للكون يقوم على الطريقة التي تصفها الفيزياء للعالم ، وكل ما عدا ذلك ، فان ادنجتون يطرحه خارج دائرة فلسفته . فليس من الحكمة ان نرجع لمفاهيم القرن التاسع عشر الفيزيائية لكي نجد تعريفاً للكون او لنبيى اإيستمولوجيا جديدة ، لأن نظرية النسبية والكم تزودنا بمعرفة عن الكون وتشرحه تختلف عن المعرفة الفيزيائية السابقة .

ان لنظرية المعرفة على هذا الاساس صلة بالتطورات العلمية وما تقدمه من معلومات عن الكون واحداثه ، وان طبيعة هذه الصلة تحدد بالتالي الفائدة العلمية لها في مجال البحث العلمي ، لذلك لا بد من فهم نظرية ادنجتون من ناحيتين : —

١ — الطريقة السلبية : وهي التي تختص بالبحث عن الفرضيات غير القابلة للملاحظة لغرض التثبت من صحتها او خطأها . ولهذه الطريقة اهميتها ، خاصة انها تكشف لنا عن كثير من الفرضيات التي كانت الفيزياء ولا زالت تنخبط فيها . واذا تم لعالم الفيزياء هذا العمل ، فانه سيكون على ابواب معرفة فيزيائية واضحة لا يشوبها الغموض والابهام .

٢ — الطريقة الايجابية : وهي الخطوة الضرورية الثانية بعد استكمال الطريقة الاولى لشروطها العلمية ، لانها تعمل على توسيع المعرفة في الفيزياء واقامة نظريات علمية ذات مجال واسع ، فهي بذلك تشبه الى حد كبير الطريقة التركيبية في المنطق .

ولكي تكون الطريقة التحليلية الاولى والطريقة التركيبية الثانية واضحة ، فمن الضروري ان نقسم البحث الى جزئين ، يبتدأ بالجزء الاول وينتهي بالطريقة الثانية مع امثلة توضيحية مناسبة .

لنأخذ اولاً اكبر فرضية وجدت في القرن التاسع عشر وما قبله وهي

فرضية الاثير لنكشف مدى صمودها امام معاول الايستمولوجيا العلمية . لقد حاول فلاسفة القرن الماضي وعلماء الفيزياء تفسير الظواهر الموجية والكهرومغناطيسية بافتراض وجود مادة اثيرية تتخلل جميع ثانيا الكون وتدخل في الذرة كذلك . وحاول ميكلسن ومورلي ان يثبتا صحة هذه الفرضية ، ولكنهما وجدا ان التجربة تزودنا بنتيجة تشير الى عدم وجود مثل هذه المادة ( على فرض انها ثابتة ) . اما اذا افترضنا حركة الاثير في بعض المناطق بالنسبة الى الارض ، فان الفرضية تسلم لحد ما من الفشل ، وفي هذه الحالة لا بد لنا من تطبيق اسلوب التحليل الايستمولوجي بصورة قاطعة عن احتمال وجود مثل هذه المادة او عدمها . فاذا افترضنا ان الوسط الاثري مادة ، فمن الضروري ان تنطبق عليه الشروط التي تتوفر في الشيء لنطلق عليه اسم المادة مثل الكثافة والوزن والصلابة .... الخ . ولكن الاثير غير مستوف لشروط المادة ، لذلك فلا يمكن عدّه عنصراً من العناصر المادية . والى جانب ذلك يظهر من تجربة ميكلسن ومورلي ان الاثير يختلف عن الضوء ، وهذا يدل كذلك على انه ليس ذا طبيعة موجية . وهكذا نستمر بالتحليل لمعرفة طبيعة هذه الظاهرة غير المرئية والتي لا تعدو ان تكون فرضية ، ولكنها فرضية لا تستند على ملاحظة او تجربة ولا يمكن الاعتماد عليها في الفيزياء .

ان نظرية الكون الميكانيكي تبعاً للتحليل الذي يراه ادنجتون ذات ايستمولوجيا غير علمية ، وان مهمة نظرية المعرفة العلمية استبعاد الفرضيات والتفسيرات الميتافيزيقية . ولكن لنفرض الآن ان نظرية فيزيائية شرحت ظواهر طبيعية ونظرية فيزيائية اخرى شرحت الظواهر نفسها ، واختلفت الشروح بين النظريتين ، فما هو دور نظرية المعرفة العلمية في تقرير الافضل من النظريتين ؟

يرى ادنجتون ان لكل نظرية افكاراً ومبادئ ايستمولوجية ، وان الاختلاف بين نظرية واخرى مرجعه الاختلاف في هذه الافكار والمبادئ ،

فالاپستمولوجيا التي اعتمد عليها آينشتاين في نظرية الجاذبية تختلف عن اپستمولوجيا نيوتن في الحقل ذاته ، فاعتمد آينشتاين على حقائق مقاسية ، بينما اعتمد نيوتن على بعض فرضيات وتفسيرات فلسفية . وبالتالي فان الجاذبية لآينشتاين من وجهة نظر الاپستمولوجيا العلمية افضل من الجاذبية لنيوتن .

اما الطريقة الثانية او الايجابية فانها تؤلف القسم الثاني من نظرية ادنجتون في الاپستمولوجيا . فاذا كانت مهمة الطريقة الاولى ازالة الفرضيات غير القابلة للملاحظة والتي توجه المعرفة الفيزيائية نحو الطريق الخاطئ ، فان الطريقة الايجابية تمهد الطريق للمعرفة الفيزيائية لتكون ذات افق اوسع . وعلى هذا الاساس تصبح الفرضية او البدئية الاولى في فلسفة ادنجتون هي : ان المعرفة المستحصلة بالطرق العلمية في الفيزياء محدودة بحدود المعرفة العلمية او الحقائق الملاحظة . ولكن رب معترض يقول ان ادنجتون في بدبيته قد استثنى المعرفة النظرية واقتصر على الملاحظة فقط . في الحقيقة ان ادنجتون لم يستثن من بدبيته المعرفة النظرية ، فهو كغيره من العلماء يعتقد ان علم الفيزياء يتضمن جانبين مهمين : الجانب النظري والجانب التطبيقي او العملي بحيث لا يمكن ان نستغني عن احدهما ، لان جميع التطورات التي رافقت تقدم العلم كانت ولا زالت تجمع بين هذين الضربين من المعرفة المتكاملة .

وبصورة عامة ان كل جزء من المعرفة الفيزيائية يتضمن قواعد عملية ونظرية . وبهذا فان البدئية ان جميع المعرفة الفيزيائية ذات طبيعة ملاحظة لا تكون مفهومة اذا استثنينا المعرفة النظرية<sup>(1)</sup> . فاذا شاهدت في الليل ان كوكب المريخ مثلاً في موقع معين من القبة السماوية ، فتلك معرفة بالملاحظة ، اما اذا حلت حركته وموضعه بالنسبة للنظرية الفلكية الحديثة في الكواكب

(1) Eddington, A., The Philosophy of Physical Science P. 10-11

السيارة فتلك معرفة نظرية . ويظهر ان الرباط بين المعرفة بالملاحظة والمعرفة النظرية ضروري لكل حقيقة او ظاهرة كونية . فالملاحظة وحدها لا تطلعنا الا على حقائق جزئية ، بينما هدف العلم اسمى من ملاحظة هذه الحقائق المبعثرة ، لانه يستهدف ربط الحقائق الجزئية في اطار موحد نوعوه « قانوناً Law » . وفي الحقيقة ان الحقائق التي نتوصل لها بالملاحظة ضرورية جداً من الناحيتين العملية والنظرية ، ويرى اذنجتون في هذه الحقيقة تحقيقاً للمذهب في الذاتية الانتخابية . فيُسَبَّه حقائق الفيزياء بالسلك الذي اصطاده شخص ، اما الشبكة التي تم بواسطتها اصطياد السمك فتمثل المعدات الحسية والعقلية التي يستخدمها عالم الفيزياء في الحصول على المعرفة . وكما ان رمي الشبكة ضروري في الماء ، فكذلك الملاحظة ضرورية لالتقاط الحقائق التي يستخدمها علم الفيزياء .

ولكن لَرَّ الآن كيف يحسب العالم بالاسماك صيده وما نوع التعميم الذي سيتوصل اليه . لنفرض انه توصل الى ما يأتي : -

- ١ - لا يوجد مخلوق بحري طوله اقل من انجيين .
- ٢ - جميع المخلوقات البحرية ذات خياشيم<sup>(١)</sup> .

وبعد ان توصل الى هذين التعميمات جاءه شخص يفحص ما توصل اليه صاحبه . فأخبره ان هناك عدداً كبيراً من مخلوقات السمك طولها اقل من انجيين . اما السبب الذي منعه من الحصول على هذه المخلوقات التي هي اقل من انجيين ، فذلك لان الشبكة التي استعملها ذات عيون كبيرة ، بحيث تفلت منها جميع المخلوقات التي تقل عن انجيين . فاذا كانت الشبكة مكيفة ، بحيث تكون العيون فيها اصغر من الحجم الاول ، فان بعض السمك الذي يصغر طوله عن الانجيين سوف لا يخرج من الشبكة ، وبذلك يزداد الصيد .

فاذا كان الشخص الاول غير قلق على ما حصله بواسطة شبكته ، فانه

(1) Ibid., P. 16.

ربما يجب بأن كل ما لم تقدر عليه الشبكة خارج عن دائرة معلوماته ، وأنه ليس بجزء من مملكة السمك . ان هذا المثل الطريف الذي يسوقه ادنجتون يريد منه ان يبين الاختلاف بين عالم الأستمولوجيا العلمية وفيلسوف المعرفة الميتافيزيقية . فالشخص الاول لا يريد ان يتعد عما تزوده به معداته من المعرفة ، فلا يهمه ان كانت هناك معرفة او معلومات اخرى لكنها غير قابلة للقبض في الشبكة ذات العيون الكبيرة . وبعبارة اخرى : ان عالم نظرية المعرفة العلمية والميتافيزيقية يختلفان في الرأي والطريقة ، حيث يسلم الاول بالحقائق القابلة للملاحظة والتي تتمكن معداته الحسية والعقلية من الحصول عليها ، ويترك كل ما من شأنه أنه غير قابل للملاحظة تحت الظروف الاولى ، لانه ليس من اختصاصه ، بل من المستحيل البحث في هذه الافتراضات ، بينما يحاول الفيلسوف الميتافيزيقي معرفة ما وراء هذه الحقائق مفترضاً وجود حقائق اخرى لا تستطيع المعدات العلمية الحصول عليها او الامساك بها . فالتعميم الذي فعله الشخص الاول هو في الحقيقة تعميم علمي ، اما الاعتراض عليه فهو اعتراض ميتافيزيقي . واذا اراد الاخير ان يضع تعميماً جديداً بأن يقول بوجود مخلوقات طولها اقل من انجيين ، فان هذا التعميم ميتافيزيقي بلا شك .

واخيراً نتوصل الى اكثر المبادئ اهمية في فلسفة ادنجتون الأستمولوجية وهي :

- ١ - ان المعرفة الفيزيائية تستحصل بالملاحظة ، اما الاشياء التي لا تخضع للملاحظة ، فليس لها مجال في المعرفة العلمية .
- ٢ - ان التعميم شرط اساسي لوضع القوانين الطبيعية شريطة ان يخضع التعميم للذاتية الانتخابية .
- ٣ - ان الذين يقولون بأن الكون لا يخضع كلياً للملاحظة ، انما يشقون لانفسهم طريقاً نحو الميتافيزيقا ، لان اساس العلم التجربة والملاحظة .
- ٤ - ان على عالم الأستمولوجيا ان لا يتدخل لمعرفة الاشياء التي لا تقع

تحت المعدات الحسية ، بل ان عليه ان يساعد الملاحظ من جهة ويفحص المعدات الحسية والعقلية من جهة اخرى لكي يوسع من مجال البحث والمعرفة الفيزيائية .

بعد ان ناقشنا طريقي ادنجتون في المعرفة الفيزيائية يجدر بنا ان نبين بعض التطبيقات الفلسفية لها وما هو دور العالم الاستمولوجي في الفيزياء المعاصرة ، خاصة وان تحليلاته الفلسفية تهدف جميعها الى معرفة المبادئ الاستمولوجية المتضمنة في الفيزياء الحديثة .

يعتقد ادنجتون ان اهم ما يميز الفيزياء المعاصرة عن الفيزياء الكلاسيكية هو ان الاولى تحمل بين جنباتها مبادئ استمولوجية . فاذا كان جل اهتمام العالم الفيزيائي الكلاسيكي منصبا على معرفة العالم الخارجي فقط ، فان الاستمولوجيا الفيزيائية اخذت طريقها في البحث عن المعرفة بالذات ، وبهذا يتحقق مبدأ الاستمولوجيا في رفض كل فرضية غير قابلة للملاحظة . ولكن رب معترض يقول ان الالكترونات والبروتونات والفوتونات اجزاء ذرية وطاقية لم يلاحظها احد ، فهل يجوز لنا ان نطرح هذه الاشياء خارج معرفتنا الفيزيائية ؟

يعتقد ادنجتون ان الالكترونات والبروتونات لها وجود حقيقي كما للمتضدة وجودها الحقيقي . اما اذا تكلمنا عن اشياء غير قابلة للملاحظة ولا تخضع لها فانما نعني الفرضيات التي لا يمكن ان تكون مادة تجرى عليها التجارب مثال ذلك الاثير . وبعبارة ثانية اتنا نستثني الاشياء التي ليس لنا بها معرفة سواء كانت مباشرة او غير مباشرة والتي لا تظهر في تحليل معرفتنا . فالفيزياء الكمية مثلاً تختلف عن الفيزياء الكلاسيكية ، وذلك ان الفيزياء الميكروسكوبية Microscopic Physics بالنسبة للفيزياء الكلاسيكية ليست الا اكتشافاً لمعادلات تربط مواضع وحركات الجزء Particle في لحظة واحدة مع مواضع وحركات في لحظة تالية . اما في الفيزياء الكمية فان الامر يبدو مختلفاً

تماماً لأنها لا تأخذ بنظر الاعتبار مواضع الأشياء وحركاتها في لحظة واحدة ، بل أنها تحاول ان تكشف عن المعادلات التي تربط معرفة المواضع والحركات بمعرفة مواضع وحركات اجزاء اخرى . ونتيجة لهذا المنطق يكشف ادنجتون عن حقيقة مهمة هي ان الرياضيات الفيزيائية عبارة عن رموز ومعادلات تبين معرفتنا الفيزيائية .

تكشف نظرية الكم عن حقيقة إستمولوجية هامة هي ان معرفتنا للالكتران تعتمد على معرفتنا للموجة التي ترتبط به اثناء حركته ، وان معادلات الميكانيكا الموجية تقوم على اساس معرفة هذه الموجة ، فاذا انعدمت لم يعد لقوانين الميكانيكا الموجية شرعية . ويعتقد ادنجتون بأن النظرية النسبية قد جلبت معها نوعاً جديداً من الاستمولوجيا ، فلم يقتصر عمل آينشتاين على كشفها ، بل انه اوجد لها تطبيقاً في نظرية الجاذبية ، لان الافكار الاساسية تلعب دوراً مهماً في بناء النظرية الفيزيائية ، فكتب الفيزياء مملوءة بالصيغ الرياضية المعقدة ولكن الفكر والافكار - وليس الصيغ - هي بداية كل نظرية فيزيائية<sup>(1)</sup> . ونحن في كثير من الاحيان نعلم على البصيرة التي بواسطتها نكشف الافكار الضرورية قبل وصولها الى مرحلة الصياغة الرياضية . وتظهر اهمية هذا المبدأ في الفيزياء النظرية ، لان انتخاب الافكار الاساسية يعتمد على الشخص او الباحث ، وبتعبير ادق : ان الانتخاب شيء ذاتي . فلقد سبقت النظرية النسبية محاولات كثيرة لتوحيد قوانين الطبيعة ويين هنري بوانكاريه سنة ١٩٠٤ ضرورة جعل القوانين الطبيعية مستقلة عن الحركة . فجاءت نظرية آينشتاين معتمدة على الأسس التي سبقتها لتضم جميع المحاولات في اطار واحد . واذا وفق آينشتاين في التعرف على الظروف الملائمة لتطبيق الافكار والتجارب السابقة ، فذلك لانه اوسع بصيرة من غيره واكثر ادراكاً لطبيعة المعرفة الفيزيائية . ان المشكلات الفيزيائية بحاجة الى اشخاص لهم ادراك

(1) Einstein, A., & Infeld, L., The Evolution of Physics P. 291

بطبيعة المشكلة متخذين من المعرفة السابقة وتجاربهم الفكرية اساساً ، لان المشكلة تحدث عندما لا تستطيع المعرفة المتوفرة لدينا تقديم تفسير علمي واضح لها ، لذلك لا بد من محاولات فكرية جديدة تعمل على بناء نظرية جديدة ذات اطار فكري جديد عن طريق اختيار الافكار الاولية والمبادئ الاساسية ، بحيث تستطيع هذه النظرية تقديم تحليل واضح للمشكلة .

ومن ناحية اخرى يمكننا القضاء على معظم المشكلات التي تعرض سبيل البحث العلمي عن طريق مراقبة سلوك الملاحظين في العمل . والدور الذي يضعه ادنجتون في المراقبة ذو اهمية واسعة ، خاصة وانه ذو غايات تسعى الى توسيع الحدود العلمية وابعاد النظرية . اما الشخص الذي يقوم بدور المراقبة فهو العالم الاپستمولوجي ، اذ عليه فحص حدود المعرفة ، وغايته ان يختار الاشخاص الذين يراقبون الظواهر مراقبة جيدة ويتبعون الخطوات العلمية في الوقت نفسه . اما السبب الذي دفع ادنجتون الى التأكيد على الملاحظة الجيدة فهو ان كثيراً من الحوادث الفلكية تحدث في الكون ، بحيث لا يتسنى لنا مراقبتها مرة اخرى . فالسدم الحلزونية مثلاً ذات سرعات كبيرة ، بحيث يعجز اكبر مجهر عن متابعتها ، واذا شاهد احد العلماء او المراقبين حركة سديم ما بطريقة تخالف النظريات الفلكية الحديثة مثلاً ، فان السبيل الوحيد للثبوت منها هو تسجيل هذا الحدث بدقة ، والافادت علينا هذه المعرفة كلياً ، لان هذه الحركة ربما تنعدم نهائياً عندما يجتاز السدم مسافات ابعد .

ويميز ادنجتون اخيراً بين المعرفة القبلية *Apriori* والمعرفة اليعدية *Aposteriori* ، حيث تمثل الاولى المعرفة الاپستمولوجية وتمثل الثانية المعرفة التجريبية او الفيزيائية ، محاولاً تفسير طبيعة النظريات والقوانين الفيزيائية . ف نظام الفرضيات الاساسية بأجمعه بالنسبة لادنجتون يمكن ان 'يستبدل بمبادئ اپستمولوجية'<sup>(1)</sup> . او بعبارة اخرى انه من الممكن النظر الى

(1) Eddington, A., The Philosophy of Physical Science P. 56

قوانين الطبيعة من ناحية إستمولوجية بحتة . وهذا المبدأ يقودنا الى الاعتقاد بأن جميع قوانين الطبيعة ذاتية . ويعتقد كذلك ان جميع القوانين الطبيعية الاساسية يمكن ان تُشتق او تُستخرج من مبادئ إستمولوجية . ويضيف ادنجتون الى قائمة القوانين الطبيعية جميع الثوابت الطبيعية ايضاً ، لاننا نستطيع اشتقاقها من اعتبارات إستمولوجية .

يظهر ان مذهب ادنجتون في تحليله الاخير يبيّن لنا شرعية المذاهب العقلية والمعرفة البديهية السابقة على التجربة . ولكن ادنجتون في الوقت نفسه لا يهمل دور التجربة والملاحظة في اقامة النظريات العلمية . ويبدو لي ان في الامر محاولة للجمع بين الاتجاه العقلي والتجريبي ، فلا يمكن الاستغناء عن التجربة ، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها كلياً ، بحيث تصبح المعرفة جميعها معتمدة على التجربة ، وان اشتقاق القوانين لا يمكن ان يكون عن طريق التجربة فقط . ان للعقل دوره الكبير في بناء النظرية من افكار هي بدورها من خلق العقل والفكر الانساني . وهذه الثنائية بين التجربة والعقل تجعل الباحث في وضع لا بد معه ان ينحاز في النهاية الى التجربة او الى العقل .

لقد حاول ادنجتون ان يثبت نظريته من خلال القوانين والنظريات الصحيحة ، واستعمل لذلك مبدأين : —

#### ١ — مبدأ التحليل      ٢ — المبدأ الإستمولوجي .

فاذا استعملنا المبدأ الأول في تحليل قوانين الطبيعة ، وظهر لنا انها مشتقة من مبادئ إستمولوجية ، فذلك لا يعني ان هذه القوانين عقلية ، بل لان التحليلية أوصلتنا الى بعض الفرضيات والافكار التي تبدو لنا انها قبلية . وفي الحقيقة ان الفرضيات والافكار او المبادئ الإستمولوجية ذات جنور تجريبية ، وان كانت لا تعتمد عليها كلياً ، وان تكوين الافكار والمبادئ هي من عمل العقل وليس من خلق التجربة . يظهر ان تطبيق نظرية ادنجتون اقتصر على جانب واحد هو نظريات وقوانين الفيزياء النظرية التي تعتمد على نظام

من الافكار والبدهييات والاستدلالات ، كما اعتمدت فلسفته على جدارة الطريقة الرياضية في صياغة القوانين والتثبت منها بعد ذلك تجريبياً . ان افكار وفرضيات الفيزياء النظرية غير مشتقة من التجربة ، ولكن التثبت منها يحتاج الى التجربة ، وهكذا تبدو انها قبلية سابقة على التجربة . واذا سلمنا بتحليل ادنجتون فانه من الضروري ان نشير الى ان نظريته تنطبق على جزء من القوانين المعروفة في الفيزياء ، وانها تستبعد القوانين الطبيعية المستخلصة من التجربة . فالقانون الطبيعي ان ضغط الغاز يزداد تبعاً لازدياد درجة الحرارة لا نستطيع التوصل اليه بفرضية او تحليلات عقلية ، لان التجريب في هذه الحالة هو الاساس في استنباط هذا القانون . ويتضح ان المبدأ الاستمولوجي لا يمكن تطبيقه في مجال القوانين الطبيعية التجريبية ، وان القوانين الاساسية وحدها في اعتقاده ذات مبادئ استمولوجية .

يميز ادنجتون في مقدمة كتابه « طبيعة العالم الطبيعي » بين علمين ، يطلق على الاول اسم العالم المألوف ، وعلى الثاني اسم العالم العلمي . يتكون العالم المألوف من الاشياء التي يعرفها الانسان منذ السنوات الاولى من حياته ، وهي المنضدة والكرسي والالوان المتعلقة بها وكل ما يمكن ان يدركه الفرد في حياته الاعتيادية . واهم ما يتصف به هذا العالم انه مادي ، بحيث انك اذا ضربت صخرة بقدمك ، كانت النتيجة حدوث ألم بها ، لان الصخرة كجسم مادي صلب لا تسمح لقدمك من التخلل فيها . واذا جلست الى منضدتك لتكتب ، فأنت مقتنع ان جميع الكتب التي تضعها على المنضدة تبقى دون ان تقع ، وذلك لقابلية المنضدة على حملها . وبصورة عامة فان جميع الاشياء والاجسام المادية التي تظهر في العالم الخارجي هي اجسام العالم المألوف . ولكن قلنفرض ان عالماً فيزيائياً يلقي محاضرة عن تركيب المنضدة بموجب النظريات الحديثة ، فاننا سنجد انه يبدأ بتحليل اجسام العالم المألوف اولاً ثم يسير في بحثه على ضوء ما توصل اليه العلم من تحليل المادة ، فيعطينا معلومات مغايرة لما نشاهده في العالم المألوف . فالمنضدة التي نحن على اتصال

مباشر بها تكون في نظر العلم عبارة عن فضاء تسبح فيه أجزاء صغيرة كهربائية هي الالكترونات. فليست المنضدة العلمية مادة او جوهرأ صلباً بالمعنى الذي الفناه ، بل انها ذلك التركيب الذي تصفه احدث النظريات العلمية . والفرق واضح بين المنضدة في العالم المؤلف والمنضدة في عالم العلم . والعلم الذي يقوم بتحليل المنضدة فيفقد حواصها المؤلف هو علم الفيزياء الذي يرى فيه ادنجنون علماً مضبوطاً خلافاً للعلوم الاخرى غير المضبوطة . وهذا التمييز بين العلوم المضبوطة وغير المضبوطة له فائدة كبيرة في بحث ادنجنون الفلسفي والعلمي ، وذلك لكي يتسنى له ان يركب عالماً من الرموز الرياضية بدلاً من الحجارة والطين .

ان العالم الذي يقوم ادنجنون ببنائه هو نتاج البحوث العلمية في حقل النسبية والكمية ، وان العملية بأجمعها عبارة عن لعبة تبين لنا كيفية اشتقاق الحقائق منها . والغريب في الامر ان ادنجنون في عملياته البنائية لم يميز بين مستويات بنائية مختلفة ، ويرجع السبب كما اعتقد الى انه اراد تثبيت أسس البناء . اما الاشتقاق فانه عملية تمر بمراحل مختلفة تبعاً لدرجة التجريد ، ولكنها في النهاية ترجع الى الأسس التي اختارها للبناء . وقبل ان نسير معه في عملية البناء يحذر بنا ان نشير الى نظريته المعروفة بقراءة المؤشر *Pointer reading* ، وبها ينتقل الانسان من مفاهيم العالم المؤلف الى مفاهيم الدقة والحساب العلمي ، ومعنى ذلك الانتقال الى وصف الطبيعة بالدقة المضبوطة . ان الكمية التي نلاحظها يمكن ان نقرأ بحركة وموضع المؤشر ، فاذا وزن شيء ما ، ٢ طن مثلاً ، فلا بد ان نسأل عما نعنيه بـ « ٢ طن » وللإجابة على ذلك يقول ادنجنون بأنها ما يقرأه المؤشر . وبهذه النظرية يعتقد ادنجنون ان جميع المقادير في الطبيعة تخضع لمبدأ قراءة المؤشر ، وان جميع العلوم المضبوطة تستعين به ، وبه ايضاً نتخلص من مفاهيم العالم المادي بطريقة علمية معترف بها . واختلفت نتيجة لهذا المبدأ نظرية آينشتاين في قياس المقادير الفيزيائية عن النظرية الكلاسيكية . فتعرّف الكتلة في الفيزياء القديمة بأنها كمية المادة في

حين ان تعريف الكتلة في نظرية آينشتاين يقتصر على عمليات حسابية وقياسية معينة او انها ترتبط بقراءة المؤشر .

والنظرية الاخرى في فلسفة ادنجتون العلمية تظهر من تقسيمه لقوانين الطبيعة الى ثلاثة انواع هي : -

١ - القوانين المتماثلة او الذاتية Identical Laws

٢ - القوانين الاحصائية Statistical Laws

٣ - القوانين المفارقة او الصورية Transcendental Laws

تشمل القوانين الذاتية قوانين حفظ الطاقة والمادة ، الجاذبية والكهربائية .. الخ . ويطلق عليها ادنجتون اسم القوانين البيّنة Truisms . اما القوانين الاحصائية فهي التي تخص الغازات والقانون الثاني في الديناميكا الحرارية . وتهم القوانين الصورية بسلوك الذرات الفردي ، الالكترونات ، الفوتونات .. الخ .

وتختلف القوانين الاحصائية عن القوانين الذاتية والصورية من حيث انها قوانين احتمالية وليست حتمية . ويعطي ادنجتون للقوانين الذاتية اهمية بالغة في بناء العالم باعتبارها تمثل الفيزياء المجالية . وبصورة عامة ان القوانين الطبيعية ما هي إلا صيغ رياضية ، ولا تكون معرفتنا للقانون معرفة صحيحة ما لم نفهمها . والقوانين الطبيعية والثابت تخضع في الحقيقة الى المعرفة القبلية ، وان القوانين الذاتية حقائق بيّنة ، وذلك لانها تبين العلاقة بين المفاهيم او الحدود التي تنتج من الطريقة التي بواسطتها يتم تعريف الحدود<sup>(١)</sup> .

يتألف العالم من علاقات relations ونقاط تلقي عندها العلاقات relata . واذا استخدمنا نقاط تلاقي العلاقات في البناء ، فلا بد ان تكون متميزة الواحدة عن الاخرى . ويعين ادنجتون للتمييز فيما بينها بما يدعوه .

---

(1) Stebbing, S., The Philosophy and the Physicists P. 63

« monomarks » بحيث ان كل واحدة منها تحتوي على اربعة اعداد تدعى اخيراً بالمتعامدات Co-ordinates .

ويفترض انجتون فرضية اخرى في علاقة المشابهة بين بعض العلاقات لكي يستطيع ان يربط الكل في التركيب او البناء . واخيراً يعطي انجتون ٢٥٦ معاملاً عددياً numerical coefficients لتعطي لنا قياساً عددياً للبناء الذي يحيط نقطة الالتقاء الابتدائية<sup>(١)</sup> . والعملية التالية هي ان نُسقط من هذه الاقيسة المعامل المتكررة والعديمة الفائدة . والذي يقوم بعملية الانتخاب هذه هو العقل ، فيبقى لدينا ( ١٦ ) من هذه المعامل توزع على النحو الآتي : —

١ — عشرة منها تستخدم للهندسة والميكانيكا ، وهي القوى العشرة في جاذبية آينشتاين . ونشتق منها الزمان والمكان والزخم والطاقة ... الخ .

٢ — اما الستة الباقية فتنقسم قسمين : —

١ — ثلاثة منها تكون القوة المغناطيسية .

ب — وثلاثة اخرى تكون الشدة الكهربائية .

وابرز ما قدمه انجتون في فلسفته العلمية هو ما يتعلق بطريقة التعريف في الفيزياء ، واعتقاده ان هذه الطريقة دائرية مغلقة Cyclic . فعندنا قائمة من المفاهيم هي : —

١ — القوى Potentials ٢ — الفترة Interval ٣ — المقياس Scale

٤ — المادة Matter ٥ — الشدة Stress

فاذا طُلب منا تعريف القوى اجبنا انها كميات مشتقة بواسطة حسابات رياضية بسيطة من كميات ضرورية تدعى فترات . واذا ما سؤلنا عن تعريف الفترة كانت الاجابة مقتصرة على بيان العلاقة بين حادثتين يمكن ان تقاس

(1) Eddington, A., Mathematical Theory of Relativity P. 226

بمقياس . ويعرّف المقياس بأنه قشرة مادية مدرجة . ولكي نعرف المادة نلجأ الى ثلاث كميات فيزيائية هي الكتلة والزخم والشدة . واذا استمر التعريف فاننا سرجع ثانية الى القوى مكونين بذلك دائرة مغلقة بدأت بالقوى وانتهت اليها . ويرى ادنجتون ان الفيزياء النظرية عبارة عن نظام مغلق يبيّن بوضوح طريقة التعريف الدائرية ، وان القوانين الحقلية او المجالية اشتقاقات منطقية من التعريفات .

لنفرض ان شخصاً ما لم يقتنع بتعريف المادة من الوجهة العلمية ، واخذ يسأل عن المادة وما هي ؟ ، فان ادنجتون يجيب اجابة ميتافيزيقية ، لانه يعتقد ان المادة شيء يعرفه السيد (س) . واذا اردنا ان نعرف ما هو السيد (س) لكي نعرف المادة ، كان علينا ان نخوض في فلسفة بحثة تبتعد عن العلمية . والسبب في عدم القدرة على بحث السيد (س) بالطريقة الفيزيائية هو ان المعادلات الرياضية لا تتضمنه . واذا جاز لنا الوقوف عند دائرة الفيزياء الضيقة في التعريف ، فان امكانية بناء فلسفة تكون مقصورة على ما تقدمه الفيزياء من معلومات . وهذا معناه ان بحث السيد (س) لا بد ان يخرج من الدائرة الفيزيائية الضيقة . فالسيد (س) كما يفهمه ادنجتون هو العقل . فالمعادلات الرياضية مثلاً تحتوي على رموز تصف المعرفة الفيزيائية ودور (س) او العقل هو ان لا يقف عند حدود هذه الرموز ، بل عليه ان يغوص الى الداخل لادراك الكنز الذي تحمله هذه الرموز ، فهو لا يتحرك تبعاً للأمواج الصوتية والمعادلات الرياضية ، بل يتحرك تبعاً لما تتضمن هذه الامواج من معنى . فالعالم المادي ليس حقيقة واقعية ، لان العالم الحقيقي هو عالم الرموز الرياضية التي يفهم معناها السيد (س) . ويضرب ادنجتون مثلاً يبيّن فيه كيف يمكن ان يخدع الانسان اذا ما عاش في عالم خيالي تتحكم فيه القوانين المعروفة وغير المعروفة في عالمنا . فاذا تصورنا انساناً عاش في هذا العالم الخيالي ، فانه سوف يقع على مادة خيالية . ولكنها تتجاذب تبعاً لقانون الجاذبية وسوف يرى ضوءاً ترسله كواكب وشموس خيالية ، ولكن سرعته لا تختلف عن سرعة الضوء

الحقيقي . فكل ما يحده او يكتشفه هذا الانسان هو ان القوانين الطبيعية التي تحكم في العالم الذي يعيش فيه لا تختلف عن القوانين الطبيعية في عالم حقيقي وعلى هذا الاساس تكون القوانين الطبيعية ليست قوانيناً مشتقة من العالم المادي ، بل انها نتيجة ابداع العقل او الشعور . فالشعور وحده هو الذي يطلعنا على وجود عالم حقيقي ، لان العالم الذي يصفه ادنجتون عالم رياضي . يقوم العقل باكتشاف قوانينه بطريقة ذاتية .

واخيراً نستطيع تلخيص اهم المبادئ الفلسفية في فلسفة ادنجتون التي قادته نحو الميتافيزيقا : —

- ١ — نظريته في بناء العالم
- ٢ — اعتقاده ان العالم المؤلف ليس عالماً حقيقياً .
- ٣ — نظريته في قراءة المؤشر التي استعاضت عن المقادير الطبيعية بعمليات حسابية او بما يرمز اليه المؤشر ، واعتقاده ان العالم رمزي .
- ٤ — والمبدأ الاخير الذي يظهر انه الاهم في ميتافيزيقا ادنجتون هو ان العالم لا بد ان يحتاج الى بان او مشيد ، وهذا الباني هو العقل . فانتخاب العقل للعوامل الستة عشر في بناء العالم الرمزي هو فعالية انتخابية ذاتية ، فاذا لم ينتخب العقل هذه العوامل الاساسية لاشتركت الاقيسة جميعها في بناء عالم متنوع . فالعقل إذاً له قدرة او فعالية انتخابية سواء في بناء العالم او في تركيب القوانين الطبيعية .



## الفصل السادس

### الضرورة الطبيعية

ألفريد نورث وايتهيد

كان لظهور النظرية الكمية والنسبية الأثر الكبير في الاتجاهات الفكرية في الفلسفة ، كما كان لظهور الدراسات المنطقية في الرياضيات الأثر الكبير في ظهور فلسفات علمية تتجه نحو الدقة والتحليل . وإذا كان لنا أن ندرس إتجاهاً فلسفياً وعلمياً في الفلسفة المعاصرة ، فإننا نجد انفسنا في دائرة معرفة تأخذ بنظر الاعتبار الاتجاهات العلمية في حقل الفيزياء والرياضيات . وخير مثال على ذلك فلسفة ألفريد نورث وايتهيد التي جمعت بين دفتيها ما قدمته الفيزياء من إنجازات في حقل الطبيعة وما قدمته الرياضيات أو المنطق في حقل الدراسات البرهانية والاشتقاقية ، وقد عُرِفَ وايتهيد عالماً في المنطق والرياضيات إلى جانب اهتمامه بالآثار الفلسفية التي تركتها النظريات العلمية في المعرفة . فاشترك مع براتر ندرسل في كتابهما المشهور « اصول الرياضيات »<sup>(١)</sup>

---

(١) يظهر أن عمل وايتهيد في كتاب « اصول الرياضيات » الذي يقع في ثلاثة أجزاء يتركز في إيجاد الطريقة الرمزية للمنطق والرياضيات .

الذي يعد في طليعة الدراسات في الفلسفة الرياضية المعاصرة ، وكانت له يدٌ طولى في الدراسات الطبيعية ، خاصة في النظرية الكونية « Cosmology » .

وعلى الرغم من اشتراكه مع رسل في المنطق الرياضي فإننا في واقع الأمر أمام فيلسوفين لكل منهما اتجاهه وفلسفته الخاصة به ، ففي الوقت الذي يعتبر فيه رسل رائداً من رواد المدرسة الواقعية والتحليلية الحديثة ، نجد وايتهد ينزع في فلسفته نحو الميتافيزيقا ، ولكنها ميتافيزيقا تختلف عما هو معروف في هذا الحقل من المعرفة ، وذلك لأنه يتخذ من دراساته العلمية الرياضية والطبيعية أساساً لهذا الاتجاه ، فهي ميتافيزيقا تستفيد من التطورات العلمية لبناء نظرة شاملة للكون والحقيقة . وإذا تتبعنا حياة وايتهد الفكرية لوجدناها متميزة بثلاثة مراحل مختلفة : —

كان في المرحلة الاولى (وهي اطول مرحلة استغرقت معظم حياته) مهتماً بالدراسات الرياضية ، ولكنه انقلب الى الفلسفة على اثر كتابه مع رسل ، لانه وجد ان للفلسفة طريقة جديدة — وهي الطريقة التي وضع اسسها من قبل جوتلوب فريجه وقام بتطويرها رسل ومدرسته التحليلية — هي التحليل المنطقي لكونها تصلح اساساً لمعرفة الافكار والمبادئ الاولى التي تقوم عليها الرياضيات .

أما المرحلة الثانية فإنها تتميز باهتمام وايتهد بعلم الفيزياء من جهة ومحاولته بيان الاخطاء التي وقع فيها الفلاسفة في تحليلهم للمشكلات التي تعترض مناقشتهم من جهة اخرى . ومن اهم الكتب في هذه المرحلة الواقعة بين سنة ١٩١٩ — ١٩٢٢ : —

١ — بحث في مبادئ الفلسفة الطبيعية An Inquiry Concerning the Principles of natural philosophy

٢ — مفهوم الطبيعة The Concept of Nature

٣ — واخيراً كتابه في مبادئ النسبية The Principles of Relativity حيث ناقش فيه مذهبه من الناحية الفيزيائية .

ولكن رغم كون هذه المرحلة قد ارتكزت على حقائق علمية ، إلا أنها لم تكن الا كجسر موصل الى نظرية ميتافيزيقية عامة ، كما كان كتاب « اصول الرياضيات » جسراً لانتقاله الى عالم الفكر الفلسفي .

بدأت المرحلة الثالثة والاخيرة التي تميزت بضرب تأملي ميتافيزيقي ، وقد تجلت افكاره بشكلها العميق والحصب بين سنة ١٩٢٦ - ١٩٣٤ ، حيث نشر كتابه « العلم والعالم الحديث Science and the modern World والصيرورة والحقيقة Process and Reality ، فتجلت في هذا الكتاب الاخير معظم افكاره الفلسفية الجديدة واستنتاجاته العلمية والميتافيزيقية المهمة . وقد تميز كتابه « الصيرورة والحقيقة » بالتعقيد والعمق ، بحيث يصعب على الدارس فهمه دون الايام بكتبه الثلاثة التي يمكن ان تعتبر مقدمة مبسطة له ، وهذه الكتب هي : مغامرات الافكار Adventures of Ideas والطبيعة والحياة Nature and Life ووظيفة العقل Function of Reason . ولا تقتصر صعوبة فهم مؤلفات وايتهيد على ما يلاقه الدارس من عمق وتعقيد واستنباط النتائج الجديدة ، بل تظهر الصعوبة كذلك في اسلوبه ، حيث يستخدم تعابير فلسفية خاصة تختلف عن التعابير التي يستعملها معظم الفلاسفة . وعلى ضوء هذه المعلومات سنحاول بحث فلسفة وايتهيد بخطوطها الرئيسية من كتبه التي تميزت بها المرحلة الثانية والثالثة .

شهدت الفلسفة المعاصرة تحولات جذرية جديدة في التفكير بعد أن شهد العلم ذاته تحولاً جذرياً في نظراته الى الطبيعة والحياة والكون ، وهو تحول استبعد الكثير من مفاهيم العلم في القرن التاسع عشر والمبادئ التي كان يرتكز عليها . فاذا رجعنا الى الوراء ، الى فلسفة القرن التاسع عشر ، فاننا نجد آثار الفيزياء الميكانيكية بادية في التفسيرات الفلسفية للمادة والحياة والكون ، فهناك فلسفات تأثرت بهذه النظرة الميكانيكية واعتبرتها الصورة الحقيقية التي يرسمها العلم للعالم ، ففلسفة « كانت » قائمة على الإنجازات الكبيرة التي حققها نيوتن ، وان مفاهيم « كانت » في الطبيعة عبارة عن تجريد واستنتاج

من ميكانيك نيوتن (١) .

وفلسفة كارل ماركس هي الاخرى اعتمدت على تلك الانجازات العظيمة في الفيزياء وعلم الحياة لتقدم لنا منطقاً وفلسفة عامة تصور لنا الكون والحياة والمادة على اساس مادي . لقد كانت مصادر فلسفة ماركس العلمية تتلخص في اعتماده على مبدأ حفظ الطاقة وتحولها ونظرة العلم الذرية الى المادة وتطبيقاتها في مجال علم الحياة ، ونظرية داروين التطورية . وهذه المصادر بلاشك هي الاسس العامة التي سيطرت على تفكير العلماء في القرن التاسع عشر . ولكن المسألة سرعان ما تتحول الى زاوية مختلفة ، لانه ليس من طبيعة البحث العلمي الوقوف عند زاوية واحدة ، بل انه عمل دائم مستمر ينبغي معرفة اكبر قسط من المعرفة في طبيعة الاشياء وسلوكها الحقيقي . وكان لظهور النظرية النسبية الخاصة والعامة ان تحول تفكير العلماء عن النظرة الميكانيكية الى تفكير جديد اكثر دقة وواسع مجالاً ، مقدماً نظرة جديدة الى الكون تختلف جذرياً عن نظرة نيوتن ، وهكذا شهد القرن العشرون نهاية الفلسفة الميكانيكية التي ترعها نيوتن في علم الفيزياء . وبدأت الفيزياء المعاصرة تشق لها طريقاً جديداً معتمدة على الرياضيات والتجربة في رسم صور او صورة عامة للظواهر الطبيعية والكونية ، فبرزت نتيجة لذلك فلسفات جديدة تنظر الى الكون نظرة جديدة ، فانطلقت فلسفة ادنجتون من التحولات التي طرأت على الطريقة ، تلك التحولات التي جعلت العلم ينتقل من الطريقة التجريبية الى الطريقة الرياضية ، وذلك لارساء نظريته في الذاتية الانتخائية . كما ظهرت فلسفة اخرى مثالية الاتجاه ترعها جيمس جينس لبناء فلسفة في المثالية الرياضية . ونظرية وايتهيد الفلسفية هي الاخرى نتاج للتحولات العلمية التي شهدتها هذا القرن مع

---

(1) Jordan, P., Der Naturwissenschaftler vor der religiösen Frage P. 17

محاولة جدية جديدة لتصوير الحقيقة على أسس حياتية وفيزيائية . وتشترك هذه الفلسفات في نقدها للنظرة الميكانيكية من زوايا مختلفة . ونحن الآن بصدد نظرية نقدية لوايتهد تتعلق بنظرة العلم الميكانيكي الى المادة والحياة ، وهي النظرة التي شغلت الفلسفة والعلم مدة طويلة .

إن أكثر النظريات او المبادئ تعرضاً لنقد وايتهد هي : -

١ - نظرية الوضع البسيط The Simple Location

٢ - نظرية انشطار الطبيعة The Bifurcation of Nature

لقد شغلت نظرية الوضع البسيط معظم جهود العلماء والفلاسفة ، وكانت تطلعات المفكرين الاوائل متجهة الى معرفة المادة او الاجسام وعلاقتها بالمكان ، فجاءت نتائج تأملاتهم بما لا يختلف عن نظرة الانسان العادية للاشياء مع بعض الاختلافات في الحجج والبرهان . فسأل فلاسفة المدرسة الايونية عن المادة او الجوهر الاساس الذي يتركب منه العالم ، فكانت اجوبتهم مختلفة في اختيار العنصر ، متفقة في ناحية هامة هي أن المادة موضوعة في الفضاء او المكان . وتأثرت نظرية ارسطو في الجاذبية وسكون الاجسام بهذه النظرة ، واتفقت نظرية غاليلو مع ارسطو في أن المادة تشغل مكاناً لكي تتحرك او تستقر فيه .

ولما بدأت الفلسفة الميكانيكية تشق طريقها في الظهور لتفسير الكون والمادة على أسس جديدة ، كان لابد ان تقف من مشكلة المكان والزمان موقفاً يتلاءم مع نظرتها العامة وما توصل اليه العلم آنذاك من حقائق . فالاجسام ليست ثابتة ، بل متحركة باستمرار كما يشاهد من حركات الاجرام السماوية ، وهذه الحركة لا يمكن ان تكون الا في حيز معين ، حيث يتم انتقال الجسم من محل الى آخر اثناء حركته ، كما يجب ان تكون هذه الحركة مرتبطة بزمن يقيس انتقالها في آتات ومواقع مختلفة .

وهذه الملاحظة في حركة الجسم في المكان والزمان جعلت نيوتن يقر  
الاساس العام لميكانيكية الكون ، فتم له وصف الطبيعة على اساس انها  
مؤلفة من اجسام مادية موزعة في المكان وفي لحظة زمانية ثابتة غير ممتدة  
« Durationless » . وتتميز هذه الاجسام اضافة الى ما تقدم بكونها  
مستقلة الواحدة عن الاخرى ، بحيث يمكن وصف الجسم دون الاشارة  
الى ما يحدث في بقية الكون . وجوهر نظرية الوضع البسيط يقوم على  
هذا الاساس ، لان النظرية الميكانيكية لا ترى إلا أجساماً تتحرك بسرعة  
مختلفة في المكان والزمان ، وانه بإمكان الانسان تعيين هذه الاجسام بكل  
دقة في المكان والزمان المطلقين دون اعتبار لما يحدث في الكون من ظواهر .  
وفي الحقيقة ان نظرية الوضع البسيط تحتل مكاناً كبيراً في الفيزياء الكلاسيكية ،  
وإذا أردنا بحث النظرية في ضوء الفيزياء الميكانيكية ، فاننا نجد انها تصف  
الجسم المادي منفصلاً لا علاقة له بالاجسام المادية المجاورة او الاجسام  
الموجودة في الكون . ويصدق الشيء ذاته في تطبيق النظرية على الزمان  
والمكان ، فالجسم في المكان لا علاقة له بالامكنة الاخرى ، أي اننا لا  
نشير في البحث عن مناطق مكانية ثانية ، وإذا وجد جسم في لحظة زمانية ،  
فإن ذلك يؤخذ دون الاشارة الى لحظة زمانية اخرى سواء كانت في  
الماضي او المستقبل .

ولكننا في الوقت ذاته نلمس اشارة واضحة في الفلسفة الطبيعية القديمة  
تقول بفكرة امتداد المكان ، وبعبارة اخرى : ان المكان ليس ترتيب  
اجسام مادية او توزيعها فقط ، بل ان الجسم المادي باعتباره يشغل مكاناً ،  
يقبل القسمة الى اجزاء ، بحيث يظهر كل جزء مؤلفاً من اجزاء واجزاء ،  
فليس هناك مانع من تشتيت المادة الى اصغر فاصغر . ولكن الشيء ذاته  
(الجسم) يختلف بعلاقته مع الزمان ، فاذا جرى الزمان الى دقائق  
وثواني ولحظات ... فان الجسم يبقى محافظاً على جميع صفاته دون ان يطرأ  
عليه ادنى تغيير . فالفترة الزمانية على هذا الاساس لا تكون سوى عرض

للمادة وليست جوهراً او صفة جوهرية له . لقد تخلّت الفيزياء الحديثة عن هذه النظرية ، لأنها لا تقدم لنا صورة حقيقية ، فالاشياء الطبيعية التي تتعامل معها الفيزياء مثل الكواكب والجزيئات والذرات والالكترونات والفوتونات وغيرها تقاس بالنسبة لمتصل الزمان - المكان ، فلم يعد الزمان شيئاً عرضياً ، بل اصبح موضوعياً وجوهرياً يخضع لمعادلات او يوصف بمعادلات رياضية . كما اثبتت نظرية ايششتاين النسبية انه لا يمكن فصل الزمان عن المكان ، لانهما يكونان نسيجاً متشابكاً لا انفصال فيه .

إن الفيزياء الحديثة من جهة اخرى لا تتفق وموقف الفيزياء القديمة من الكتلة ، اذا اعتبرت الفيزياء الكلاسيكية كتلة الاجسام ثابتة يمكن تعيينها بدقة في المكان والزمان ، بينما اثبتت النسبية ان كتلة الاجسام تتغير تبعاً للسرعة ، وانها ليست ثابتة . ان هذا الانتقال في الفيزياء المعاصرة واثبات نسبية الزمان والمكان والكتلة والتأكيد على دراسة الحوادث « events » في متصل الزمان - المكان بدل دراسة الاشياء ذاتها ، كل ذلك جعل الانسان ينظر الى الكون نظرة جديدة تختلف جذرياً عن نظرة الفلسفة الميكانيكية ، فالحوادث في الكون ليست منعزلة ، بل انها تؤلف كلاً مترابطاً في متصل الزمان - المكان . ومن هذا الانتقال في النظرة العلمية قرر وايتهيد ان الكون في صيرورة وديمومة مستمرة .

لم تجد نظرية الوضع البسيط في القرن التاسع عشر معارضاً لها سوى علم الحياة . فالكائن الحي لا يوصف بانه في لحظة زمانية ثابتة فضلاً عن ان الخلايا التي تؤلفه ليست منفصلة الواحدة عن الاخرى ، بل انها تعمل جميعاً لتحقيق هدف واحد او غاية واحدة . والكائن الحي بلا شك يختلف عن الموجودات الصلبة من حيث انه يعمل ويمتد في المكان وله ماضٍ وحاضر ومستقبل . فبين البيولوجيا والفيزياء اختلافات جوهرية لا يمكن نكرانها ، تجعلنا نعتقد انه يجب ان يبقى لكل علم منهما منهجه وطريقته منفصلاً عن الآخر .

وعندما اتسع تطبيق الفلسفة الميكانيكية حتى شمل جميع مجالات المعرفة الانسانية ، اخذت التفسيرات والقوانين الفيزيائية طريقها الى البيولوجيا ، حيث اصبحت تفسر الكائن الحي بطريقة ميكانيكية صرفة ، ولم يظهر اي أثر للبيولوجيا في علم الفيزياء . وقد طبقت فعلاً قوانين المادة والحركة التي تخص الاجسام المادية على الكائنات الحية ، فالجزموبلازم اصبحت مثلاً مجرد تطور التراكيب الكيميائية ، وبعبارة اخرى : لم تعد الفوارق بين المادة الميتة والحية كبيرة . وبعد انهيار النظرة الميكانيكية في الفيزياء كان متوقفاً ان تحدث تأثيرات اخرى في العلوم التي تتصل بهذا العلم من قريب او بعيد ، فلم يعد الكون مجرد فضاء تسبح فيه الاجسام المادية ، بل دلّت المشاهدات والتجارب ان الكون يتمدد ويتطور وان المادة تتقل من حالة الى اخرى ، وان الاشياء تخضع لتبدلات سريعة بفعل ما يحدث في الكون . ان هذه النظرة في كون متطور قربت الفيزياء الى مفاهيم البيولوجيا ، فحاول الفلاسفة ربط المعرفتين والخروج بنظرية فلسفية جديدة عن الكون . وفلسفة وايتهيد والفلسفات التطورية تبين شدة الاتصال بين المعرفتين على اعتبار ان الحقيقة لا يمكن ان تعرف الا بهما معاً .

يستعيز وايتهيد عن المادة الخامدة في الميكانيكا والمادة الحية في البيولوجيا بالحوادث ليصل بين الحياة والطبيعة ، ويحل ما وصل اليه العلم وما يمكن ان يصل بغية تركيب نظريته التطورية . فالحوادث في الطبيعة على هذا الاساس هي الحقيقة المباشرة للشعور الحسي Sense-awareness .

ويرفض وايتهيد نظرية الزمان المطلق والمكان المطلق ، لانها تأخذ بنظر الاعتبار استقلال الزمان عن المادة واستقلال المكان كذلك ، وانفصالهما الواحد عن الآخر . وبعبارة اخرى : ان الزمان يصبح عبارة عن تتابع لحظات زمانية ثابتة والمكان محلاً للمادة او اوضاعاً منفصلة . فاذا صحّت هذه الدعوى فكيف نستطيع تفسير تطور الطبيعة وصوريتها ، خاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار نظرية الزمان المطلق التي تجعلنا نفكر في الطبيعة في

لحظة زمانية ليس لها علاقة بلحظة زمانية اخرى ؟

إن الحقيقة في فلسفة وايتهد هي ان الطبيعة في تطور مستمر وعلاقات ممتدة بين الحوادث « Extensive relations » ، فاذا كانت الحوادث السببية تشغل فترات زمانية مطلقة واوضاع مكانية مطلقة وتؤثر هذه الحوادث في العقل الذي يستلم بدوره حوادث تشغل فترات زمانية واوضاع مكانية مطلقة ، فكيف يمكننا تفسير الطبيعة على أسس علمية جديدة دون ان نهمل حقيقة الضرورة في الطبيعة ؟

ان نظرية الزمان المطلق والمكان المطلق تقودنا الى صعوبات كثيرة ، وان فرض الجسم في المكان والزمان دون الإشارة الى امكنة مجاورة او ازمنة اخرى ماضية او حاضرة او مستقبلية يجعل ادراكنا للطبيعة كأنها ثابتة لا صيرورة فيها. ويتبع ذلك ان الطبيعة في اية فترة لا تشير الى الطبيعة في فترة اخرى ، وهذا معناه ان ليس لدينا مبرر نستطيع به ان ندلل على صحة القانون الطبيعي في المستقبل .

والنظرية الاخرى التي ناقشها وايتهد مستنداً الى تحليلات فلسفية وعلمية معاصرة هي نظرية انشطار الطبيعة ، وقد خصص وايتهد لمناقشة هذه النظرية باباً خاصاً في كتابه « مفهوم الطبيعة »<sup>(١)</sup> ، وركز مناقشته على اربع مسائل مهمة لها اتصال بانشطار الطبيعة هي<sup>(٢)</sup> : —

١ — السببية Causality

٢ — الزمان Time

٣ — المكان Space

٤ — التوهم Delusion

(1) Whitehead, A.N., The Concept of Nature Ch. II, P. 26

(2) Ibid., P. 31

وهذه المسائل ليست منفصلة الواحدة عن الاخرى ، بل انها تؤلف اربع نقاط لمناقشة نظرية انشطار الطبيعة . يقصد وايتهيد بالسيية الطبيعة العلية Causal nature التي تظهر في أثر الطبيعة على العقل واعتبار العقل الطبيعة مؤلفة من ظواهرها . فالطبيعة هي سبب او علة المعرفة الحاصلة في العقل الذي يظهر على هيئة معلول . وعلى هذا الاساس تصبح نظرية انشطار الطبيعة عبارة عن محاولة لظهار علم الطبيعة على شكل بحث عن سبب المعرفة وحقيقتها . ويتناول وايتهيد نظرية الزمان المطلق والمكان المطلق بالانتقاد لاعتبارها الزمان والمكان حقائق منفصلة وانظمة مستقلة : فالزمان تتابع منظم للحظات زمانية ثابتة ، بالامكان معرفته او ادراكه دون الحوادث ، فهو على هذا الاساس عامل ثابت لا يتغير بتغير الحوادث . ويصدق هذا التحليل بالنسبة للمكان كذلك ، فالمكان نظام مؤلف من نقاط غير ممتدة Extensionless Points ولكن هذه النقاط لا ترتب على هيئة متتالية كما هو الحال بالنسبة للزمان . فنظرية انشطار الطبيعة تبحث عن علة المعرفة بالاشياء بدل ان تبحث في صفة الشيء الذي يراد معرفته ، كما انها تفترض معرفة الزمان بذاته منفصلاً عن الحوادث المتصلة به ، وهي تفترض معرفة المكان بذاته منفصلاً عن الحوادث المتصلة به .

اذا بحثنا جذور نظرية انشطار الطبيعة في الفكر الاوروبي ، فانا نجد انها في التفكير العلمي والفلسفي معاً . فثنائية العقل والمادة وثنائية الزمان بذاته والحوادث ، وثنائية المكان بذاته والاجسام امثلة واضحة على اهتمام الفكر الاوروبي بانشطار الطبيعة . ولقد تعدت هذه الثنائية حدوداً اخرى في نظرية المعرفة والميتافيزيقا والعلوم ، بحيث اصبحت اساساً قاد الفكر الفلسفي والعلمي نحو الميتافيزيقا والبعد عن الحقيقة .

لقد قدم جون لوك نظريته في تقسيم الطبيعة على اساس تباين الصفات ، فالصفات الاولى او الجوهرية تحمل الصفات الثانوية ، وتتميز الصفات الاولى بانها مستقلة عن ملاحظتنا وادراكنا الحسي عكس الصفات الثانوية التي تفترق

الى الحاسة لادراكها . ولكن نظرية لوك سرعان ما واجهت صعوبات كثيرة رغم انها جاءت معتمدة على ما قدمته الفيزياء في عهده . وفي حقيقة الامر ان هذه النظرية تميز بين الحقيقة السيكلولوجية والحقيقة الفيزيائية ، فاذا وصف شاعر ما الطبيعة ، فانه سوف لا يصف منها الا ما يدركه بالحس ( اي صفات الطبيعة الثانوية ) . اما اذا وصف الطبيعة عالم فيزياء ، فانه سوف يهتم بالالكترونات والبروتونات والدقائق الذرية الاخرى دون ان يتطرق الى ذكر الصفات الثانوية . فنظرية نيوتن مثلاً في الدقائق الذرية ونظرية هويجنز الموجية لا تميز بين صفة اولية واخرى ثانوية . اما كيف يحدث الاحساس فذلك نتيجة لدخول الحركات المادية للضوء الى العين ، فالشبيكية ، فالاعصاب ، فالملخ .

يرفض وايتهيد كل الانواع التي تدخل في انشطار الطبيعة ، لاعتقاده ان كل شيء يدرك انما هو في الطبيعة ، وان الطبيعة كل غير قابل للانشطار . فحمرة شعاع الشمس المتوهج عند الغروب جزء من الطبيعة لا يختلف في موضوعيته عن الذرات والالكترونات التي يدرسها عالم الفيزياء باعتبارها حقائق موضوعية في الطبيعة . وبعبارة ادق : ان نظرية وايتهيد تهمل كل تفسير سيكلولوجي ولا تؤمن الا بوحدة الطبيعة غير المنشطرة .

ولكن قد يقال في النتيجة الاخيرة التي توصل اليها وايتهيد ان نظريته تشبه الى حد كبير نظرية بيركلي ، لان كل واحد منهما يعتبر الطبيعة واحدة . والجواب على هذا الاعتراض او التساؤل هو ان بيركلي نظر الى الطبيعة على اساس انها غير منشطرة ، ولكنه بدل ان ينظر اليها على اساس انها مؤلفة من جوهر وعرض نظر اليها باعتبارها عرضاً ليس فيها محل للجوهر . واذا كانت الطبيعة عرضاً فانها لا بد ان تعتمد على عقل وحس الملاحظ . فالطبيعة موجودة عندما يكون الشخص المدرك على اتصال بها وغير موجودة عندما لا يكون بين الفرد وبينها علاقة مباشرة . ويذهب بيركلي في النهاية الى الاعتقاد ان الطبيعة تدرك بعقل الله عندما لا يكون الانسان مدركاً لها . وبعبارة اخرى :

ان تفسير الطبيعة يعتمد على حقيقة خارجية وليست داخلية ، بينما تعتمد دراسة وايتهيد على إدراك الطبيعة من الداخل دون فرض علة خارجية أو حقيقة مفارقة . وعلى ضوء تحليل وايتهيد للطبيعة يرفض كل تفسير لها يعتمد على شطرها الى شطرين : جوهر وعرض ، علة ومعلول ، عقل ومادة ... الخ .

ومن أكثر هذه الثنائيات تعرضاً لهجوم وايتهيد ثنائية ديكارت في العقل والمادة . ويعتقد وايتهيد ان الفكر الاوروني قد تسم نتيجة لهذه الثنائية المتطرفة . ففصل ديكارت بين الفكر والامتداد ، بحيث ان ما ينطبق على المادة من قوانين طبيعية او ميكانيكية لا يمكن ان ينطبق على الفكر . فالعقل والمادة يمثلان حقيقتين منفصلتين في الطبيعة . واذا حاولت بعض المذاهب فض هذا الاشكال ، فانها كانت ترفض المادة وتبقي للعقل سيادته او ترفض العقل وتبقى للمادة سيادتها . ولم تحاول مدرسة فلسفية ان تجمع بين العقل والمادة في اطار واحد . وكانت محاولة وايتهيد منصبة على تأكيد حقيقة واحدة هي كون العقل والمادة يمثلان نسيجاً واحداً لا يتجزأ<sup>(١)</sup> . وفي مذهبه هذا يقرب من مذهب لينتز في ضم العقل والمادة في وحدة دعاها مونادا . اما الاختلاف الواضح بين مذهب وايتهيد ولينتز ان الاول يعتقد بوحدة الطبيعة ، وحدة الطبيعة بمحوادثها وديمومتها والعقل بشعوره وادراكه ، بينما يعتقد الثاني بروحية المونادات وابتعادها عن عالم المادة . وهنا يكمن الاختلاف في طبيعة الحقائق الاساسية في كل مذهب .

وبصورة عامة يرفض وايتهيد مبدأ انشطار الطبيعة الى جزئين ويرفض تبعاً لذلك الفصل التام بين العقل والمادة والزمان والمكان ، لان مثل هذا الانقسام لا يقره العلم ويتنافى مع حقيقة الصيرورة الطبيعية التي تمثل الجانب

---

(١) يمثل رسل في كتابه « تحليل العقل The Analysis of Mind » اتجاهاً يقرب من هذا الموقف في افتراضه الهيولى المحايدة التي ينبثق منها العقل والمادة .

الحياتي والطبيعي في كل لا يتجزء . اصف الى ذلك هجومه العنيف على النظرية الميكانيكية في الوضع البسيط التي لا تضع محلاً للتطور الخلاق في الطبيعة . وبعبارة اخرى : ان العلم الفيزيائي الكلاسيكي لا يأخذ بنظر الاعتبار غير المادة الميتة ، تاركاً الدراسات الحياتية بعيداً عن مجال بحثه ، فهو في اعتقاد وايتهيد لا يمثل الا نصف الحقيقة . اما الحقيقة الاساسية فهي ان نبض الطبيعة والحياة معاً .

اما في حقل نظرية المعرفة فان وايتهيد يرى ان كل شيء ندركه موجود في الطبيعة سواء كان حسيّاً او شيئاً علمياً ، وبذلك يتحاشى وايتهيد الجدل العقيم ويقرب من النظريات الفيزيائية ومناهج البحث . فعندما يقوم عالم الطبيعة بدراسة سلوك المادة ، فانه لا يهتم بخبرة الاشخاص الذاتية ، بل تنصب دراسته على الطبيعة فقط ، فنحن نتفق جميعاً حينما نفكر في الطبيعة شريطة ان لا نخرج الى ما وراءها ، ولكننا نختلف حينما نفكر في الفكر لاختلاف خبراتنا ومعلوماتنا واسلوب تفكيرنا .

ان هذا التمييز بين ان نفكر في الطبيعة وان نفكر في الفكر له اهمية بالغة في حل كثير من المشكلات الفلسفية التي ادت الى ظهور مذاهب مثالية متطرفة . فكثيراً ما يفكر الفيلسوف المثالي في طبيعة الفكرة لكي يصل الى معرفة الطبيعة فيقع في مثالية بحتة . فادراكاتنا للطبيعة اذاً هي الحقائق الحسية ( باعتبار انها موجودة في الطبيعة خارج الذات ) الموجودة في المكان .

يستتبع وايتهيد من رفضه لنظرية الوضع البسيط وانشطار الطبيعة تقرير حقائق هامة هي دعامة فلسفته التطورية ، فالعلاقات الصحيحة بالنسبة لوايتهيد هي الحوادث التي لها صفة الامتداد بحيث تكون الحادثة الواحدة متضمنة لحوادث اخرى او ان الحادثة الواحدة لها اجزاء هي حوادث ايضاً .

يستعيز وايتهيد عن الادراك الحسي بالشعور الحسي لاعتقاده ان شعور الفرد بالطبيعة متأثّر او صادر عن شعوره بالحوادث التي فيها . فليس المكان

مطلقاً وليس وضعاً يتشكل بالاجسام المادية ، بل انه علاقة حوادث متبادلة تشترك في حادثة واحدة هي الطبيعة . والحقيقة العامة ( الطبيعة ) الحاضرة التي نعبر عنها بمفهوم التآني تعرف بالديمومة . فالديمومة حقيقة طبيعية تتألف من حوادث جزئية . ويقال للاشياء الطبيعية التي هي اجزاء الديمومة انها في تآني معها ، فالتآني اذاً علاقة طبيعية محدودة . اما الزمان فان وايتهيد في كتابه « مفهوم الطبيعة » يستبعد عن مفهوم برجسون في اعتبار الزمان ديمومة ، ويستعمل بذلك اصطلاحاً جديداً هو مسير الطبيعة *Passage of Nature* <sup>(1)</sup> . فليس في الطبيعة حقيقة غير الديمومة ، اما صفة التتابع الزمني والزمان القياسي فهي مشتقات من الديمومة . وليست الحوادث منفصلة الواحدة عن الاخرى كما في حالة الاجسام الطبيعية ، بل ان بينها علاقة ضرورية هي الامتداد ، بحيث ان الحادثة تمتد فتشمل حوادث اخرى هي اجزاء منها . فلو فرضنا ان ان ديمومة طبيعية في دقيقة معينة وديمومة اخرى في الثانية الثلاثين ، فان الديمومة الطبيعية الاولى تمتد فوق الديمومة الثانية باعتبار انها جزء من الديمومة الطبيعية الاولى وما استمرار الطبيعة الا نتيجة لهذا الامتداد . وبعبارة اخرى : ان استمرار الطبيعة ناتج من امتداد حادثة فوق اخرى ، وكل حادثة من هذه الحوادث تمتد فوق حوادث اخرى وهكذا . وبمعنى آخر ان كل حادثة هي جزء من حوادث اخرى ، وكل حادثة لها حوادث اخرى هي اجزاء منها ، فليس في الطبيعة حد اكبر للديمومات وحد اصغر ، ولا توجد حوادث ذرية لا تضم ديمومات اخرى . فاذا افترضنا وجود حادثتين ، فان العلاقة بينهما تكون على النحو الآتي : -

١ - اما ان تمتد احدى الديمومتين فتضم الاخرى ، بحيث تكون الديمومة الاخرى جزءاً منها .

(1) Whitehead, A.N., The Concept of Nature P. 54

ب - او ان تنطوي الديمومتان في ديمومة ثالثة دون ان تضم الواحدة الاخرى .

ح - او ان تكون كلتا الديمومتين في حالة انفصال تام .

فاذا امتدت الحادثة ( ا ) فوق الحادثة ( ب ) ، فان الحادثة ( ب ) ستكون جزءاً من الحادثة ( ا ) ، فتكون بين الحادثتين اربع علاقات هي :

١ - ربما تمتد ا فوق ب ٢ - ربما تمتد ب فوق ا ٣ - ربما تمتد

ا و ب فوق حادثة ثالثة ح ولكن دون ان تمتد الواحدة فوق الاخرى

٤ - ربما تكون ا ، ب منفصلتين تماماً<sup>(١)</sup> .

فالطبيعة بناء على ما تقدم حادثة او ديمومة لها اجزاء او ديمومات تمتد فوقها . ولكن اذا كانت الطبيعة ديمومة فهل هي موجودة في مكان او زمان ؟ ام ان الزمان موجود في الطبيعة ؟

تتوقف الاجابة على هذه الاسئلة على موقف وايتهيد من الميتافيزيقا ، فاذا فصلنا الزمان عن الطبيعة واعتبرناه سابقاً عليها ، فاننا تقع من دون شك في بحث ماوراء الطبيعة ، وهو موقف يخالف نظرية وايتهيد في اعتبار الطبيعة كلاً واحداً غير منشطر . اما اذا حولنا تفكيرنا عن الميتافيزيقا ( وهذا هو موقف وايتهيد ) وجب علينا ان نسلم بان كل الذي نلاحظه حوادث ، وما دامت الحوادث موجودة ، فان الزمان موجود ، واذا انعدمت الحوادث من الوجود انتهى الزمان ولم يعد له وجود . كما لا يمكن فهم الزمان في فلسفة وايتهيد من دون المكان ، ولا يفهم المكان من دون الزمان ، وكذلك لا يفهم الزمان - المكان من دون المادة او مادة تحل فيه . ففي كل حقيقة طبيعية يجب ان تكون جميع هذه العوامل متحدة<sup>(٢)</sup> . فالطبيعة اذاً عبارة عن شبكة متحدة

(1) Ibid., P. 75

(2) Metz, R., A Handred Years of British Philosophy P. 601

فيما بينها ، تتداخل اجزاؤها بعضها في بعض . والحوادث ليست زمانية فقط كما يفهمها برجسون ، بل على العكس انها ديمومة زمانية وامتداد مكاني في الوقت نفسه .

يتبين لنا بشكل واضح ان الحوادث والامتداد في فلسفة وايتهيد تؤلف الكل المترابط ، اذ يقوم الامتداد بربط الحوادث الطبيعية كما يربط السمات بين طابوق البناء . ولكن علاقة حادثة بأخرى لا تشبه علاقة طابوقة بطابوقة ثانية ، لان الحادثة الطبيعية تمتد فوق حوادث اخرى بطريقة تصبح فيها هذه الحوادث اجزاء منها .

فنظرية الامتداد اذاً لا تقل اهمية عن نظرية الحوادث ، فكلاهما ضروري لتفسير حركة الصيرورة في الطبيعة . وعلى هذا الاساس يكون الامتداد القاعدة الاساسية للامتدادين الزماني والمكاني . ويستخدم وايتهيد لبناء او تركيب الزمان والمكان والخط والنقطة .... الخ في فلسفة الطبيعة طريقة رياضية ومنطقية معقدة هي طريقة التجريد الامتدادي Extensive Abstraction <sup>(1)</sup> .

تتميز الحوادث بأنها ليست ثابتة وليست مستقرة ، بل هي في حركة مستمرة نحو الامام ، وهذه الحركة لا تؤثر على جوهرها . واذا قلنا انها متغيرة فنعني بذلك علاقتها بحوادث آتية مستقبلية . وتنصف فوق كل ذلك بأنها في حركة ثابتة او انها سيل مستديم لا ينقسم يتجه نحو الامام دون ان يتحرك في دائرة مغلقة . وهذا يفسر لنا التطور الطبيعي الخلاق في الطبيعة . ونتيجة لهذا المبدأ نكون قد وضعنا ايدينا على اول فكرة ميتافيزيقية في فلسفة وايتهيد ، وستكون لهذه الفكرة اهمية بالغة ولا سيما ان وايتهيد يتخذها اساساً ويبحثها بالتفصيل في كتابه « الصيرورة والحقيقة » .

ان تأكيد وايتهيد على اهمية الحوادث في الفلسفة الطبيعية يبين أثر النظرية

---

(1) Whitehead, A.N., The Concept of Nature P. 74

النسبية والكمية وما أثارته من أسئلة وما قدمته من حقائق جديدة عن الكون ، وقد لعبت « الحوادث » في العلم الفيزيائي الدور الرئيسي في فهم الطبيعة من جهة وفي القدرة على وصفها بالمعادلات الرياضية من جهة أخرى . وإذا كانت غاية العلم فهم الطبيعة وتفسير سلوك الأشياء فيها مبتعدين بذلك بالتجريد العلمي عن عالم الأشياء والاجسام التي ندركها حسياً ، فإن على الفلسفة مهمة ربط العالم الحسي بالعالم العلمي واعطاء صورة وجودية عن الكون بأجمعه . ولقد فعل وايتهد جهداً في ربط العالمين في اطار فلسفي منسق ، حلل فيه الحوادث والامتداد والأشياء ، واعطانا اضافة الى ما تقدم من تحليل للحوادث والامتداد ، صورة فلسفية لنظريته في الأشياء<sup>(1)</sup> وعلاقتها بالحوادث والمعرفة الانسانية . وإذا كان قد استخدم الحوادث على اساس أنها متطورة ومرتبطة بحوادث أخرى في الطبيعة ، فإنه اتخذ من نظرية الأشياء تفسيرها لحقيقة أخرى يختلف عن حقيقة الحوادث بأن الأشياء ثابتة لا تتغير ولا تتطور . ولكن ذلك لا يعني بتاتاً ان حقيقة الحوادث وحقيقة الأشياء تصور لنا عوالم مختلفة ، بل انهما يمثلان حقيقة واحدة ، بحيث لا يمكن الاستغناء عن إحدهما والتأكيد على الأخرى .

وللتمييز بين موضوع الإدراك او المعرفة للأشياء والحوادث ، فإن وايتهد يستعمل بدل الشعور الحسي الذي يخص الحوادث مفهوم التعرف Recognition ليخصص معرفة الأشياء . فالطبيعة استناداً الى نظريته العامة تحتوي على عاملين أحدهما ثابت والآخر متغير ، والأشياء تمثل العامل الثابت والحوادث تمثل العامل المتغير ، وبين الحوادث والأشياء علاقة ، بحيث لا يمكن القول ان الطبيعة عبارة عن مجموعة من الأشياء دون الإشارة الى الحوادث ، والعلاقة الضرورية بين الحوادث والأشياء هي ما يطلق عليها اسم المداخللة « Ingression » ، أي ان الصفة الأساسية للحادثة لا شيء غير

(1) Ibid., P. 143

الاشياء التي بدورها عناصر داخلية في الحوادث ، لا يطرأ عليها تغيير رغم مرور الزمن . ان هذا الوصف للطبيعة او العلاقة بين الحوادث والاشياء يقربنا قليلاً من نظرية ديكارت في الدوامات التي تعتبر حركة الكواكب شبيهة بحركة درديرية . فاذا وصلنا هذه الدوامات بالحادثة والكوكب بالشيء ، فاننا نكون قد وصلنا نظرية وايتهيد بنظرية ديكارت . فالاشياء موجودة في الحادثة او مداخلة فيها لا يطرأ عليها تغيير سواء كانت في زمان كذا او مكان كذا ، لان ذلك لا يغير في الاشياء شيئاً .

واذا كانت الاشياء في فلسفة وايتهيد ثابتة وعديمة التغير ، فان ذلك يدلنا دلالة واضحة بأن ليس بين شيئين علاقة امتداد ، فجوهر الاشياء لا يعتمد على علاقاتها مع بعضها البعض كما هو الامر بالنسبة للحوادث .

ويقترض وايتهيد علاقة اخرى بالنسبة للاشياء هي علاقة المحل او الوضع « Situation » ، فاذا افترضنا ان الكثرولاً ما يتحرك في انبوبة اختبار ، فاننا نعين هذا الالكترول مكانياً وزمانياً بقولنا انه في محل كذا وفي وقت كذا . ويستعين وايتهيد بعلاقات المداخلات والوضع لكي يميز اشكال الاشياء بالطريقة الآتية : -

- |                       |               |
|-----------------------|---------------|
| ١ - الاشياء الحسية    | Sense-Objects |
| ٢ - الاشياء الادراكية | Perceptual »  |
| ٣ - الاشياء العلمية   | Scientific »  |

ويقصد بالاشياء الحسية حقائق الحس مثل اللون والصوت والرائحة... الخ التي يرى فيها العوامل الاولى في العالم الخارجي والتي لا تشارك الطبيعة في تطورها وتقدمها . اما الاشياء الادراكية فهي الاجسام الطبيعية موضوع ادراكنا في الحياة اليومية مثل المنضدة والساعة والكتاب... الخ . وقد ميز وايتهيد في الاشياء نوعين هما : -

- ١ - الاشياء الادراكية التي نتخذها ، ويفسرها على اساس انها حالة سلبية في المداخلات مثال ذلك صورة الكتاب او القلم في المرآة .

ب - الأشياء الطبيعية وهي الأشياء التي اشرنا اليها قبل قليل ، باعتبارها مواضيع ادراك في الحياة اليومية .

اما الأشياء العلمية فإنها تختلف عن الأشياء الحسية والادراكية من حيث انها لا تخضع للادراك المباشر بنفس الطريقة التي تخضع لها الأشياء الحسية والادراكية ، بل اننا نستدل على وجودها مثل الجزيئات والنرات والالكترونات ... الخ .

وبصورة عامة تؤلف الأشياء الثلاثة الخصيصية الطبيعية للعالم ، فاذا كانت الأشياء الحسية والادراكية تؤلف موضوع العالم الخارجي بالنسبة للانسان الاعتيادي . فان الأشياء العلمية تؤلف هي موضوع العالم العلمي ، وهي على صلة وثيقة بالنظريات العلمية .

يشارك وايتهد استناداً الى فلسفته الطبيعية فلاسفة التغير والصيرورة في اعتبار الطبيعة والكون في تصير دائم لا ينقطع . واذا تتبعنا مصادر هذه الفكرة الاولى لوجدناها تمتد الى العهد اليوناني ، اذ اعتقد هرقليطس ان جوهر الحقيقة في الحركة والتغير وليس في الثبوت والاستقرار . وقد لخص فلسفته في عبارة بسيطة وعميقة حينما قال « ان الأشياء في تغير متصل »<sup>(١)</sup> ، فكل شيء يجري ولا شيء يستقر : ولا يستطيع احد ان يزل مرتين في النهر ذاته<sup>(٢)</sup> لان مياهاً جديدة تجري دائماً . ففكرة التطور والحركة في الكون لم تكن عند هرقليطس الا بداية لفلسفات جديدة ظهرت بشكل واضح في العصور الحديثة ، وبصورة خاصة في فلسفة برجسون<sup>(٣)</sup> والكسندر<sup>(٤)</sup> وايتهد . واذا

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٩ .

(2) Zeller, E. Outlines of the History of Greek Philosophy  
P. 61

(3) Bergson, H., Creative Evolution انظر كتابه

(4) Alexander, S., Space, Time and Deity انظر كتابه

تباينت فلسفات هؤلاء الفلاسفة ، فذلك لسبب يعود الى الاتجاه الفكري والعلمي الذي استند عليه كل واحد منهما .

وكانت النتائج الفكرية والعلمية في فلسفة وايتهد تشمل عدة جوانب منها حياتية ( بيولوجية ) وطبيعية ومنطقية وفلسفية . فالتطور البيولوجي وفهم العلماء للطبيعة على أسس جديدة ، وتطور المنطق الرياضي بطرقه في التعريف والاشتقاق عوامل ساعدت وايتهد في بناء فلسفته التطورية . ولكن اهم ما امتازت به هذه الفلسفة انها اعلنت ثورتها على المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة في القرن التاسع عشر متأثرة بذلك بالتطورات العلمية في القرن العشرين ، حيث تبدلت صورة الكون والحياة . فقد فهمت الفيزياء الكلاسيكية الكون على اساس مادي آلي ليس للحياة فيه من أثر . والمقصود بذلك ان فهم الطبيعة اقتصر على تحليل المادة سالباً منها عنصر الحياة والتطور ، في حين تعلن فلسفة وايتهد والفلسفات التطورية الاخرى حقيقة هامة هي ان الطبيعة في حركة وديمومة مستمرة . ونظرية وايتهد في الحوادث تهدتنا الى وصل الطبيعة بالضرورة والحياة ، لأن للحوادث خاصية الامتداد فوق حوادث اخرى تكون جزءاً منها . فالصورة الحقيقية للطبيعة هي ان تفهم ككل حيوي ، لأن كل حقيقة وجودية actual Entity ترتبط بحقائق وجودية اخرى في الطبيعة ، في حين حاولت الفيزياء الكلاسيكية فهم الطبيعة الى اساس التجريد ( على اعتبار ان الزمان والمكان مطلقان ) والاتصال ( على اعتبار انفصال حقيقة وجودية عن الحقائق الوجودية الاخرى ) .

واذا عقدنا مقارنة بين فلسفة وايتهد وفلسفة لينتز ، فاننا نجد انهما يقتربان من حقيقة فلسفية واحدة هي ان العالم ( او الطبيعة ) مؤلف من موناتات او ذرات روحية ( لينتز ) او حقائق وجودية ( وايتهد ) . فاعتبر الاول الذرات الروحية صورة مصغرة للعالم ، واعتبر الثاني الحقائق الوجودية جواهر مفتوحة . واذا اختلفت فلسفة وايتهد عن فلسفة لينتز ، فان جوهر الاختلاف بينهما هو ان الحقيقة الوجودية ليست مغلقة كما في الموناتات عديمة

النوافذ ، بل انها ذات نوافذ تصل بها بالحقائق الوجودية الاخرى ، وهذا الاتصال هو الجوهر الاساس الذي تقوم عليه نظرية وايتهيد التطورية ، لأنه يتضمن عنصراً ابداعياً في الطبيعة .

والعلاقات الداخلية بين الحقائق الوجودية تقوم بعملية الربط ، لذلك نجده يطلق عليها عبارة « المسك او القبض Prehension » ويعني بذلك قبض شيء واحد بشيء آخر ، فتصبح الطبيعة آخر الامر وحدة واحدة ، كل حقيقة وجودية فيها متصلة بحقائق وجودية اخرى .

اذا تتبعنا تطور افكار وفلسفة وايتهيد في مؤلفاته ، فانا سرعان ما نلمس ان دراساته الاولى في الفلسفة الطبيعية ما هي الا مقدمات لصياغة نظريته الميتافيزيقية العامة . فنجد ان اول بذرة ميتافيزيقية له وان كانت غير متطورة في كتابه « العلم والعلم الحديث » وطورها بشكل منظم بالغاً فيها النهاية في كتابه « الصيرورة والحقيقة » . وعلى الرغم من محاولات وايتهيد تعريف الاصطلاحات الواردة في الكتاب ، الا ان الكتاب في غاية الصعوبة وغامض العبارة .

وقبل ان نقوم بتحليل نظريته الميتافيزيقية يجدر بنا ان نبين مكانة فلسفته بين الفلسفات البارزة . فهو اذا رفض التفسير الميكانيكي للطبيعة على اساس ان الطبيعة ليست مجرد عجالات تدور حول نفسها لكي ترجع الى النقطة التي بدأت منها ، فلأنه يعتقد ان الطبيعة خلق وديمومة واستمرار — وفلسفته بهذا المعنى ليست فلسفة مادية بالمعنى الكلاسيكي ، بل انها تقترب في بعض مفاهيمها التصيرية من فلسفة هيغل ، لان صلة القرى بينهما مبنية على اعترافهما بأن الطبيعة عضوية Organic في حالتها العامة وفي اجزائها معاً . وبعبارة اخرى ان التركيب العام للطبيعة عضوي سواء كانت الطبيعة منظوراً اليها ككل او على شكل اجزاء ، فالالكرون والبروتون والدقائق النرية الاخرى في الحقيقة ذات تركيب عضوي .

ومما لا شك فيه ان تركيب الطبيعة العضوي يجعلنا على صلة بالتطور الخلاق في الطبيعة . ومفهوم الطبيعة العضوية يقضي بلاشك على جميع المفاهيم القديمة في المادة . فاذا افترضنا وجود الكتلون يتحرك ودخل في حادثة أ ، ثم في حادثة ب ، ثم في ج ، وهكذا... فان هذا الكتلون تبعاً للنظرية العضوية يكون قد سجل لنفسه تاريخ حياة كما يحصل تماماً للكائن الحي . وينظر وابتهد الى الدقائق الالكترونية نظرة جديدة حيث يتخذ منها اوليات يدعوها « Primates » ، فتصبح الذرة على هذا الاساس ذات تركيب عضوي معقد ، لانها تتألف من اوليات ضرورية عضوية ، وتصبح الجزئيات كذلك ذات تركيب عضوي عال جداً وهكذا ....

وعلى الرغم من ان نظرية وابتهد وفلسفته تعتمد على أسس تجريبية ، فإنها في الوقت ذاته تستهدف بناء ميتافيزيقا ، والميتافيزيقا في رأيه مجرد تركيب . وبعبارة اخرى : ان الفلسفة لا تقف عند الحقائق الجزئية التي يبحثها العلم ، وذلك لان كل جزء في الطبيعة لا يمكن ان يؤخذ كشيء مجرد او منفصل عن اجزاء الطبيعة الاخرى ، فدراسة العلم اذاً ما هي الا تجزئة للحقيقة العامة ، ومن واجب الفلسفة تركيب هذه الاجزاء بشكل يوصلنا الى معرفة الطبيعة ككل غير مجزء . والطبيعة في فلسفة وابتهد تتألف من حقائق وجودية يعرفها بأنها الحقائق النهائية<sup>(1)</sup> . واذا اعترفنا بهذه الحقيقة وجب التسليم ضمناً بأن من العيب ان نبحث عن حقائق وجودية اخرى اكثر واقعية منها ، فهي لا تنتهي ولا تضمحل ، ولكنها في تصوير مستمر بحيث ان كل حقيقة منها تقدم لنا عنصراً جديداً للعالم . والاضافة التي تقدمها هذه الحقائق للطبيعة هي المادة المباشرة لكل خلق وتقدم فيها . فكل شيء في صيرورة ابدية لا تنقطع ، فليس هناك ثوانٍ ودقائق زمنية ولا طبيعة في لحظة معينة ، بل كل ما هنالك صيرورة دائمية وعلاقات داخلية تربط الحقائق الوجودية او العوامل المؤلفة للطبيعة .

(1) Whitehead, A.N., An Ontology P. 589.

فجوهر الطبيعة اذن تقدم فعال او خلاق نحو الجدة والابداع<sup>(١)</sup> . وبمعنى آخر ، ان العالم او الطبيعة في تصير ، والتصير ما هو الا صيرورة الحقائق الوجودية التي يمكن تشبيهها بالمخلوقات الحية .

يظهر ان جوهر ميتافيزيقا وايتهيد يكمن في صيرورة الطبيعة وتأكيده على اهمية الحقائق الوجودية وعلاقات بعضها ببعض . ولكن أليس من الجدير ان يذكر وايتهيد الخصائص الجوهرية للحقائق الوجودية ؟

ان معظم النظريات الكونية القديمة تأخذ بنظر الاعتبار عناصر الخبرة التي يمكن عدّها على النحو الآتي : ١- الشعور ، ٢- الفكر ، ٣- الادراك الحسي ، اما وايتهيد فانه يرفض هذا التقسيم لاعتقاده ان الفلسفة التطورية تميز بين قطبين فقط هما : القطب العقلي والقطب الطبيعي . فليست الحقائق الوجودية مادية صلبة عديمة النوافذ ، بل ان بينها وبين الحقائق الوجودية الاخرى علاقات تقوم بربط هذه الحقائق بعضها ببعض . وفعالية المسك بين الحقائق الوجودية تزودنا بمعرفة وجود مبدأ عقلي او ذهني . وبهذا المبدأ ( المسك ) يقضي وايتهيد على المشكلة الفلسفية القديمة وهي : هل نفترض وجود عقل يوحد بين الحقائق الوجودية او تكون هذه الحقائق مادة له او ان كل حقيقة لها خبرة بطبيعتها ؟

ان جواب وايتهيد يقترّب من مذهب لينتز مع بعض التعديل ، فهو يعتقد ان لكل حقيقة وجودية قطبين ، عقلي او ذهني وقطب طبيعي او فيزيائي ، فتكون جميع الحقائق الوجودية محتوية على ادراك ، ولكن وايتهيد يعدل عن هذه الصفة ويستعيز عنها بالادراك اللاشعوري لاعتقاده ان الشعور او الادراك يمثل حقيقة تطورية عالية للقطب العقلي .

واخيراً لا بد لنا من مناقشة نظرية وايتهيد في الاشياء الابدية

(1) Harris, E. E., Nature, Mind and Modern Science P. 419

**Eternal Objects** لكي يصبح البحث جامعاً لمعظم البحوث وابتهيد المهمة .  
والنظرية تبدو غامضة لا نستطيع ان نقرر بالضبط ما يريد وابتهيد . لذا فان  
دراستنا لهذه النظرية ستكون معتمدة على الاجتهاد في الفهم . فمن المعروف  
لدى دارسي الفلسفة ان بعض الحقائق الابدية لا يتعدى ان يكون دلالة على وجود  
حقائق غير متغيرة يختلف بعضها عن بعض في مسألة مفارقتها او عدم مفارقتها  
للعالم او اتصالها بالعالم بشكل من الاشكال . لذلك يجدر بنا مناقشة هذه  
النظرية مستعينين بنظريات اخرى شبيهة . فبالنسبة لنظرية افلاطون ونظرية  
المعاني الكلية يكون امامنا طريقتان : —

١ — اما ان نعتبر نظرية وابتهيد قرينة الشبه بنظرية المثُل لافلاطون .

٢ — او ان نعتبر الحقائق الابدية شبيهة بالمعاني الكلية المجردة .

من المعروف ان افلاطون يميز بين عالَمين مختلفين ، عالم تسود فيه  
الضرورة والتغير والحركة ، وعالم تسود فيه الحقائق الثابتة بعيداً عن تأثير  
الزمان والمكان . اما نظرية وابتهيد فانها ذات شبه بنظرية افلاطون من حيث  
ابدية هذه الحقائق ، ولكنها تختلف عنها بأمرين : —

١ — ان مثُل افلاطون مفارقة وسامية فوق العالم المادي .

ب — ان الحقائق الوجودية عند وابتهيد حقائق نهائية لا يمكن ان تضمحل  
او تختفي في الاشياء الابدية .

اما اذا قلنا ان الاشياء الابدية هي المعاني الكلية المجردة ، فاننا سنكون  
على مقربة مما يعنيه وابتهيد في النظرية ، لانه يعتقد ان الاحمر (كصفة عامة)  
ثابت في كل زمان ومكان ، وهذا بالطبع تقرير يشبه ما نعرفه عن المعاني الكلية .  
فالاشياء الابدية ليست حقائق نهائية مفارقة كما في مثُل افلاطون ، بل انها على  
العكس تصبح واقعاً Concrete حينما تدخل في الحقائق الوجودية . فهي  
بذلك مصدر الجدة في التصيّر الخلاق . واذا كانت المعاني الكلية المجردة في  
العقل او في العقل الكلي ( كما جاء في مذهب افلوطين ) ، فان الاشياء الابدية

لا بد ان يكون لها حقيقة وجودية تنظم فيها لكي تكون جاهزة في جميع الاوقات لتدخل في تصيّر العالم الواقعي ، وهذه الحقيقة هي الله .

بقيت لدينا مسألة اخرى ترتبط بالضرورة لم نشر لها بعد وهي الغاية او الهدف الذي يسعى اليه التطور الطبيعي . فاذا رجعنا الى المذاهب الفلسفية القديمة ، فالتناجد مذهب ارسطو وقد جمع بين التصيّر والغاية ، بحيث يمكن القول ان مذهبه هو النموذج للزواج بين الصيرورة والغاية . وتقترب فلسفة وايتهيد من الفلسفة الغائية لارسطو مع اختلاف في مفهوم الغاية بالذات . ففي فلسفة ارسطو لا نجد في الغاية الا هدفاً تسعى اليه الطبيعة او الصيرورة الطبيعية على فرض ان الغاية ثابتة . اما بالنسبة لوايتهيد فان الغاية هي التي تعيّن الحقيقة الوجودية ، اي ان الغاية ضمنية في الشيء ، فهي الحاضر للحركة او التصيّر ، ويدعوها وايتهيد بالهدف الذاتي « Subjective aim » ، فالهدف الذاتي هو ما يجعل الحقيقة الوجودية هي بذاتها علاوة على ربط حقيقة وجودية بحقائق وجودية اخرى .

والخلاصة ان وايتهيد يسلم بوجود نظامين اساسيين في الطبيعة : —

١ — الحقائق الوجودية او الحقائق النهائية التي ليس بعدها حقائق اخرى .

٢ — الاشياء الابدية وهي التي تدخل في صيرورة الحقائق الوجودية .

تتصل الحقائق الوجودية فيما بينها بعلاقات مكونة وحدة واحدة

هي الطبيعة ، ويتم هذا الاتصال بمسك فعال لحقيقة وجودية بحقائق

وجودية اخرى . وهذا المسك والهدف الذاتي المتضمن في الحقيقة

يعملان كعوامل لتطور الطبيعة الخلاق .



القسم الثالث

التجريبية المنطقية  
جماعة فينا



## الفصل الأول

### نشأة جماعة فينا وتطورها

كان للبدايات الفلسفية الاولى في حقل التحليل المنطقي اكبر الاثر في تحديد الابعاد الجديدة لفلسفة القرن العشرين ، وبصورة خاصة تلك الفلسفة التي اهتمت بتحليل العبارات الفلسفية والعلمية ، فارتبطت بالعلوم ومناهجها ، محاولة تطوير منهج علمي جديد يأخذ بالفلسفة نحو الاتجاه العلمي القويم . وفي الوقت الذي نجد فيه فلاسفة الميتافيزيقا يناقشون مسائل ومفاهيم بوسائل فلسفية وتأملية بحتة ، نرى فلاسفة التحليل يبرهنون بوسائل منطقية ومبادئ تجريبية ان معظم قضايا الفلسفة وجميع القضايا الميتافيزيقية لا معنى لها ، وذلك على اساس انها لا تستطيع تزويدنا بتجبرات تجريبية يمكن التثبت منها ، كما انها ليست منطقية او رياضية . واهم حدث في الاتجاه الفلسفي الذي نحن بصددده هو الاستعانة بالمنطق الرياضي الجديد لتطوير مناهج علمية جديدة وبناء لغات ، فعدت الفلسفة عند رودلف كارناب مجرد منطق للعلوم<sup>(1)</sup> . ويمكننا النظر الى

---

(1) Carnap, R., The Logical Syntax of Language. Part V

الفلسفة التحليلية في معالجتها لنظرية المعرفة من زاويتين : —

الاولى : التي تتخذ من التحليل اللغوي اسلوباً ومن لغة الحياة اليومية مادة للبحث ، فتجد فلاسفة هذا الاتجاه يتخذون اللغة التي يتكلم بها الفرد في المجتمع واللغة التي يتحدث بها الفلاسفة لتحليلها ومعرفة معاني عباراتها بغية إيجاد حلول للمشكلات التي تعترضهم .

والثانية : التي تتخذ التحليل المنطقي منهجاً لها في معالجة اللغة العلمية ، ولكنها في الوقت نفسه تتوخى بناء لغة اصطناعية Artificial Language تكون عامة او نموذجاً للغة العلم<sup>(١)</sup> . ونجد في هذا الحقل كثيراً من المناطق والفلاسفة الذين يحاولون تركيب هذا النموذج اللغوي للعلم .

ان هذه الاتجاهات الفلسفية في التحليل مدينة بالشئ الكثير الى رائد المدرسة المنطقية والتحليلية جوتلوب فريجه الذي اتخذ من التحليل المنطقي منهجاً لمعرفة المقومات المنطقية في اللغة ولا سيما التي يمكن الاستفادة منها في المنطق ، فتؤلف مع غيرها من المقومات الاساس في بناء لغة رمزية<sup>(٢)</sup> ، تتجلى فيها المنطقية والاستدلالية . ان هذه الاتجاهات مدينة كذلك الى ما قدمه رسل في حقل التحليل اللغوي والمنطقي والرياضي ، فكانت دراساته ثمينة وعميقة أثرت في توجيه التيارات الفلسفية في التحليل . ولقد شارك فتنجشتاين في تقوية التيار التحليلي في الفلسفة مستعيناً بنظريات منطقية وفلسفية ، الا اننا نلاحظ ان فتنجشتاين في كتاباته الاخيرة وتقصد بها في « بحوث فلسفية » اهم باللغة ذاتها ، فلم يحاول بناء لغة منطقية ، بل حلل اللغة كما تظهر او كما تقوم بوظيفتها في الحياة اليومية ، وبذلك اصبحت الفلسفة مجرد تحليل للعبارات التي يتداولها الناس .

---

(١) قسم كارل بوبر فلاسفة نظرية المعرفة الى مجموعتين : الاولى تستهدف دراسة لغة العلم والثانية لا تهتم بدراسة لغة العلم وهي لا تتخذ طريقة محددة ، لانها تعالج مشكلات مختلفة تأخذ بأية طريقة لحل مشكلاتها الفلسفية

[Popper, K., The Logic of Scientific Discovery P. 20]

(٢) انظر « جوتلوب فريجه » في هذا البحث ( القسم الاول ) ص ٢٩-٢٣

أما فلسفة جماعة فينا ، فهي وإن أخذت الشيء الكثير عن رسل وفريجه وفيتجنشتاين<sup>(١)</sup> إلا أنها اتخذت طريقاً ومنهجاً جديداً ، فحاولت بتحليلها للغة أن تربط هذا التحليل بالعلوم كذلك ، العلوم الرياضية – المنطقية والعلوم التجريبية . وكانت غايتها توحيد العلم *Einheitswissenschaft* ، وذلك عن طريق بحث الأسس المنطقية والتجريبية التي تقوم عليها المعرفة العلمية . واندفعت التجريبية المنطقية إلى دراسة النظريات العلمية في الفيزياء والرياضيات والمنطق غايتها بناء لغة رمزية تكون نموذجاً علمياً . ففي حقل الرياضيات قام رودلف كارناب ببناء لغتين رمزيتين تتضمن الأولى بديهيات حساب القضايا والذاتية وعلم الحساب<sup>(٢)</sup> ، وتضمنت الثانية بديهيات أكثر في حساب القضايا والرياضيات وغيرها بحيث أصبحت اللغة الأولى جزءاً من اللغة الثانية<sup>(٣)</sup> ، أما في حقل العلوم التجريبية ، فقد اهتمت التجريبية المنطقية بالتحليل المنطقي للفيزياء ، وبعبارة أدق لغة الفيزياء *Physicalism* ، كما اهتمت بالطريقة التجريبية الاستقرائية والاحتمالية . وبذلك تكون جماعة فينا قد ضمت في برنامجها الفلسفي الطريقة الاستدلالية والاستقرائية . إن اسم التجريبية المنطقية يشير إلى تلاقي حقيقتين هامتين تعتمد عليهما فلسفة جماعة فينا : الحقيقة الأولى هي اهتمامها بالعلوم التجريبية أو الوضعية ، والحقيقة الثانية هي اهتمامها بالعلوم الرياضية والمنطقية ، ومن هذين الاتجاهين تكون المدرسة في أصولها معتمدة على التحليل المنطقي للرياضيات والفيزياء .

إن الاتجاه التجريبي الذي اعتمدته هذه المدرسة ليس جديداً في

(٢) لا يمكن القول بأن فلسفة جماعة فينا استمدت جميع أفكارها من فيتجنشتاين أو غيره ، لأننا نجد معظم أفكارها الأولى قد وردت في كتاب مؤسسها موريتز شليك « نظرية المعرفة العامة » ، ولكن كان للفلسفة التحليلية لرسل وفريجه وفيتجنشتاين الأثر المهم في تطوير نظريتها التجريبية والمنطقية .

(2) Carnap, A., *The Logical Syntax of Language* P. 30

(3) Ibid., P. 91-92

الفلسفة ، بل إننا نجده بوضوح عند فلاسفة التجربة أمثال لوك وبيركلي وهيوم ، كما نجده بشكل متميز عند ارنست ماخ E. Mach . ولكن الذي يميز تجريبية جماعة فينا : —

١ — إنها تستعين بتحليل اللغة وعلاقتها بالعالم الخارجي ، ولا تقصد باللغة هنا لغة الحياة اليومية فحسب ، بل اللغات العلمية أيضاً . وهذا أمر يجعل هذا الاتجاه التجريبي قريب الصلة بالعلوم التجريبية والنظريات العلمية ، وذلك عن طريق إيجاد صيغ مختلفة تربط عالم المعطيات الحسية بالنظريات العلمية وما تحتوي من مفاهيم تجريدية . وبذلك تحقق هذه التجريبية هدف الفلسفة والعلم في وحدة العلوم التجريبية .

٢ — إنها تستعين بالمنطق والرياضيات دون الأخذ بالرأي القائل ان أساس الرياضيات هو التجربة<sup>(١)</sup> ، بل انها على العكس ترى أن ليس للمنطق والرياضيات علاقة بالتجربة ، ولكن الطريقة الاشتقاقية التي يوفرها المنطق تستطيع ان تساعدنا في بناء المعرفة التجريبية على أسس متينة وواضحة ، وذلك عن طريق اختيار بعض المفاهيم الاساسية البسيطة وتعريف المفاهيم المعقدة بواسطتها حتى يتم بناء المعرفة العلمية ، شريطة ان لا يكون بين المفاهيم المشتقة ومفاهيم النظريات العلمية الحديثة تناقض ، بل بالعكس يجب اشتقاق النظريات العلمية من قاعدة تجريبية معينة .

وان جماعة فينا مدينة بالشيء الكثير لفلسفة فريجه — رسل المنطقية ، وكذلك لطريقة دافيد هابرت المسماة بالطريقة البديهية Axiomatic Method . وإذا حاولنا استقصاء بعض الحقائق المؤثرة في تكوين فلسفة جماعة فينا ، فمن الضروري ان نشير الى التقليد الفلسفي الذي كان سائداً في جامعة فينا

---

(١) كان جون ستيوارت مل في كتابه A System of Logic من المدافعين عن هذا الرأي .

(وهي الموطن الاول للتجريبية المنطقية وقد شهدت مولد هذا التيار الفلسفي المعاصر) ، حيث وجد منذ سنة ١٨٩٥ في الجامعة كرسى لتدريس فلسفة العلوم الاستقرائية ، وكان ماخ اول من تولاه وبقي فيه حتى سنة ١٩٠١ ثم خلفه بولتزمان من سنة ١٩٠٢ - ١٩٠٦ . وكان لهذا التقليد أثره المهم في تقريب الفلسفة الى الدراسات العلمية التجريبية ، خاصة وان الاساتذة الذين قاموا في الجامعة بتدريس فلسفة العلوم الاستقرائية كانوا من علماء الفيزياء الذين كانت غايتهم منصبة على بحث الأسس التجريبية للعلوم . ونجد في هذا التقليد الفلسفي ما يتفق والنزعة التجريبية وهو رفض الفلسفة الميتافيزيقية وكان على رأس هذا التيار الفلسفي كل من جومبرتز Th. Gomperz ويودل Jodl ، إلا أن ظهور موريتز شلك Moritz Schlick سنة ١٩٢٢ كأستاذ لفلسفة العلوم الاستقرائية يمثل نقطة تحول وتطور للتقليد الفلسفي في فيينا ، كما كان يمثل بداية لمولد الفلسفة التجريبية المنطقية . وكان شلك متخصصاً في علم الفيزياء وقد نال درجة الدكتوراه في الفيزياء تحت اشراف العالم الفيزيائي ماكس بلانك في جامعة برلين . ولم يكن شلك بعيداً أو غريباً عن الفلسفة ، فلقد ساهم في تقييم النظرية النسبية لآلبرت آينشتاين من ناحيتها الفلسفية ، وكانت له علاقات وطيدة مع عمالقة العلم في ذلك الوقت امثال ماكس بلانك وآلبرت آينشتاين ودافيد هيلبرت . كما ساهم فلسفياً مساهمة فعالة في كتابه المنشور سنة ١٩١٨ تحت عنوان « نظرية المعرفة العامة » Allgemeine Erkenntnislehre الذي وضع فيه شلك كثيراً من الآراء التي اصبحت اساساً لفلسفة جماعة فيينا فيما بعد .

بدأت الفلسفة التجريبية المنطقية تشق طريقها بعد ان اصبغ شلك استاذاً للفلسفة في جامعة فيينا ، فتجمع حوله عدد من الاساتذة المتخصصين والطلبة المتقدمين مكونين حلقة Kreis او جماعة . وقد ضمت الحلقة فلاسفة وعلماء رياضيات ، فمن الفلاسفة رودلف كارناب ومن علماء الاجتماع نيوراث O. Neurath وعالم التاريخ كرافت V. Kraft والمحامي

كاوفمان F. Kaufmann . كما وجد آخرون من علماء الرياضيات المهتمين بالمسائل الفلسفة أمثال هان H. Hahn ومينجر K. Menger وجودل K. Gödel وكان من الطلبة المتقدمين وايزمان Fr. Waismann الذي أصبح فيما بعد أحد ممثلي المدرسة البارزين وكذلك فايغل H. Feigl .

لم تكن هذه الحلقة مجرد مجموعة من اساتذة جامعيين تربطهم أواصر جامعية فقط ، بل كانت رابطة فكرية ذات أهداف فلسفية ، اخذت تتوضح مبادئها ونظريتها الى العالم شيئاً فشيئاً بعد مناقشات طويلة تناولت نظرية المعرفة والمنطق . وكان لاتصال جماعة فينا وبصورة خاصة شلك ووايزمان بفتجنشتاين اهمية بالغة في توضيح كثير من النقاط التي تبستها التجريبية المنطقية . وكانت المناقشات تدور حول بعض النقاط الغامضة في كتاب الرسالة لمعرفة وجهة نظر فتجنشتاين في القضايا الفلسفية والمنطقية ونظرية المعرفة بصورة عامة . وعلى الرغم من اهمية هذا اللقاء والمشاركة في المناقشة مع بعض افراد جماعة فينا ، إلا أن فتجنشتاين بقي خارج الحلقة ولم يكن عضواً فيها .

وكانت الخطوة التالية في تطور افكار هذه المدرسة الفلسفية الناشئة سريعة جداً ، فاتضحت افكارها ومواقفها ازاء كثير من المشكلات الفلسفية والعلمية ، وزاد في سرعة نضوج فلسفتها ما قدمه كارناب من ابحاث هامة في المنطق ونظرية المعرفة عندما دعي الى جامعة فينا سنة ١٩٢٦ . وكان لكتاب كارناب المنشور سنة ١٩٢٨ تحت عنوان « البناء المنطقي للعالم »<sup>(١)</sup> وكتاب شلك في المعرفة وكتاب الرسالة لفتجنشتاين اكبر الأثر في توطيد افكار المدرسة واتجاهها الفلسفي . وكانت سنة ١٩٢٩ هامة في حياة المدرسة ونقطة تحول في تاريخها ، حيث نشرت ميثاقها العلمي

---

(1) Carnap, R., Der logische Aufbau der Welt [1928]

المعروف «الفهم العلمي للعالم»<sup>(١)</sup> الذي قام بكتابته كل من كارناب ونيوراث وهان ، وتضمن اهداف جماعة فينا وبرنامجها العلمي في حقل المنطق والرياضيات والعلوم التجريبية. كانت الغايات الاساسية لجماعة فينا تلتخص في وضع أسس مضمونة للعلوم ، وبناء وحدتها ، والبرهان على ان جميع قضايا الفلسفة الميتافيزيقية لا معنى لها. وقد استخدمت الجماعة لهذا الغرض طريقة التحليل المنطقي لجميع المفاهيم والقضايا. وبذلك كانت جماعة فينا في فلسفتها أمينة على بقاء التقليد الفلسفي الذي بدأ به ارنست ماخ في بحث أسس العلوم ، وأمينة كذلك على الاتجاه الذي ظهر متمثلاً في رفض الميتافيزيقا. وعلى هذا الاساس يكون هدف التجريبية المنطقية ايجاد أسس سليمة للعلوم التجريبية وطرائقها شرط ان تكون خالية من آثار الميتافيزيقا ، ورفض جميع المبادئ والمفاهيم الميتافيزيقية في الفلسفة والعلوم الطبيعية.

إذا بحثنا في تاريخ الفلسفة عن فلسفات التزمت او اتخذت هذين المبدأين في نظرتها الى نظرية المعرفة العلمية ، فانا سرعان ما نجد كثيراً من الفلاسفة اعتمدوا هذه النظرة في فلسفاتهم ، واتخذوا مواقف ايجابية في رفض الميتافيزيقا وفهم المعرفة والعالم على أسس تجريبية. ان الفلسفة الحديثة مليئة بالافكار والاتجاهات التجريبية والتحليلية ، وسندكر على سبيل المثال بعض ما قدمه اعلام الفلسفة في هذا الحقل. فالطريقة التحليلية المنطقية ذات صلة وثيقة بفلسفة ليبنتز المنطقية ، وكانت الاساس المنهجي الذي اعتمده ليبنتز في بناء اللغة الرمزية العامة *Characteristica Universalis* التي أرادها ان تكون لغة عامة شبيهة بلغة علم الحساب ، ومنطقاً للفلسفة يستعين بها الفرد في حقل المشكلات الفلسفية<sup>(٢)</sup>. ويرى ليبنتز كذلك ان

(١) «Die wissenschaftliche Weltauffassung» Der Wiener Kreis

(٢) انظر بجي (نظرية جوتلوب قريجه المنطقية ص ١٩٨ - ١٩٩) المنشور في مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد سنة ١٩٦٦.

الفكر يعتمد على مبدئين اساسيين هما : مبدأ عدم التناقض ومبدأ السبب الكافي<sup>(١)</sup>. ويضيف كذلك نوعين من الحقائق هما : الحقائق العقلية *Vernunftwahrheiten* والحقائق الواقعية *Tatsachenwahrheiten* ، وتتميز الحقائق العقلية بكونها ضرورية وضدها غير ممكن ، بينما تكون الحقائق الواقعية احتمالية وضدها ممكن<sup>(٢)</sup>. وهذا يدل على ان ليبنتز قد ادرك الفرق بين قضايا المنطق والرياضيات من جهة وقضايا التجربة والخبرة من جهة اخرى ، لان قضايا المنطق والرياضيات يقينية بينما قضايا التجربة والخبرة احتمالية ، وشتان ما بين هذين النوعين . وبالطريقة نفسها يميز ليبنتز بين نوعين من القضايا : القضايا التركيبية *Synthetic Propositions* والقضايا التحليلية *Analytic Propositions* ، وتتميز الاولى بكونها تتألف من موضوع ومحمول<sup>(٣)</sup> ، وفي ذلك يكون ليبنتز قد اعتنق مذهب ارسطو المنطقي في تحليل القضية ، اما الثانية فان المحمول فيها متضمن في الموضوع<sup>(٣)</sup> ، وتتميز القضية التحليلية بكونها صادقة بالضرورة .

وتتفق تجريبية دافيد هيوم مع التجريبية المنطقية في رفضه للقضايا الميتافيزيقية ، وتأكيده ان قضايا العلم هي إما تحليلية مثل قضايا المنطق والرياضيات ، او تركيبية مثل قضايا العلم التجريبي . كما تعتبر طريقة كانت *I. Kant* النقدية وموقف كونت الوضعي في الخط الفكري للتجريبية المنطقية . واستفادت جماعة فيينا كذلك وبصورة مباشرة من التطورات العلمية التي حدثت في اوائل القرن العشرين ، فنظرية البرت آينشتاين قلبت المفاهيم العلمية المتعارف عليها في حقل الفيزياء الكلاسيكية مثل الكتلة والمكان والزمان والطاقة ، واثبتت ميتافيزيقية الاعتقاد بوجود زمان مطلق ومكان مطلق . كما كان لظهور نظرية الكم وتطورها اكبر الأثر في تغيير موقف

(1) Leibniz. Die Hauptwerke [Monadologie] P. 138 § 31

(2) Saw, R.L., Leibniz P.204

(3) Ibid., P. 206

بعض العلماء من الحتمية والسببية . ويظهر موقف جماعة فينا من المشكلات الفلسفية والمنطقية والرياضية والفيزيائية والاجتماعية بشكل واضح في ميثاقها العلمي الذي حاولت فيه الجماعة ان تبين صلتها بالفلسفات المختلفة وخاصة التقليد الفلسفي في فينا ، كما وردت قائمة باسماء الفلاسفة والعلماء الذين تعتبرهم الجماعة روّاداً في التجريبية امثال هيوم وكونت ومل وماخ ، وهيلمهولتز وريمان وبوانكاريه وبولتزمان وآينشتاين ، فانهم فلاسفة العلم ، وعلى الجانب المنطقي ظهرت اسماء لينتز وبيانو وفريجه ورسل ووايتهد وفتجشتاين . وذكرت اسماء علماء رياضيات امثال باش وبيانو وهلبرت ، اما في حقل الاجتماع فنجد اسماء ابيقورس وبثام ومل وكونت وماركس وغيرهم .

حاولت التجريبية المنطقية ان تستفيد من هذا الارث الفلسفي والعلمي في صياغة برنامجها الفلسفي العام الذي يمثل قاعدة انطلاقها والذي يمثل اتجاهها العلمي في معالجة مشكلات المعرفة والعلم . وعلى الرغم من وجود اختلافات بين اعضاء الجماعة وما اصابها من تشتت وملاحقة من قبل السلطات النازية بسبب وجود يهود فيها ، فان أهداف الميثاق بقيت واحدة ، كما بقيت أصول المدرسة واحدة في معالجة أسس المنطق والرياضيات ومنطق المعرفة التجريبية ، وبقيت المدرسة ايضاً محافظة على مبادئها في دحض الميتافيزيقا ، ومحاولة تخلص الفلسفة والعلوم من جميع القضايا الفارغة .

ولكن رغم وضوح هذا البرنامج إلا أن التجريبية المنطقية في رفضها للميتافيزيقا ومحاولتها بناء لغة واحدة للعلوم وجدت نفسها مرتجمة في احضان ميتافيزيقا من نوع جديد تنصل بالتحليل المنطقي كنهج وبناء . وان محاولة المدرسة في صياغة مبدأ الثبوت للفصل بين القضايا العلمية والميتافيزيقية لم تكن ناجحة تماماً ، وذلك لعدم وجود حدود فاصلة تماماً بين هذه القضايا ، خاصة اذا علمنا ان الفرضية باعتبارها قضية قد

لا يستطيع العلم بوسائله المتوفرة ان يثبت من صحتها او فسادها ، ولكنها في الوقت ذاته تستطيع ان تقدم فائدة كبيرة لتطور العلم ، ولا يمكن اعتبارها ميتافيزيقية .

ثم ان قضايا الميتافيزيقا البحتة لم يقصد منها منافسة القضايا العلمية او الارتفاع الى مستواها ، بل ان الميتافيزيقا سمحت لنفسها بحث موضوعات لا يستطيع العلم بوسائله الخوض في بحثها ، وهي موضوعات يتجلى فيها النظر العقلي والانفعالية والوجدانية والايمانية في كثير من الاحيان ، وهذه امور لا تدخل في نطاق ما تقررره القضايا العلمية ، ولكن تأثير القضايا الميتافيزيقية في السلوك الانساني والنظر الى الاشياء وكيفية الحكم عليها لا يمكن نكرانه ، وهي بالتالي لا تختلف في تأثيرها على الانسان عن قضايا العلم ان لم تكن اكثر تأثيراً منها .

اتخذت جماعة فيينا في رفضها للميتافيزيقا التقليدية من التحليل المنطقي للالفاظ والعبارات اسماً ، فاعتبرت القضايا الميتافيزيقية فارغة لا معنى لها ، لانها تتحدث عن لا شيء . وكانت المدرسة في بداية تكوينها سائرة على الطريقة التحليلية لفتجنشتاين الذي رفض الفلسفة الميتافيزيقية ، لأن مسائلها وقضاياها ومشكلاتها ليست الا حصيلة اخطاء في اللغة وعدم معرفة لقواعد الستاكس اللغوي والمنطقي .

لقد نشطت جماعة فيينا منذ نشأتها في مجالات الفلسفة العلمية وحصرت اهتمامها بصورة رئيسية في تلك القرووع التي لها صلة بالعلم ، فكانت نظرية المعرفة وجوهر العلم موضوع البحث والاساس الذي بدأت به المدرسة في تكوين نظرتها الى العالم . وكانت ابحاثها في هذا المجال ذات نفع كبير في تحويل الفلسفة عن طريقها التقليدي الى طريق يخدم المعرفة العلمية والعلم ، ويجعل للفلسفة دورها النافع في تطوير المعرفة الانسانية . وعندما شعر اعضاء جماعة فيينا بأنهم في ابحاثهم ونظرتهم يؤلفون جماعة

فلسفية لها طريقها ومنهجها الخاص، ولأجل ان تكون فلسفتهم معروفة في الأوساط العالمية، قامت المدرسة باتصالات كثيرة اسفرت عن لقاءات علمية هامة. وكانت جماعة من الفلاسفة والعلماء تعرف باسم جماعة برلين Berliner Gruppe قد اسست جمعية للفلسفة التجريبية تضم رايخباخ H. Reichenbach وهيرتزبرك A. Herzberg ودوبسلاف W. Dubislav، غايتها تطوير فلسفة علمية عن طريق ايجاد طريقة فلسفية لتحليل ونقد نتائج العلوم وبحث المفاهيم الأساسية والنظريات والطرق الخاصة بكل علم. فاتصلت جماعة فينا بجماعة برلين، وكان حصيلة الاتصالات العمل المشترك بين الجماعتين في مؤتمر فلسفي خصص للبحث في نظرية المعرفة في حقول العلوم المضبوطة<sup>(١)</sup>، وذلك في سنة ١٩٣٠.

وبدأت اتصالات بشكل واسع مع اساتذة من خارج الحدود، وقد اثمرت هذه الاتصالات بالفعل للدعوة الى مؤتمر فلسفي عالمي. وبدأت الاعدادات لهذا المؤتمر الفلسفي. فدعت جماعة فينا الى مؤتمر تحضيري في براغ ليكون الخطوة الاولى لعقد المؤتمر في باريس. وفي ايلول سنة ١٩٣٥ عقد المؤتمر في باريس وفي صالات السوربون وقد شارك فيه عدد كبير من الاساتذة المعروفين في العالم، ثم توالى المؤتمرات الفلسفية بعد ذلك، ففي سنة ١٩٣٦ عقد المؤتمر الثاني في شهر تموز وكانت مهمته الرئيسة البحث في «وحدة العلم»<sup>(٢)</sup>، وكان مكان المؤتمر هذه المرة في كوبنهاجن، حيث ناقش المؤتمر السببية في الفيزياء الكمية والبيولوجيا. وفي تموز من سنة ١٩٣٧ عقد المؤتمر الثالث لوحدة العلوم في باريس. وفي تموز من سنة ١٩٣٨ عقد المؤتمر الرابع لوحدة العلوم في كمبردج. وفي ايلول من سنة ١٩٣٩ عقد المؤتمر الاخير في كمبردج بامريكا.

(1) Erkenntnislehre der exakten Wissenschaften

(2) Einheit der Wissenschaft

وكان هذا المؤتمر خاتمة اعمال جماعة فينا في النمسا والمانيا ، لانها تشتت بعد ذلك في أنحاء العالم ولم تعد كما كانت . ولكن افكارها ما زالت حية يمثلها بعض الاعضاء الاحياء من جماعة فينا وانصارها وبعض الاساتذة الذين وجدوا في المدرسة طريقاً جديدة لاتخاذ الفلسفة من مغالطاتها الميتافيزيقية . وفي الحقيقة ان فلسفة القرن العشرين مدينة بالشيء الكثير للإنجازات التي تركتها هذه الجماعة الفلسفية ، بحيث يصعب على اي متخصص في الفلسفة فهم الفكر الفلسفي المعاصر وتياراته دون ان يجد نفسه مضطراً لذكر هذه المدرسة وإنجازاتها ، ولم تقتصر فعاليات جماعة فينا الفلسفية على المؤتمرات فقط ، بل عملت على تعريف منهجها ونظرياتها الفلسفية والعلمية الى الرأي العام الفلسفي عن طريق الكتب التي قام الاعضاء بنشرها ، او المقالات التي اظهرت معالجاتها للمشكلات الفلسفية ، وكانت للجماعة مجلة فلسفية تنطق بافكارهم وتنشر ابحاثهم . ولقد ساهمت الجماعة في نشر بحوث قصيرة في « منشورات جماعة ارنست ماخ »<sup>(١)</sup> ، كما قامت الجماعة بالاشتراك مع جماعة برلين باخراج مجلة فلسفية باسم « اخبار الفلسفة »<sup>(٢)</sup> ، وكان كل من كارناب وراينخباخ مسؤولين عنها . ثم عُرفت هذه المجلة باسم « المعرفة Erkenntnis » التي تأسست سنة ١٩٣٠ واصبحت منبراً حاولت جماعة فينا بواسطتها نشر ابحاثها في العالم . وظهرت ابحاث جماعة فينا الفلسفية سنة ١٩٣٤ في سلسلة المنشورات في وحدة العلم *Einheitswissenschaft* . ولكن ابحاث هذه المدرسة في هذه المجلات توقفت بعد اندلاع الحرب : للملاحقة السلطات النازية لأعضاء الجماعة ومراقبتها لنشاطاتها .

وكان لسفر بعض الاعضاء الأثر الكبير في توسيع نشاطها وتعريف

(1) Veröffentlichungen des Vereins Ernst Mach

(2) Annalen der Philosophie

افكارها لاساتذة الجامعات المختلفة ، ففي عام ١٩٢٩ ذهب شلك الى الولايات المتحدة الأمريكية كأستاذ زائر، وفي سنة ١٩٣١ ذهب كارناب الى جامعة براغ واتصل هناك باستاذ الفيزياء فيليب فرانك Philipp Frank ، فأسس فرعاً لجماعة فينا في براغ . وانضم الى جماعة فينا اساتذة من دول اخرى منهم الاستاذ يورجنسن J. Jørgensen وجارلس موريس Ch. Morris وسوزان ستيبنك S. Stebbing وغيرهم . وفي سنة ١٩٣١ ذهب فايجل كاستاذ في جامعة ايوا Iowa في الولايات المتحدة الامريكية . وفقدت جماعة فينا عضواً بارزاً فيها هو هانس هان الذي توفي في سنة ١٩٣٤ ، وكانت له معرفة دقيقة في فلسفة الرياضيات واصولها ، كما كانت له دراية كاملة بكتاب رسل ووايتهد « اصول الرياضيات » . وذهب كارناب في سنة ١٩٣٦ الى هارفرد في امريكا ثم الى جامعة شيكاغو . وفي السنة نفسها كانت الفاجعة التي هزت جماعة فينا واثرت فيها تأثيراً كبيراً ، اذ قُتل مؤسسها وباعث حركتها موريتز شلك من قبل طالب مصاب بمرض عقلي بسبب رفض شلك لاطروحاته التي قدمها في علم الاخلاق . وتوالى هجرة جميع اعضاء الجماعة تقريباً ، فذهب نيوراث الى هولندا ، وذهب وايزمان الى كمبردج بانكلترا ثم الى جامعة اوكسفورد . وهكذا تفرقت الجماعة في انحاء مختلفة وفي جامعات اجنبية ، فمنهم من لا يزال على قيد الحياة يضطلع بالتدريس في الجامعات ويقوم بنشر مؤلفاته محتفظاً بالخط الفلسفي الذي التزم به جماعة فينا في ميثاقها ، نذكر منهم بصورة خاصة رودلف كارناب الذي يعتبر من انشط الاعضاء في النشر وفي تطوير الخطة الفلسفية للتجريبية المنطقية . كما كسبت التجريبية المنطقية باعتبارها اتجاهاً فلسفياً وعلمياً الكثير من العلماء والفلاسفة في جميع انحاء العالم ولا يزال لها الكثير من المدافعين عنها والكثير من المريدين ، ولا تزال افكارها حية متنامية رغم التيارات المعارضة لها باستمرار .

ومن الجدير ان نذكر هنا ان التجريبية المنطقية في مسيرتها الفكرية

قد تطورت وتشعبت عنها مدارس فرعية اتخذت الاسلوب الفردي على يد مفكرين وفلاسفة ، كما أنها ما زالت تواجه انتقادات كثيرة من معارضيها التقليديين الذين يرون في الفلسفة متعة عقلية كما يرى الاديب في الشعر والادب متعة عاطفية . وتواجه ايضاً انتقادات اخرى من جانب بعض الفلاسفة الذين يشاركونها في جزء من افكارها . وهذه الانتقادات ليست وليدة اليوم ، بل ترجع الى زمن بعيد صاحبت المدرسة منذ نشأتها ، وخلال طريقها في بناء نظريتها الفلسفية . فمن الاشخاص الاعلام الذين يشاركون جماعة فينا في كثير من آرائها كارل بوبر الذي يعتبر كتابه « منطق البحث العلمي »<sup>(١)</sup> انجازاً علمياً رائعاً في طريق التجريبية المنطقية ، لأنه يعالج تلك الموضوعات التي كرس لها المدرسة حياتها . ولكن بوبر لا يتفق مع التجريبية المنطقية في كثير من آرائها . ففي مقدمة كتابه التي كتبها سنة ١٩٥٨ عند ترجمته الى الانكليزية<sup>(٢)</sup> وضع كثيراً من نقاط النقد للتجريبية المنطقية وغيرها من الاتجاهات الفلسفية اللغوية التي رفضت جميع الطرق الفلسفية واقتصرت على التحليل اللغوي والمنطقي .

ان اكبر الاعتراضات واشدها على التجريبية المنطقية قول الكثيرين انها وضعت أمامها مهمة اساسية هي محاربة الميتافيزيقا والانظمة الميتافيزيقية المختلفة ، فهي ليست إلا مدرسة هدأمة في تاريخ الفلسفة ، لأن الميتافيزيقا في اعتقاد هؤلاء المعارضين هي الفلسفة وان القضاء على الميتافيزيقا معناه القضاء على الفلسفة . كما ان الذين اسسوا هذا الاتجاه الفلسفي لم يحاولوا تطوير الفلسفة والسير بها في طريقها التقليدي ، بل قاموا عوضاً عن ذلك بتحليل القضايا الفلسفية بطريقة التحليل المنطقي لاثبات ان الميتافيزيقا خرافة لا بد من تخلص الفكر الانساني منها .

---

(1) Popper, K., Logik der Forschung (1935)

(2) The Logic of Scientific Discovery

ان مسألة رفض الميتافيزيقا وكل الفلسفة التقليدية تحتاج الى شيء من التوضيح ، لاننا نجانب الحق اذا اعتقدنا ان جماعة فينا متفقة تماماً في هذه المسألة . فجماعة فينا ترى ان الميتافيزيقا لا يمكن ان تؤسس على قواعد علمية ، وان كل قضية ميتافيزيقية خالية من المعنى ، لأن المعنى في اعتقادها هو المعنى المنطقي او التجريبي ، فهي بذلك ترفض القول ان بالامكان تكوين ميتافيزيقا اساسها العلم . ولا بد ان نذكر هنا ان اعضاء الجماعة لم يكونوا متفقين حول مسألة الميتافيزيقا . ويورد كرافت نصاً لموريتز شلك في كتابه عن وجهة نظر شلك في الاتجاه المعادي للميتافيزيقا فيقول « ان ليس للفلاسفة المعادين للميتافيزيقا الحق في مهاجمة الفلسفة التقليدية ، خاصة في رأيهم ان الفلسفة مجرد مجموعة من مشكلات وهمية . انا افكر على العكس بان نكون بحق فخورين بان افكارنا ما هي الا نتيجة للتطور التاريخي الطويل للفكر البشري »<sup>(1)</sup> .

كما ان ليس كل الفلسفة التقليدية ميتافيزيقا ، فهناك الفروع الاخرى المهمة من منطق ونظرية معرفة وعلم الاخلاق وعلم الجمال .

ان اهتمام التجريبية المنطقية بالدراسات المنطقية ونظرية المعرفة يجعل المرء يقتنع بان المدرسة في اتجاهها الفلسفي تبغي هدفاً عظيماً هو جعل الفلسفة علمية لها مكانتها بين العلوم الاخرى ، وان رفضها للقضايا الميتافيزيقية ليس الا ضرورة يقتضيها برنامج تطوير الفلسفة وجعلها علمية ، ولا يعني ذلك عداءاً للفلسفة بالذات . ومن الضروري ان نلاحظ هنا انه لم يكن بين اعضاء جماعة فينا الانسجام الفكري التام ، بل كانوا يختلفون حول التفاصيل ، ونجد تياراً داخل الجماعة يزعّمه نيوراث وينظم اليه في بعض الاحيان كارناب وهان وشلك . ولم تكن الآراء جميعها متفقة حول اساس نظرية المعرفة والمنطق بصورة خاصة ، تلك الآراء التي اخذتها

---

(1) Kraft, V., Der Wiener Kreis P. 9-10

الجماعة عن فتجنشتاين . ولكن من دون شك ان الذي يجمع هذه المدرسة الفلسفية في وحدة فلسفية هي المبادئ التي يمكن صياغتها بالشكل العام الآتي : -

- ١ - محاولة جعل الفلسفة علمية<sup>(١)</sup> ، والعمل على وحدة العلم .
- ٢ - بناء المعرفة على أسس تجريبية ومنطقية ، فالرياضيات البحتة منطقية ، والعلوم الطبيعية والتجريبية اساسها التجربة والحبرة .
- ٣ - رفض جميع التأملات الفلسفية التي يتقصها التحليل والدقة والوضوح ، وبذلك لا نجد الميتافيزيقا التقليدية مكاناً لها في المعرفة العلمية

ولم تقف جهود جماعة فيينا عند حدود التعريف بنظرتها ، بل حاولت ان تحقق المبادئ العامة وتبرهن بالدقة المنطقية والالتزام التجريبي ان المعرفة العلمية لا تكون الا في الحدود المنطقية والتجريبية . وكانت محاولات نيوراث الحدية بعد انحلال الجماعة وتوقف نشاطها ومنشوراتها في اعادة الحياة الى التجريبية المنطقية فتحول اسم المجلة « المعرفة » الى مجلة « وحدة العلم » التي كان مركز نشاطها الهاج The Hague . وانتقل هذا النشاط الى امريكا في الموسوعة العالمية لوحدة العلم<sup>(٢)</sup> ، وساهم فيها عدد من الاساتذة الاعلام في امريكا . وكان رئيس تحريرها نيوراث يساعد كارتنايب وموريس . وقد نشرت هذه المجلة ابحاثاً كثيرة منها لموريس<sup>(٣)</sup> وكارتنايب<sup>(٤)</sup> وليزن<sup>(٥)</sup> F. Lenzen وناجل<sup>(٦)</sup> E. Nagel ويورجنسن<sup>(٧)</sup> وغيرهم .

- 
- (1) Wissenschaftlichkeit der Philosophie
  - (2) International Encyclopedia of Unified Science
  - (3) Morris, Ch. W., Foundations of the Theory of Signs
  - (4) Carnap, R., Foundations of Logic and Mathematics
  - (5) Lenzen, F., Procedures of Empirical Science
  - (6) Nagel, E., Principles of the Theory of Probability
  - (7) Jørgensen, J., The Development of Logical Empiricism

وهكذا انتقل نشاط التجريبية المنطقية من فيينا الى الولايات المتحدة الامريكية ، ولم يبق في فيينا الا فكتور كرافت V. Kraft مثلاً لها . ولكن الجماعة لم تعد موجودة هناك ولم يعد الاتجاه الفلسفي التي وضعت خطوطه مكاناً واسعاً في المانيا ، اللهم الا في مجال الدراسات المنطقية في جامعة جوتنجن Göttingen وجامعة مونستر Münster ، حيث كان الاستاذ شولستر H. Scholtz رئيساً لقسم المنطق الرياضي فيها واستاذاً لعدد من المناطق امثال هيرمس H. Hermes الذي ترأس قسم المنطق الرياضي بعد شولتز . ولكننا لا نستطيع القول ان مدرسة مونستر المنطقية تسير تبعاً لميثاق جماعة فيينا ، أو انها متأثرة بها . اما في فرنسا فيمثل الاتجاه الفلسفي للتجريبية المنطقية روجيه Rougier وفي زوريخ نجد دور Dürr يختص بدراسات منطقية ، وفي انكلترا آير A. J. Ayer ورايل G. Rylo . وامتدت هذه المدرسة في تأثيرها فوجدت لها مریدين في جميع انحاء العالم حتى غدت عالمية الطابع والمنهاج ، وقد طرأ الكثير من التغيرات على افكارها فساعد ذلك على تطويرها واتساع نظرتها مع الالتزام بالاهداف التي تأسست من اجلها جماعة فيينا .



## الفصل الثاني

### الميتافيزيقا ومبدأ التثبت

ان من اهداف الميثاق العلمي لجماعة فينا تخلص الفلسفة والعلوم من الميتافيزيقا والقضايا الفارغة وتكوين قاعدة علمية عامة لجميع العلوم ، بحيث تكون او تصلح لان تكون اساساً لوحدة العلم . ولتحقيق هذا الهدف نجد جماعة فينا نفسها تستخدم طريقة جديدة في تحليل القضايا من الناحيتين الشكلية والدلالية بتطبيق طريقة التحليل المنطقي للغة ، فهي لا تكتفي برفض الميتافيزيقا ، بل تبرهن بوسائل منطقية وتجريبية ان قضايا الميتافيزيقا لا معنى لها . وتقوم جماعة فينا من جهة اخرى بتوضيح مفاهيم العلوم المختلفة وتحديد معانيها بدقة ، وهي بذلك تضع طريقة علمية للفلسفة بعد ان امكنها المغالطات والمتناقضات فاصبحت غير قادرة على ان تكون ذات نفع للعلم والعلماء . ولا تقصد بالفلسفة هنا جميع الحقول التي تحتويها ، بل ذلك الجانب الذي سيطر على الدراسات الفلسفية وهو الميتافيزيقا . ان ما قدمته الفلسفة في حقل المعرفة قليل جداً اذا ما قورن بالدراسات العلمية التي اتخذت لنفسها طريقة تجريبية معينة وصولاً الى النتائج . فاذا اردنا

للفلسفة ان تسير بالطريق العلمي ، فماذا يجب ان تكون عليه ؟ هل تتخذ الطريقة التجريبية في دراسة مواضيعها ام عليها ان تقوم بدور اكبر تشترك في العلوم بطريقة جديدة ؟

ان الطرق العلمية المعروفة حتى الآن هي الطريقة التجريبية والطريقة الرياضية ولا توجد طريقة اخرى معترف بها في العلم غير هاتين الطريقتين ، اذ لا يمكن اعتبار الطريقة التأملية او الحدسية او الصوفية طرقاً للعلم . ان الفروع التي كانت قبل مدة طويلة جزءاً من الفلسفة مثل علم النفس وعلم الاجتماع وغيرها اصبحت الآن علوماً منفصلة بفضل استخدامها الطريقة التجريبية وابتعادها عن التأمل في رسم ابعاد وصور خيالية . واذا حاول علم الاخلاق مثلاً الاستعانة بهذه الطريقة ، فانه سينفصل عن الفلسفة ، وهذا امر متوقع يؤيده التطور التاريخي للعلوم . فماذا يبقى في الفلسفة بعد ذلك ، خاصة بعد ان اتخذ المنطق طريقة علمية دقيقة فاقرب من الرياضيات واصبح اخيراً نظرية فيها اساساً مهماً لها . ان فلاسفة التحليل والتجريبيين المنطقيين ادركوا ان لا بد للفلسفة من طريقة ، وان هذه الطريقة هي الفعالية الوحيدة للفلسفة ، فكان السلاح الجديد مستمداً اصوله من نظرية المعرفة والمنطق ، واصبحت الفلسفة مجرد طريقة لا يحق لها تكوين قضايا تجريبية ، لان ذلك من اختصاص العلوم ، كما لا يقع ضمن مجالها تكوين قضايا رياضية ، لان ذلك من اختصاص علماء الرياضيات . وهكذا تحولت الفلسفة الى مجرد طريقة منطقية تحليلية من دون ان تزج نفسها في مجالات بحث العلوم ، وفي الحصول على نتائج علمية في المعرفة العلمية ، وان جميع الوسائل حول الوقائع لا يمكن تقريرها الا بطرق العلم التجريبية ، وان القضايا العلمية الاخرى في المنطق والرياضيات لا تخضع للتجربة ، وان طريقة البرهان هي الوسيلة لتقرير ان القضية كذا وكذا مشتقة من النظام او غير مشتقة منه . كما ان فعالية التحليل المنطقي هي الطريقة التي تتخذها الفلسفة التجريبية المنطقية لتحقيق هدفها

في رفض الميتافيزيقا وبناء قاعدة علمية عامة للعلوم . وامتازت التجريبية المنطقية في رفضها للميتافيزيقا عن غيرها من المدارس والمذاهب الفلسفية التجريبية والمادية القديمة أنها اعتمدت على التحليل المنطقي للقضايا من ناحيتي التركيب والمعنى ، فاستعانت بالمنطق الجديد لتحقيق هذا الغرض . ولا نقصد بالمنطق هنا الجانب الشكلي الذي لا علاقة له بالتجربة ، بل المنطق التطبيقي او نظرية المعرفة التي تهدف الى توضيح المحتوى للقضايا العلمية عن طريق التحليل المنطقي . وهذا عمل يؤدي الى نتائج ايجابية وسلبية تتجلى في توضيح المفاهيم والفروع المختلفة للعلوم التجريبية وفي بيان ان جميع القضايا الميتافيزيقية لا معنى لها مطلقاً<sup>(١)</sup> .

ان فهم التجريبية المنطقية وتحليلها لطبيعة القضايا العلمية والفلسفية بمساعدة المنطق جعلها تتخذ موقفاً جديداً من المعرفة العلمية بصورة عامة ، ففي تاريخ الفلسفة نجد الصراع على اشده بين فلاسفة المذهب العقلي وفلاسفة المذهب التجريبي ، فاتخذ لينتز من الرياضيات اساساً للمعرفة اليقينية ، واعتبر القضايا التجريبية ليست بتلك الدرجة من اليقين التي تتمتع بها الرياضيات ، وهكذا تصبح الرياضيات (من لينتز حتى كانت) مثال المعرفة اليقينية . ونجد لوك وحتى جون ستوارت مل من فلاسفة التجربة لا ينظرون إلى الرياضيات نظرهم الى المعرفة التجريبية ، فنجد محاولات مل تستهدف فهم القضايا الرياضية على اساس تجريبي . اما موقف التجريبية المنطقية فواضح ، انها في الوقت الذي تؤكد فيه اهمية الرياضيات والمنطق والمعرفة التجريبية لا تفرط بالمعرفة التجريبية او بالمعرفة الرياضية ، وذلك لادراكها الواضح اختلاف طبيعة القضايا الرياضية عن القضايا التجريبية ، وهكذا يصبح التحليل المنطقي للمعرفة العلمية تحليلاً لمفاهيم وقضايا

---

(1) Ed. Ayer, A. J., Logical Positivism P. 60-61

يحتوي الكتاب على مقالات عديدة لاعضاء جماعة فينا وقد ترجمت الى اللغة الانكليزية

المنطق والرياضيات والعلوم التجريبية . اما الميتافيزيقا فان التحليل المنطقي يُثبت كونها ليست برهانية استدلالية وليست تجريبية ، وهذا معناه ان قضايا الميتافيزيقا ليست ذات أسس منطقية وليست ذات اساس تجريبي . وتحليل الفلسفة التجريبية المنطقية للميتافيزيقا يبين ان قضايا الفلسفة الميتافيزيقية فارغة وزائفة وانها ناتجة عن اخطاء في الستاكس<sup>(١)</sup> .

يرى كارناب في مقالة له تحت عنوان « استبعاد الميتافيزيقا من خلال التحليل المنطقي للغة »<sup>(٢)</sup> ان قضايا الميتافيزيقا مضللة او زائفة « Pseudo » وانها على نوعين :

- ١ - قضايا تحتوي على لفظة يُعتقد خطأً ان لها معنى .
  - ٢ - قضايا تحتوي على ألفاظ لها معنى ، ولكنها وضعت مع بعضها بطريقة لا تتخالف قواعد اللغة ، ورغم ذلك ليس لها معنى كقضايا .
- ان مفاهيم الميتافيزيقا في رأي كارناب لا معنى لها<sup>(٣)</sup> ، وذلك لعدم وجود معيار تجريبي لها . وان القضايا الميتافيزيقية فارغة على الرغم من احتوائها على الفاظ ذات دلالات ، لان طريقة تكوينها من الوجهة المنطقية خاطئة ، وان اصلاح الخطأ يؤدي الى تحويلها قضايا غير ميتافيزيقية ، ويورد كارناب نصاً للفيلسوف الالماني المعاصر مارتن هايدجر M. Heidegger من كتابه « ما هي الميتافيزيقا »<sup>(٤)</sup> حول الوجود والعدم ، وفهم هايدجر للنفي والعدم وان العدم يعدم ، ليثبت ان فلاسفة الميتافيزيقا يرتبون كلمات في قضايا صحيحة من الوجهة اللغوية ، ولكن ليس لهذه القضايا معانٍ تجريبية . وان تطبيق التحليل المنطقي عليها يبين اخطاء هؤلاء الفلاسفة في

(1) Russell, B., Logic and knowledge P. 370

(2) The Elimination of Metaphysics through Logical Analysis

(3) Ed. Ayer, A.J., Logical Positivism P. 65

(4) Was ist Metaphysik?

استعمال الالفاظ من الوجهة المنطقية<sup>(١)</sup> .

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو : هل معنى ذلك ان جميع القضايا الميتافيزيقية تحتوي على اخطاء في الستاكس ؟ فاذا كان الجواب بالاجاب ، اليس من الضروري ان نحدد المقصود بالميتافيزيقا ليكون التعميم دقيقاً في الاستعمال ؟

انه من الخطأ الاعتقاد ان كل الفلسفة ميتافيزيقا ، وانه كذلك من الخطأ الاستنتاج ان التجريبية المنطقية مدرسة لدم الفلسفة . انها في طريقها نحو جعل الفلسفة علمية لا بد لها ان تتخذ موقفاً من القضايا التي لا يسندها العلم او تثبت التجربة صدقها او كذبها . لقد اخطأ صموئيل الكسندر اعتقاده ان الفلسفة هي الميتافيزيقا<sup>(٢)</sup> ، وان الميتافيزيقا هي محاولة دراسة طبيعة الاشياء ووصف الطبيعة النهائية للوجود . وبذلك يقرب الكسندر من تعريف ارسطو بأنها علم الوجود وصفاته الضرورية . ان السبب الذي يكمن في فهم فلاسفة الميتافيزيقا للفلسفة بهذه الطريقة هو محاولتهم ايجاد قاعدة فكرية عامة تشمل جميع فروع الفلسفة من منطق ونظرية معرفة واخلاق . ولكن هذه القاعدة سرعان ما تنهار أمام معاول التحليل المنطقي . لقد استعمل الفلاسفة عبارة « الميتافيزيقا » بمعان كثيرة واستخدموا لها مناهج مختلفة . وهناك تعريفات اخرى للميتافيزيقا على اساس انها البحث في العلل الاولى او معرفة الحقيقة الكلية دون تجزئتها ، لان في التجزئة افساد للحقيقة . ولكن الدراسات الميتافيزيقية قد تخلو من هذا الاتجاه ، فلا تبحث في الوجود وصفاته ولا في الحقيقة الكلية ولا في العلل الاولى ، بل اننا نجد في الفلسفة الحديثة والمعاصرة امثلة على انواع اخرى من الميتافيزيقا مارسها مفكرون عُرِفوا بعدائهم

(1) Ed. Ayer, A.J., Logical Positivism P. 69

(2) Alexander, S., Space, Time and Deity vol. I. P. 1

للميتافيزيقا ، ويختلف هذا النوع من الميتافيزيقا عن النوع الشائع . ان عبارة « ميتافيزيقا » غامضة ، لانها استعملت بمعان كثيرة ، وانظمة مختلفة ، لهذا برزت ضرورة التمييز بين انواع الميتافيزيقا تبعاً لمادة البحث التي انبثقت عنها ، وهذه الانواع هي : -

- ١- الميتافيزيقا البحتة ٢- الميتافيزيقا الكونية ( او الاستقرائية )
  - ٣- الميتافيزيقا الرياضية ٤- الميتافيزيقا اللغوية ٥- الميتافيزيقا الديقالكتيكية
  - ٦- الميتافيزيقا المتعالية ٧- الميتافيزيقا النقدية ٨- الميتافيزيقا الوجودية
- فقضايا الميتافيزيقا البحتة متعلقة بالوجود والمطلق والعلل والحقيقة الكلية والعدم وغير ذلك ، وتتخذ من المنهج الحدسي او التأملي او الصوفي اساساً لتكوين هذه القضايا ، فلا يوجد لدينا معيار للصدق او للتثبت نحكم عليها بواسطته بالصدق او بالكذب ، كما ان الحجج التي يسوقها الفلاسفة هي حجج عقلية لا تسندها التجربة مطلقاً . ان هذا النوع من الميتافيزيقا لا يمكن ان يكون موضوع بحث في العلوم ، لان المفاهيم والقضايا فيها لا تتحدث عن موضوعات تجريبية او رياضية ، وان الاساليب العلمية المتوفرة لا تستطيع اخضاعها لمنهجية تجريبية او رياضية . وهذا النوع من الميتافيزيقا يختلف عن الميتافيزيقا الكونية التي تعتمد على ما يقدمه العلم من حقائق تجريبية ، فتحاول ربط هذه الحقائق بعضها ببعض في حقيقة كلية يستنتجها الفيلسوف بعد تحليل لابعادها الفلسفية . فنظرية الفريد نورث وايتهيد في الصيرورة الطبيعية تعتمد على الحقائق العلمية وعلى نظريات الفيزياء والاحياء لرسم صورة شاملة للكون<sup>(١)</sup> . ولكن التحليل الدقيق للقضايا الجديدة يبين انها استنتاجات يعوزها الدليل العلمي . ويجب ان لا نخلط هذه القضايا بقضايا الميتافيزيقا البحتة ، لانها قد تكون في بعض الاحيان محركة لاجتاث علمية جديدة وتفتح آفاقاً واسعة للعلم فتكون مفيدة

(١) انظر فلسفة وايتهيد في هذا الكتاب تحت عنوان « الصيرورة الطبيعية » . ص ٢٢٥-٢٤٩

للتطور العلمي . اما الميتافيزيقا الرياضية فهي ضرب من الفلسفة اساسه النظرية الرياضية وهدفه تفسير العالم على ضوء المعرفة الرياضية . فلقد تصوّرت المدرسة الفيثاغورية بعد ممارستها للاعداد ومعرفة خصائصها ان العالم عدد ونغم ، وهذا معناه ان فهم العالم يقوم على اساس المعرفة الرياضية . وحاول افلاطون ان يجد تفسيراً لطبيعة الرياضيات والاخلاق فلجأ الى بناء نظرية المثل ، واعتقد لينتز ان قوانين الفكر الاساسية التي ترجع الرياضيات اليها هي الحقائق اليقينية ، وكانت نظريته في المونادات انعكاساً لاعتماده بحقيقة ويقينية المعرفة الرياضية . كما يمكن تصنيف بعض الدراسات الحديثة في أسس المنطق والرياضيات تحت مقولة الميتافيزيقا الرياضية ومنها المدرسة الحدسية التي تؤمن بالحدس في البرهان الرياضي . كما تعتبر فلسفة جيمس جينس ميتافيزيقية اساسها الرياضيات البحتة والفيزياء<sup>(١)</sup> . اما الميتافيزيقا اللغوية فليس لها علاقة بالوجود والمطلق وغيره ، بل انها وليدة تطبيق التحليل المنطقي للغة . فلقد اعتقد فتجنشتاين ان بين اللغة والعالم الخارجي تطابق وان بين اجزاء القضايا واجزاء الوقائع علاقة واحد بواحد . ان هذه النظرة الذرية هي بحد ذاتها ميتافيزيقا ، كما انها أدّت بفتجنشتاين بالفعل الى الوقوع في الميتافيزيقا ، حينما اعتقد ان العلاقة بين اللغة والعالم يعجز الكلام عن التعبير عنها ، واننا نستطيع ان نشير اليها فقط . اصف الى ذلك ان الفلسفة اللغوية قد تقودنا كذلك الى نوع من الفلسفة الذاتية الفردية Solipsism وهي نظرة ميتافيزيقية ، واذا كانت قضايا الميتافيزيقا عند فتجنشتاين لا معنى لها ، فلماذا يعتقد هو نفسه ان قضايا بحثه « رسالة منطقية — فلسفية » سخيفة<sup>(٢)</sup> ؟

وبالنسبة للميتافيزيقا الديالكتيكية فانها تتخذ منطقاً لتفسير الحركة

(١) انظر فلسفته تحت عنوان « المثالية الرياضية » في هذا الكتاب . ص ١٨٣-٢٠١

(٢) Wittgenstein, L., Tractatus Logico-philosophicus P. 6.54

والضرورة في الوجود كله ، وهي في استعمالها للمنطق انما تقصد الحركة الفعلية للوجود ومبادئ هذه الحركة . ان القضايا التي تكونها هذه الفلسفة هي خليط من الميتافيزيقا البحتة والصور العقلية لحركة الشعور الانساني والتاريخ ، فهي تحاول ان تصور ضرورة الوجود والحضارة والتاريخ بافتراضات لا يستند بها البحث العلمي الموضوعي . انها مزيج من الخلط المشوش بين التطور العقلي للمجتمعات والتطور العقلي الذي يتخذ صورته عند هيجل في حركة روحية . وتتخذ فلسفة « كانت » الميتافيزيقية المتعالية شكل مقولات يعتقد انها ضرورية للمعرفة ، وانها صور عقلية بحتة لا علاقة لها بعالم الحس والتجربة ، فليست افكارنا حول الجوهر والقوة والفعل والحقيقة وغيرها مستقلة عن الخيرة فحسب ، بل انها كذلك لا تحتوي على اي معنى تجريبي<sup>(1)</sup> . لقد كانت محاولة « كانت » اساسها وضع الأسس لكل ميتافيزيقا علمية محتملة . فكانت نظراته الاولى الى الميتافيزيقا البحتة قائمة على النقد ، فبدأ بتوضيح الفروق بين القضايا في الرياضيات وفي العلوم الطبيعية وفي الميتافيزيقا ، وتوصل الى الاعتقاد بوجود افكار او مقولات ميتافيزيقية متعالية . وبذلك يكون « كانت » قد مارس ميتافيزيقا نقدية وبنى بدوره ميتافيزيقا متعالية . كما نجد في كتابات فلاسفة الوجودية نوعاً جديداً من الميتافيزيقا في غلاف ادبي له صلة بالوجود الانساني ، وكتابات هايدجر في الوجود والزمن<sup>(2)</sup> وسارتر في الوجود والعدم تحتوي على قضايا ميتافيزيقية كثيرة .

ان المشكلة التي تواجهنا هي ماذا نقصد بالميتافيزيقا . وان الاعتقاد السائد بين اعضاء التجريبية المنطقية هو ان القضايا الميتافيزيقية هي الاقوال التي لا تستند بها التجربة او لا تحتوي على معنى تجريبي ولا يستند البرهان

(1) Kant, I., Prolegomena P. 74, §33

(2) Heidegger, M., Sein und Zeit

الرياضي . ولكن لهذا الاعتقاد اخطار كبيرة على العلوم ، لان كثيراً من القضايا تشير الى اشياء لا يمكن التحقق منها بالتجربة المباشرة ، فعلماء النفس مثلاً يتحدثون عن الغرائز والاشعور لتفسير السلوك الانساني ، وان ما يقولونه بهذا الصدد لا يمكن تصنيفه مع القضايا الميتافيزيقية . ان الذي يظهر من تحليل التجريبيين المنطقيين هو أنهم يرفضون نوعاً معيناً من القضايا التي تتصف بالخلط في المعنى . وهذا معناه ان النقد الذي تمارسه التجريبية المنطقية لا يمكن تطبيقه من دون حدود ، فهو لا يشمل كل انواع الميتافيزيقا التي سبق ذكرها ، بل ذلك النوع الذي يظهر وكأن له صلة بالواقع ، أو القضايا الخاصة بالميتافيزيقا البحتة والتي يرى الفلاسفة فيها بديلاً عن القضايا العلمية ، في حين أنها ليست كذلك . ولأجل ذلك يجب تحديد انواع العبارات التي ليس لها معنى تجريبي ، لان في ذلك تحديداً واضحاً يساعد الناقد التجريبي في تعيين مهمته ، ولكننا في الوقت نفسه نستبعد قضايا المنطق والرياضيات رغم أنها لا تحتوي على معانٍ تجريبية ، لأنها تحليلية لا يمكن إخضاعها للمعيار التجريبي الذي يستهدف استبعاد القضايا الميتافيزيقية باعتبارها خالية من المعنى . والعبارات الميتافيزيقية التي تخضع للنقد التجريبي تبعاً لفلسفة التجريبية المنطقية هي تلك العبارات الناتجة عن اخطاء في الستالس او الخالية من تحديد المعنى او الخالية من المعنى اطلاقاً . وعلى هذا الاساس تكون امامنا الانواع الآتية من العبارات الميتافيزيقية : —

١ — العبارات التي يصوغها الفلاسفة دون مراعاة للقواعد التركيبية او الستاكسية للغة ، ولا تقصد بالقواعد التركيبية هنا ما هو متعارف بين علماء اللغة من صرف ونحو ، بل تقصد بها معنى اوسع من ذلك يشمل استعمالات الالفاظ وحدود المعاني لها مع مراعاة لقواعد النحو والصرف . والعبارات الميتافيزيقية من هذا هذا النوع مضللة تظهر وكأنها تتحدث عن الواقع في حين أنها

ليست كذلك ، او أنها تظهر وكأنها ذات معنى ، ولكن التحليل المنطقي يثبت أنها خالية من المعنى التجريبي ، وان اصلاح اخطاء الستاكس فيها يحولها الى قضايا ذات معنى تجريبي لا علاقة لها بالميتافيزيقا .

٢- العبارات التي تضم مفاهيم وافكار كثيرة من دون تحديد لمعانيها واستعمالاتها . ولا تقصد بالتحديد مجرد التعريف كيفما اتفق ، لان ذلك لا يحل المشكلة مطلقاً ، ففي تاريخ الميتافيزيقا نجد تعريفات للجوهر والعلة والمطلق وغير ذلك ، ولكن هذه التعريفات لا يمكن اعتبارها وافية بالغرض ، لان تعريف الاسم او اللفظ باسماء او الفاظ دون مراعاة لأسس منطقية او تجريبية يبقى التعريف خالياً من المعنى .

٣- العبارات التي يستعملها الفلاسفة والعلماء في بعض الاحيان والتي لا يكون لها السند التجريبي الكافي ، ولكنها في وقت تعتبر جزءاً من النظرية العلمية الى ان يثبت العلم أنها فارغة من المعنى . ومن الامثلة على ذلك الزمان المطلق والمكان المطلق . فلقد اثبت النظرية النسبية بطلان هذه المفاهيم لأنها غير مستوفية للشروط التجريبية ، وانها خالية من المعنى التجريبي .

٤- العبارات التي تستخدم الاستدلالات المنطقية حتى يتحيل انها نتائج من مقدمات مسلم بها ، في حين ان هذه المسلمات او المصادر تحتاج هي بدورها الى تحليل لتستطيع ان تكون جديرة بذلك . فالبديهيّات في المنطق والرياضيات معروفة بصدقها وضرورتها ، ونستطيع ان نتبين ذلك من تراكيبيها ، بينما مصادر الميتافيزيقا خالية من السند المنطقي والتجربي معاً . ومن الامثلة على ذلك نظرية سينيوزا الميتافيزيقية التي

تفترض بعض الافكار الاولى من الميتافيزيقا وبعض البديهيات واستنتاج قضايا بخيل انها صحيحة من الوجهة المنطقية مع العلم انها ليست كذلك .

نستنتج مما تقدم ان رفض العبارات الميتافيزيقية يستدعي وجود معايير منطقية وتجريبية لذلك ، لكي تكون بين هذه الانواع من العبارات وغيرها من العبارات العلمية حدوداً فاصلة . وهنا تنشأ صعوبة منهجية في صياغة المبدأ الذي نحكم به على القضايا ، ولا تزال هذه المشكلة قائمة في كتابات فلاسفة التجريبية المنطقية ، واختلفت الحلول لها<sup>(١)</sup> . وفي سبيل بيان المشكلة نتناول القضايا التجريبية اولاً لمعرفة تدرجها والاختلافات بينها ونبين مصدر المشكلة فيها .

تتدرج القضايا التجريبية من حيث تركيبها وتعقيدها : فليست جميع القضايا التجريبية واحدة في البناء المنطقي ، كما يجب التمييز بين القضية والفرضية العلمية ، لان في القضية حكماً نستطيع التثبت منه بالتجربة او بالطرق العلمية ، ونعني بالتثبت هنا معرفة صدق القضية او كذبها . اما الفرضية التي يطرحها عالم الطبيعة مثلاً ، فانها تبقى كذلك الى ان يستطيع اثبات صحتها بالتجربة او اثبات خطأها . ويمكن من الوجهة المنهجية ان يستعاض بفرضية اخرى ذات سند تجريبي افضل ، اذا وجد في الفرضية الاولى انها غير ملائمة . وتختلف القضايا التجريبية فلا يصح خلطها جميعاً ، ولاجل توضيح ذلك نأخذ بعض الامثلة : -

١ - قضايا تجريبية فردية مثال ذلك «هذه الوردة حمراء» ، « هذا الكتاب اصفر » ، «سقراط فيلسوف» ، « لا توجد حياة على القمر »

---

(١) في مقالة هيمبل C. G. Hempel عن معيار المعنى بالنسبة للفيلسوف التجريبي يناقش الحلول المطروحة لحل المشكلة ويبين عدم قدرتها على ايجاد حل نهائي ، وقد نشرت في كتاب Logical Positivism . ص ١٠٨ ، الذي نشره آير .

توجد بين القضايا الآتية الذكر اختلافات أبرزها ان القضية الاولى يمكن التحقق منها بالتجربة والملاحظة المباشرة ، فاذا كانت الوردية المشار اليها حمراء ، فان القضية صادقة ، واذا كانت خلاف ذلك ، فانها كاذبة . ويصدق التحليل نفسه على القضية الثانية « هذا الكتاب اصفر » . اما القضية « سقراط فيلسوف » فان صدقها او كذبها لا يعتمد على الملاحظة المباشرة ، بل علينا ان نرجع الى كتب التاريخ اليوناني والفلسفة اليونانية لنعرف فيما اذا كان قد وجد رجل اسمه « سقراط » توفرت فيه خصائص معينة جعلت منه فيلسوفاً ام لا . اما القضية الاخيرة ، فانها تختلف عن القضايا المتقدمة ، فقولنا « لا توجد حياة على القمر » ما هو الا استنتاج مقدمات معينة ، فلقد وجد تجريبياً او علمياً ان الظروف الموجودة على القمر لا تسمح بوجود كائنات حية ، ولكن في الوقت نفسه من المحتمل وجود حياة لا تشبه حياتنا على القمر ، لذلك فان القضية المذكورة تعتبر فرضية الى ان يقطع العلم باثبات صدقها او كذبها .

يميز آير في كتابه « اللغة ، الحقيقة والمنطق »<sup>(١)</sup> بين القضايا التي لا يمكن الثبوت منها لعدم وجود الوسائل العلمية الكافية لذلك مثال ذلك « انه توجد بحيرات على الوجه الآخر من الزهرة » ، وبين القضايا التي يمكن الثبوت منها عملياً مثال ذلك « هذا الجبل مرتفع » . وهذا كله يدل دلالة واضحة ان القضايا التجريبية ذاتها تثير لنا مشكلات ، وان على التجريبية المنطقية مهمة توضيح موقفها من هذه المسألة لكي لا تقع بعض القضايا والمفاهيم العلمية في دائرة العبارات الفارغة .

٢ - قضايا تجريبية عامة مثال ذلك : « كل انسان فان » ، « كل المعادن تتمدد بالحرارة » ، « جميع الاجسام تسقط الى الارض بفعل الجاذبية » . تختلف هذه القضايا عن القضايا الفردية ، فهي من جهة ليست مشتقة

(١) Ayer, A.J., Language, Truth and Logic P. 36

كلياً من التجربة ، وان الاستقراء العلمي المستعمل في العلوم يعتمد في صياغة القانون على مجموعة معينة من الظواهر والحالات ، وانه من المستحيل الاحاطة بجميع الحالات بغية الوصول الى الصياغة القانونية ، وهذا معناه ان القانون الطبيعي والقضايا العامة غير مشتقة كلياً من التجربة ، وهنا تصادفنا مشكلة ايجاد معيار الثبوت من صدق القانون او كذبه . يعتقد البعض خطأً أن القضية « كل انسان فان » صادقة وأنها في صدقها تعتمد التجربة كلياً ، وذلك لافتراضهم ان القضية الجزئية او الفردية مثل «سقراط فان » و « نابليون فان » تؤيدها التجربة وهي شواهد على صدق القضية العامة . ولكننا من الوجهة المنطقية لا نستطيع اتخاذ بعض الجزئيات شواهد على الصدق المطلق للكليات ، وذلك لعدم الاحاطة بكل الجزئيات من جهة وعدم القدرة على ايجاد مبدأ ندلل به على ضرورة صدق كل الجزئيات الداخلة في القضية العامة . في المستقبل من جهة اخرى . وهكذا تكون القضية العامة والقانون مجرد فرضية تكتسب تأييداً وثبوتاً كلما زادت شواهد التجربة المؤيدة لها . وتختلف القضية العامة عن القضايا الرياضية او المنطقية التي هي تحصيل حاصل وبقينية ، لان القضية التجريبية العامة تبقى دائماً لاحتمالات الاختبار ولا يمكن القطع فيها بالصدق المطلق ، فهي على هذا الاساس احتمالية .

يناقش كارل بوبر هذه المسألة في كتابه « منطق البحث العلمي » متطرقاً الى الاستقراء ومشكلته المتعلقة بالقضايا الكلية والقوانين ، ولكنه يرى عكس ما يعتقد به اعضاء التجريبية المنطقية مثل رايخباخ الذي يرى في الاستقراء الطريقة العلمية الجديرة التي يتخذها العلم في معرفة الحقائق . فمبدأ الاستقراء ذو اهمية كبيرة للطريقة العلمية ، فهو الذي يعين صدق النظريات العلمية ، في حين يرى بوبر انه يمكن الاستغناء عن مبدأ الاستقراء والاستعاضة عنه بمبدأ الاستدلالية Deductivism<sup>(1)</sup> لفحص النظريات

(1) Popper, K., The Logic of Scientific Discovery P. 32-33

العلمية . فهو يميز اربعة ابعاد في فحص اية نظرية علمية : الاول من ناحيتها المنطقية ، وذلك بمقارنة منطقية للنتائج فيما بينها للتثبت من التكوين الداخلي ، والثاني البحث في الشكل المنطقي للنظرية فيما اذا كانت ذات طبيعة تجريبية او تحصيلية tautological . والثالث مقارنتها بالنظريات الاخرى لمعرفة فيما اذا كانت تقدم حقاً نتائج تزيد من المعرفة العلمية : والرابع اختبار النظرية عن طريق التطبيقات التجريبية للنتائج المشتقة منها .

يظهر من التحليل الآنف الذكر والمشكلات التي تتعلق بالتجريبية ان مبدأ التجريبية الذي ينص على ان جميع المعرفة غير التحليلية تقوم على التجربة غير قادر على اعطاء تحديد تام وفصل بين التجريبية والـميتافيزيقية . وان معيار التجريبية المنطقية الذي ينص بشكله البسيط على ان القضية ذات معنى اذا كانت تحليلية او متناقضة او انها من حيث المبدأ تخضع لفحص تجريبي<sup>(1)</sup> ، لا يستطيع تلافي مشكلات عديدة . وان اكثر المشكلات إلحاحاً هي ما يتعلق بالمبدأ التجريبي . فاذا افترضنا قضية ما وارادنا ان نشب من معناها التجريبي ، فاننا تبعاً للتجريبية المنطقية بحاجة الى الرجوع الى قضايا اساسية تعتمد على الملاحظة المباشرة ، بحيث يكون للقضية معنى تجريبي في حالة واحدة اذا كان بالامكان الاشارة الى فئة محدودة من القضايا الاساسية ، وكانت هذه القضايا صادقة نستطيع القول ان القضية صادقة بالضرورة . وهكذا يصبح لدى التجريبية المنطقية معيار للتثبت هذا نصه « يكون للقضية معنى تجريبي اذا كانت ليست تحليلية وكانت تابعة منطقياً من فئة مترابطة منطقياً ومحدودة لقضايا اساسية<sup>(2)</sup> .

ولكن هذا المعيار لا يحقق الغرض فلقد عرفنا عجزه بالنسبة للقضية العامة التي لا يمكن التحقق من صدقها بفئة محدودة لقضايا اساسية ، لانها تضم فئة غير محدودة وانها غير مشتقة كلياً من التجربة .

---

(1) Ed., Ayer, A.J., Logical Positivism P. 108

(2) Ibid., P. 111

ان المشكلة الاساسية التي ارادت التجريبية المنطقية مواجهتها في بادىء الامر بشيء من التبسيط وهي كيفية التمييز بين القضايا الميتافيزيقية والعلمية ، وجدت نفسها من جديد امام مشكلة جديدة هي محاولة إيجاد مبدأ او معيار نستطيع بواسطته الحكم على طبيعة القضية . ان المحاولات الاولى القائمة على الاعتقاد بأن التحقق من القضايا اساسه التجربة اثبت عدم قدرته على حل المشكلة ، بل زاد في تعقدها بأن وضع قضايا علمية هامة في مصاف القضايا الميتافيزيقية . وكانت المحاولة الثانية في الثبت من القضية التجريبية بالرجوع بها الى قضايا تجريبية بسيطة غير علمية ، ولا نستطيع الثبت من القضايا العامة . ولكن هل نستطيع حل المشكلة تبعاً لتحليل كارل بوبر للنظريات العلمية ؟

وضع بوبر معياراً للتمييز بين القضايا والانظمة العلمية وبين الانظمة الميتافيزيقية فاستعاض بذلك عن معيار الثبت للتجريبية المنطقية بمبدأ التكذيب *Falsifiability* ، وهو المبدأ الذي يرتبط بالنظريات العلمية التجريبية مباشرة . فان نظرية ما ( نظام ) تجريبية او علمية اذا كان بالامكان اختبارها بالتجربة . ولاجل تثبيت مبدأ بوبر لا بد من تقديم بعض الملاحظات المهمة : —

ان مهمة بوبر في تثبيت مبدأ التكذيب تعتمد على السماح لجميع القضايا العلمية المعتمدة على التجربة في اختبارها ، ولا ينظر بوبر الى العلم باعتباره مجموعة قضايا مشتقة من التجربة ، بل ينظر اليه كنظام نظري تستند قضاياه على التجربة . فاذا افترضنا وجود نظرية علمية ما مثل ( *M* ) وارادنا ان نثبت من هذه النظرية تجريبياً ، فاننا من الممكن ان نلجأ الى وضع الشرط الآتي : —

١ — ان النظرية ( *M* ) تجريبية اذا كان بالامكان اشتقاق قضايا فردية منها ، وهذه القضايا الفردية هي القضايا الوحيدة التي تخضع للتجربة كلياً . فلا تباين الصفة التجريبية للنظرية علينا ان ننظر الى النتائج وعلاقتها بالتجارب . ولكن هذه الصياغة في تعيين تجريبية النظرية تعوزها الدقة ، لانه لكي نشق قضايا فردية من نظرية ، من

الضروري ان تكون لدينا قضايا اساسية Basic Propositions  
تجريبية تشترك مع النظرية في الاشتقاق .

لذلك يمكننا وضع الصياغة الجديدة بالشكل الآتي : -

٢- ان النظرية ( M ) تجريبية اذا كان بالامكان اشتقاق قضايا فردية  
مستعنين بقضايا اساسية فردية اخرى . وهذا معناه اننا نستعين  
بالقضايا الاساسية مع النظرية لاشتقاق القضايا الفردية . ولكن : هل  
هذا المعيار كاف للتمييز بين الانظمة العلمية التجريبية والانظمة  
المنطقية ؟ بالطبع لا ، لاننا نستطيع في نظرية منطقية ان نشق قضايا  
فردية من قضايا فردية اخرى . وهنا يلجأ پوپر الى صياغة اخرى فيها  
تحديد للنظريات التجريبية .

٣- ان النظرية ( M ) تجريبية اذا كان بالامكان اشتقاق قضايا فردية  
مستعنين بقضايا اساسية فردية اخرى ، شرط ان تكون القضايا المشتقة  
اكثر مما نستطيع اشتقاقه من القضايا الاولى لوحدها . ولكن هذه  
الصياغة في رأي پوپر تستبعد الانظمة المنطقية ولكنها لا تستبعد  
بعض القضايا الميتافيزيقية .

لذلك لا بد من صياغة اخرى تستبعد جميع الاحتمالات السابقة .

٤- ان النظرية ( M ) تجريبية اذا اشروطنا انها تسمح لنا باشتقاق قضايا  
فردية تجريبية نستطيع اكثر مما نستطيع اشتقاقه من القضايا الاساسية  
لوحدها (١) .

ويتهيء پوپر بعد ذلك الى تعريف التكديبية بشكل يأخذ بنظر الاعتبار  
فئتين غير فارغتين من القضايا تختلف من حيث الاساس ، وذلك بأن تكون فئة  
منها تضم تلك القضايا التي لا تتفق مع قضايا النظرية ولا تسمح لها النظرية بأن

---

(1) Popper, K., The Logic of Scientific Discovery P. 84-85

تكون جزءاً منها ، والفئة الأخرى تضم جميع القضايا التي لا تناقض قضايا النظرية . وبناءً على ما تقدم يكون مبدأ التكذيب بالصياغة الآتية : -

ان النظرية ( M ) تجريبية او تكذيبية اذا استطاعت ان تشرط بشكل واضح فئة جميع القضايا الفردية المحتملة الى قسمين او فئتين غير فارغتين : الاولى وهي فئة جميع تلك القضايا الاساسية التي لا تتفق معها ، والثانية ، فئة جميع تلك القضايا الاساسية التي لا تناقضها <sup>(1)</sup> .

ان مبدأ پوپر يختلف عن مبدأ الثبوت الذي مارسه التجريبية المنطقية في عدم سماحه للمعنى كعيار للتمييز ، وانه يسمح للفرضيات التي لم تثبت التجربة بعد باعتبارها علمية على الرغم من عدم وجود التجربة لاثباتها . وبذلك يتلافى پوپر النقص الذي اصاب التجريبية المنطقية في معاملتها للنظريات العلمية والقضايا العلمية التي لم تثبت التجربة بعد ، وذلك لان پوپر يعتقد ان بعض القضايا الميتافيزيقية ذات فائدة للعلم ، وان ليس كل الميتافيزيقا زائفة .

ويحاول آير على طريقة التجريبية المنطقية صياغة مبدأ الثبوت بالشكل الآتي : -

ان قضية ما تجريبية اذا امكن بارتباطها بقضية او قضايا اساسية اشتقاق قضية اساسية واحدة على الاقل لا يمكن اشتقاقها من المقدمات الأخرى لوحدها <sup>(2)</sup> .

لا شك ان هذا التحديد يقترب من تحديد پوپر لمبدأ التكذيب بالنسبة للنظريات ويختلف معه في تأكيده على القضية ، بينما يؤكد پوپر على النظرية .

---

(1) Ibid., P. 86

(2) Ayer, A.J., Language, Truth and Logic P. 13



## الفصل الثالث

### ابناء المنطقي للعالم

اعتمدت جماعة فينا في فهمها لطبيعة الرياضيات والمنطق على الإنجازات المنطقية التي حققها فريجه ورسل وفيتجنشتاين ، ففتحت لها آفاق جديدة بفضل هذه الدراسات ، ساعدتها في التحليل المنطقي لمعرفة المكونات الأساسية وعلاقاتها بعضها ببعض في تراكيب مختلفة . ولم يقتصر التحليل المنطقي على هذه المهمة ، بل كانت مهمته الرئيسة تحديد المفاهيم وبيان معانيها بدقة . وقد ساعد هذا الاتجاه التحليلي كثيراً من الابحاث في الارتقاء الى مستوى علمي بعد تعريف الافكار وتوضيح المفاهيم الخاصة بالبحث . واتخذت جماعة فينا الطريقة التحليلية في دراسة الاساس المنطقي والتجريبي للعلوم ، محاولة بذلك ايجاد قاعدة عامة تكون اساساً لوحدة العلوم . لقد سبق رسل التجريبية المنطقية في تحليل أسس العلوم ودراسة العلاقة بين المعطيات الحسية وعلم الفيزياء<sup>(1)</sup> ، وتقرير المكونات النهائية للمادة<sup>(2)</sup> ،

(1) The Relation of Sense-data to Physics

انظر مقالته

(2) The Ultimate Constituents of Matter

انظر مقالته

وقد استعان بطريقة التكوين او البناء المنطقي Logical Construction ، وذلك عن طريق تثبيت الوحدات النهائية وهي المعطيات الحسية ، والانتقال بعد ذلك الى الاشياء والتي هي التراكيب المنطقية لتلك الوحدات النهائية . واستفادت جماعة قينا من ابحاث ارنست ماخ في معالجة مشكلات مناهج البحث وفلسفة العلوم ونظراته التجريبية . ولم يكن ماخ فيزيائياً لا معرفة له بالفلسفة ، بل على العكس كان مدركاً اهمية الدراسات الفلسفية وصلتها بالعلم وأسسها ، فقد قرأ في سن مبكرة مقدمة « كانت » الميتافيزيقية المعروفة Prolegomena وكانت له معرفة بالابحاث البيولوجية وبصورة خاصة بنظرية دارون التطورية . ولقد اثرت هذه الدراسات في نظراته الى المعرفة والقوانين الطبيعية والحقيقة . وفي فلسفة العلوم تظهر آثار الدارونية بشكل واضح ، فهو في نظراته الى المعرفة البشرية في اشكالها البدائية والعلمية الرقيع يرى انها مجرد ظاهرة بيولوجية تطورية تمثل جزءاً من تاريخ تطور الانسان <sup>(١)</sup> . وهذا يدل من الوجهة الاستمولوجية ان المعرفة جميعها صيرورة مستمرة يحاول بها الانسان ان يلائم افكاره مع الحقيقة وأن يصل بها الى درجة عالية من الدقة ، وان عملية التفاعل او الملازمة لا تنقطع وتبغى في حقيقة الأمر غاية اساسية هي سيطرة الانسان على الطبيعة . وحلل ماخ من الوجهة المنهجية حقول الفيزياء وتطور فروعها المختلفة وكيف نشأت وما هي الوسائل التي اتخذتها في تطورها العلمي . ولهذه الدراسة التاريخية للعلوم فائدة علمية ، لانها تبيّن اثر المنهج واختلافه في تطور العلم ومعرفة الطرق التي كانت دليل العلماء في بحوثهم ، وما هي العناصر التي عرقلت تطور العلوم . وبعد هذه الدراسة توصل الى نتائج مهمة تخص أسس العلم ، وكان لها الاثر الكبير في فلسفة التجريبية المنطقية ، وهي انه يجب التخلص من جميع العناصر الميتافيزيقية باعتبارها لا تخضع للادراك الحسي

(1) Jörgensen, J., The Development of Logical Empiricism P. 7

التجريبي . كما استفاد ماخ من دراساته التاريخية للعلوم في ادراك جوهر القوانين الطبيعية ودورها في البحث العلمي ، وكانت نظراته النقدية للفيزياء الميكانيكية لنيوتن ذات أثر مهم في تطور الفيزياء المعاصرة وخاصة فيزياء آينشتاين والفيزياء الكمية . ولكي نكون على معرفة واضحة لمبادئ ماخ الفلسفية التي اثرت في التجريبية المنطقية يحلر بنا تثبيتها وشرح محتواها من الناحيتين التجريبية والمنطقية

١ - ان المعرفة الانسانية غير ثابتة ، وهي في تطور وصيرورة ، تتغير وتتسع كلما امدتنا الخبرة بأشياء جديدة . والقوانين الطبيعية لا تمثل حقائق نهائية ، وان تطور الفكر الانساني وما تقدمه الخبرة من معلومات جديدة يجعلنا نغير افكارنا دائماً بما يتلائم والتجربة . وتقرير ماخ هذا لا يوحي بأنه يعتمد على التجربة كلياً ، بل جعل للفكر دوره في صياغة القوانين وتوسيع نطاق تطبيقها كلما ازداد الفكر معرفة وخبرة . والعلم بالنسبة لماخ ليس الامقارنة أو ترتيب الخبرات تبعاً لوجهات نظر وطرق معينة نرتضيها ، وبذلك نحصل على الافكار المجردة والقوانين نتيجة لهذه الفعالية في الترتيب *Ordnung* ، ويصبح للافكار معنى في حالة اشارتها الى الاشياء ، اما الافكار الخالية من المعنى التجريبي ، فمن الضروري استبعادها من علم الفيزياء . ولهذا المبدأ دلالة مهمة ، لان ماخ لم يفصل فصلاً تاماً بين عالم الخبرة الحسية والعالم العلمي ، بل على العكس يرى ان العلم جميعه هو فعالية ترتيب الخبرات الفردية الاولى .

٢ - رفض ماخ وجود حقائق قبلية وخالدة ، ولهذا الموقف دلالة ، ففي الوقت الذي تؤكد الفلسفات المثالية على وجود حقائق خالدة ، نجد ماخ في رفضه هذا اميناً على نظراته الى المعرفة كظاهرة بيولوجية تتغير دائماً وكلما تقدم الانسان ، ولا تقف هذه الفعالية عند حد معين . وهذا معناه ان ماخ يرفض كذلك اعتقاد بعض العلماء بأن العلم يسعى الى اكتشاف القوانين الثابتة او الحقائق ، لأنه يرى ان جميع القضايا

المتصلة بالعالم الخارجي سواء كانت على هيئة قوانين فردية او عامة او قوانين طبيعية ونظريات هي موضوع لتغيير وضبط مستمرين من جانب الخبرة<sup>(١)</sup>. ولم يعتقد ماخ بأن القوانين الطبيعية يمكن اشتقاقها منطقياً من الخبرة عن طريق التجريد<sup>(٢)</sup> كما كان يعتقد فلاسفة القرن الثامن والتاسع عشر. وهذا الموقف من جانب ماخ نجده عند اكبر مفكري العصر الحديث البرت آينشتاين الذي يعتقد ان الافكار والقوانين الاساسية ما هي الا من خلق العقل الانساني ، وانها ليست مشتقة من الخبرة الحسية عن طريق الاستقراء<sup>(٣)</sup>.

٣- رفض ماخ اعتقاد فلاسفة وعلماء القرن الثامن والتاسع عشر حول وجود مكان مطلق وزمان مطلق ، وهو التصور الذي اكده نيوتن في فلسفته الميكانيكية. وبذلك يكون ماخ قد ادرك نقاط الضعف الموجودة في فلسفة نيوتن العلمية. فاستناداً الى فلسفته التجريبية لا يمكن التسليم بالافكار التي لا تسندها التجربة ، وان المكان والزمان المطلقين ليست الا افكار ليس لها معان تجريبية. والمكان في فلسفة ماخ ليس الا مجموعة العلاقات المكانية للاشياء ، وانه ليس كما اعتقد نيوتن وعاء خالياً توضع فيه الاشياء في امكة ومواضع. وبذلك يكون ماخ قد اقرب من النظرية النسبية.

٤- يرى ماخ ان الهندسة فرع من العلوم الطبيعية وانها لا تختلف عن الميكانيك، لان على القضايا الهندسية ان تكون لها علاقة بالواقع. واذا كانت القضايا صادقة من الوجهة الشكلية بمجرد اشتقاقها من قضايا اخرى فهي اما بديهيات او مبرهنات سبق البرهان عليها ، فان هذه القضايا في تطبيقاتها والاستفادة منها في علم الفيزياء تعتمد في صدقها على

(1) Ibid., P. 7-8

(2) Schilpp, P.A., Albert Einstein P. 175

(3) Ibid., 246

الملاحظات المنتظمة وحركات الاشياء . وبذلك تكون الهندسة جزءاً من العلوم الطبيعية .

ان المكان الذي تصفه الهندسة يختلف باختلاف النظرية ، فهناك هندسة اقليدسية وهندسات لا اقليدسية ، ولكننا لسنا مجبرين على اتباع نوع معين من الهندسات . ولكننا في الوقت نفسه نختار تلك الهندسة التي تستطيع ان تقدم لنا تفسيراً تجريبياً مقبولاً للمكان . وهذا يدل على اننا نختار اية هندسة تظهر لنا انها اقرب الى الملاحظات التجريبية وحركات الاشياء . ان هذا المبدأ ضروري في الدراسات التجريبية وفي حقل النظريات العلمية ، فنحن نفضل او نختار تلك النظريات التي تستطيع ان تقدم لنا معرفة اوسع ولها القدرة على تفسير اكبر عدد ممكن من الظواهر الطبيعية . فالتجارب والملاحظات هي العناصر الاساسية العلمية للتحقق من صدق القانون او المبدأ او النظرية .

٥ - رفض ماخ في حقل نظرية المعرفة وجود جواهر وراء الصفات المباشرة ، واعتبر هذه النظرية ميتافيزيقية . وان الاشياء مجرد مركبات ثابتة نسبياً لصفات او عناصر او احساسات . وان كل قضية علمية تتحول الى قضية حول مركبات لاحساسات ، وان القوانين الفيزيائية تتألف من افكار لها علاقة مباشرة بالخبرة والملاحظة او انها تتكون من سلسلة فكرية قليلة لها اخيراً علاقة بالملاحظة المباشرة<sup>(١)</sup> . وبعبارة اخرى ان القوانين العلمية تتحول في الاخير الى قضايا عن الخبرة المباشرة .

على الرغم من وجود اختلافات كبيرة بين موقف ماخ التجريبي والفلسفة التجريبية المنطقية ، الا اننا في الوقت ذاته نلمس اتفاقاً واضحاً في رفض الميتافيزيقا وبحث اسس العلم تجريبياً واعتبار القضايا العلمية ذات قاعدة

---

(1) Ibid., 176

مشتركة هي الخبرات المباشرة ، وان اختلاف القضايا في العلوم المختلفة ناتج عن قرب او بعد هذه القضايا عن القاعدة المشتركة . وهذا يدل على ان فلسفة ماخ التجريبية قريبة جداً من هدف جماعة فينا في وحدة العلم . واننا نجد في المحاولات الاولى التي بذلها اعضاء الجماعة امثال كارناب موقفاً قريباً من ماخ ولكنه استند الى المجازات المنطق الحديث في بيان ان بين العلوم المختلفة وحدة اساسها الخبرة ، وان القضايا العلمية ممكنة الاشتقاق من القاعدة على مستويات مختلفة . وقد حظيت محاولة كارناب في كتابه « البناء المنطقي للعالم »<sup>(1)</sup> باهتمام جماعة فينا ، لانها كانت تمثل بداية علمية جديدة في بناء نظرية علمية عامة تستخدم الطريقة المنطقية في التحليل وتضع اساساً لوحدة العلوم . وكانت محاولته منصبة على ايجاد العناصر الاولى او الوحدات الاساسية او النهائية في المعرفة العلمية ، وتعريف الافكار العلمية بطريقة تتابع فيها المستويات وتختلف . وهنا نجد اتفاقاً واضحاً بين فلسفة ماخ وكارناب ورسل في البحث عن العناصر او الوحدات الاولى التي تتألف منها المعرفة وضرورة ربط هذه الوحدات سواء كانت معطيات حسية او احساسات او خبرات حسية بالفيزياء ، وترجمة القوانين العلمية الى قضايا لها صلة مباشرة بالعناصر الاولى . وامتازت فلسفة كارناب بأنها استخدمت النظرية المنطقية في تركيب المفاهيم الاكثر تعقيداً . ان تركيب المفاهيم يحتاج الى مبادئ المنطق الرياضي ، وبصورة خاصة تلك المبادئ المتصلة بنظرية الفئات والدالات والعلاقات . وان النظرية التي يقيمها كارناب في الافكار تخضع لاصول المنطق ، وانها باعتبارها نظرية منطقية في بناء العالم لا بد ان تتخذ لها منهجاً تركيبياً ، والمنهج التركيبية في المنطق على طريقتين : —

الطريقة الاولى : وهي المعروفة بالطريقة البديهية Axiomatic Method وبها تقوم باختيار بديهيات معينة وقوانين استنتاجية

(1) Carnap, R., Der logische Aufbau der Welt (1928)

تساعدنا في اشتقاق قضايا جديدة من البديهيات أو البرهان على هذه القضايا بواسطة البديهيات وقوانين الاستنتاج ، وهذه الطريقة معروفة في بناء النظريات الرياضية والمنطقية .

الطريقة الثانية : وهي المعروفة بالطريقة التعريفية ، ونقصد بها استخدام سلسلة متتابعة متلازمة من تعريفات . وهنا لا بد لنا من ان نختار بعض الافكار الاولى غير المعرفة او اشياء لا يمكن تجزئتها لتكون القاعدة الاساسية في عملية التعريف . وكما ان التحليل لا يمكن ان يستمر الى مالا نهاية ، اذ لا بد من الوصول الى اشياء لا يمكن تجزئتها ، كذلك لا يمكن استخدام التعريف لكل فكرة من الافكار فتتسلسل الى مالا نهاية ، لاننا لا بد ان نفترض افكاراً غير معرفة تعتمد عليها في تعريف الافكار الجديدة<sup>(١)</sup> .

لقد اختار كارناب في كتابه « البناء المنطقي للعالم » الطريقة الثانية ، حيث اعتمد على وحدات اولية Primitive Units ، وركب منها المفاهيم الاكثر تعقيداً في درجة التجريد . وهذا معناه اننا نميز مستويات مختلفة من الافكار ، وان المستوى الذي نصل اليه في تعريف الافكار يعتمد على المستوى الذي قبله ، الذي يستلزم بدوره المستوى الذي سبقه . وهكذا حتى نصل الى المستوى الذي لا يمكن الرجوع بأفكاره الى افكار اخرى ، وهذا هو مستوى الافكار الاولى ، وهو الاساس الذي نعتد عليه في التعريف وبناء الافكار

---

(١) تمت بتطبيق الطريقة على مفاهيم اللغة في رسالة الدكتوراه وهي « مبادئ لتحليل اللغة تركيبياً »  
«Prinzipien zur strukturellen Sprachanalyse»  
(Anwendung Logisch-positivistische Sprachanalyse)

منطقياً . ان التدرج في المستويات يذكرنا بنظرية الانماط المنطقية التي تبدأ بالمستوى الاول الذي لا يحتوي غير الافراد ، ثم نرتقي الى مستوى المحمولات ومستوى محمولات المحمولات وهكذا حتى نحصل على شجرة منطقية تتفاوت فيها الافكار من حيث المستوى ، فلا يجوز الخلط بين افكار ومحمولات المستويات ، لان ذلك يؤدي بالنظرية المنطقية الى التناقض .

ان البناء المنطقي للعالم كما اقامه كارناب يبدأ بالاوليات الاساسية ويستمر في تكوين الافكار المختلفة ، فهو يشبه شجرة بدأت من بذرة واخذت تنمو وتمتد وتنضج حتى اثمرت . والافكار التي توصل اليها كارناب بطريقته التكوينية Konstitutionsmethode ترجع الى افكار ، وهذه الافكار ترجع الى اخرى وهكذا ، وعملية الارجاع Zurückführbarkeit هذه تقوم بالتثبت من سلامة البناء من الناحية المنطقية . انها عملية برهانية للتأكد من متانة النظام . وعلى هذا الاساس يجب التمييز بين الاشتقاق Ableitung والارجاع او الرد<sup>(١)</sup> ، فالقضايا تشتق من البديهيات مثلاً ، وذلك باستعمال خطوات منطقية استدلالية تخضع لقوانين استنتاجية معينة . كما يمكن القول ان فكرة ما مشتقة من فكرة او افكار اخرى اذا كانت الاخيرة تستلزم الافكار السابقة بالضرورة . اما الارجاع فانه عملية عكسية تقوم بواسطتها بتحويل القضايا المحتوية على الافكار الى قضايا اخرى محتوية على الافكار السابقة ، شرط ان تكون هذه الافكار من مكونات الافكار الموجودة في القضايا الاولى .

ويمكن وصف نظام كارناب هذا بأنه محاولة لتركيب الافكار والمفاهيم على هيئة درجات متباينة ، وان الافكار التي تبدو في بعض الانظمة التجريبية بسيطة ، تكون بالنسبة لنظام كارناب افكاراً تستلزم افكاراً ابسط ، لانها من

---

(١) استخدم ارسطو طريقة الرد في البرهان على صحة الضروب القياسية ، فقم الضروب الى اقيسة تامة وهي البديهيات واقيسة ناقصة وهي المبرهنات ، وارجع الاقيسة الناقصة الى الاقيسة التامة مستعيناً بقوانين العكس وقانون قلب القضايا وقوانين الخلف .

مستوى منطقي أعلى . فالافكار ذات الدرجات العليا تتألف او تتكون بترتيب منطقي وسلسلة منطقية تكون فيها كل حلقة معتمدة على الحلقة التي سبقتها .

والناحية الاخرى المهمة في نظام كارناب هو الاستعانة باللغة لاهميتها في التعبير عن الافكار والملاحظات ، ففي بناء النظام لنظرية فيزيائية لا نهم بالاشياء ، بل بالافكار التي تؤلف المبادئ الاساسية للنظرية ، ولا يمكن التعبير عن هذه الافكار الا بلغة او برموز . فالنظرية العلمية تصبح مجموعة قضايا ومبادئ تتكون من افكار ضرورية . وهذا الموقف من التجريبيين المنطقيين يميز تجريبيتهم عن النظريات التجريبية القديمة التي اهتمت بالتصورات والاشياء اعتمد نظام كارناب على القضايا لانها تحتوي على الافكار التي بدورها ترجع بعد سلسلة طويلة فتتحول القضايا الحاوية على الافكار العليا بعد هذه السلسلة الى قضايا فيها افكار تشير الى الحوادث والملاحظات . وهذا الانتقال جوهرى وضرورى في نظرية المعرفة اذا اردنا لها ان تكون علمية دقيقة .

ولاجل تحقيق النظام التكويني **Konstitutionssystem** الذي يريده كارناب للافكار ، لا بد من ان تتوفر فيه الشروط المنطقية الآتية : —

١ — يجب ان يبدأ النظام من أوليات غير معرفة ، وهذه الأوليات هي حدود وعلاقات ، لان الحدود وحدها ( من الوجهة المنطقية ) غير كافية لتحقيق البناء ؛ ان العلاقات تقوم بربط الوحدات ببعضها من جهة وتضم وحدات كثيرة مع بعضها من جهة اخرى . فلا بد من وجود علاقات تربط العناصر الاساسية او الوحدات ببعضها ببعض بطريقة تكوينية .

٢ — يجب ان تكون العناصر الأولية — من وحدات وعلاقات — كافية بشكل لا نحتاج الى غيرها في تعريف جميع الافكار ، لان عدم القدرة على تعريف بعض الافكار معناه ان النظام غير كفىء من الوجهة المنطقية . وبعبارة ادق : يجب ان ترجع جميع الافكار

العلمية ذات الدرجات او المستويات العليا الى هذه الوحدات والعلاقات ، واذا ظهر ان احتاج النظام الى وحدات او علاقات اخرى او ظهرت في غير مستوى الاساس افكار لا يمكن ارجاعها الى الاساس فان النظام يعتبر غير سليم في تكوينه وقاصر في تحقيق برهان المثانة .

٣- يجب ان يظهر في التعريفات وفي الحد المعرف بالذات تلك الافكار التي سبق لنا ان عرفناها او الافكار غير المعرفة ، ولا يجوز ذكر افكار جديدة لم تعرف سابقاً ، ولم تكن بين الافكار الاولى ، لأن ذلك اخلال في شروط التعريف .

٤- يجب ان يكون النظام خالياً من التناقض ، فلا نستطيع الحصول على قضية ونقيضها من النظام نفسه ، خاصة اذا عرفنا ان الافكار الموجودة في القضايا يجب ان ترجع الى الاساس ، فتصبح القضية ونقيضها حاوية على افكار غير متفقة ولا يمكن الرجوع بها الى الاساس . واذا حدث ان حصل مثل ذلك ، فان النظام يفقد قيمته العلمية والمنطقية .

كان على كارناب في بنائه المنطقي للعالم وبعد وضوح طريقة البناء ان يختار العناصر الاولى التي تكون الاساس او القاعدة الاولى للنظام . ولأجل ان تكون هذه الخطوة واضحة يجدر بنا معرفة هذه العناصر .

ان تعريف اية لفظة او رمز من الرموز يحتاج الى كلمات او رموز اخرى تحدد معناها ، ولكي يكوى المعنى تام الوضوح يشترط ان تكون الرموز او الكلمات المستخدمة معروفة المعنى ، لان وجود كلمة واحدة في الحد المعرف غير محددة المعنى من شأنه ان يجعل الرمز الذي نريد تعريفه غير واضح وغامض فنحتاج بدورنا الى تعريف الرمز برموز او كلمات اخرى معروفة المعنى . وعندما نشترط تحديد المعنى لا نقصد من وراء ذلك ان تكون له دلالة

موضوعية ، فكثيراً ما نستخدم في التعريفات القاموسية كلمات تشير الى صفات او خبرات حياتية . فليست جميع الكلمات لها دلالات موضوعية ، وان الكلمات او الرموز المنطقية مثل الروابط والثوابت المنطقية ليست لها دلالة موضوعية ، ولكنها ذات وظيفة شكلية وتركيبية معينة ومعروفة . كما ان محاولة كارناب في بناء الافكار العلمية لم تقتصر على الفيزياء فقط ، بل تعدت ذلك الى العلوم الانسانية مثل علم النفس وعلم الاجتماع وكثير من مفاهيم هذه العلوم تعتمد على الخبرات الحياتية . وهذا امر جعل كارناب يفكر بطريقة اخرى علمية تجمع بين الموضوعية والادراك والخبرة . فالتعريف بالاشارة مثلاً يشير في تعيين معنى الكلمة الى شيء مدرك حسياً ، ولكن قد يستخدم التعريف بالاشارة الى حدث او وضعية اجتماعية او الى تعيين معنى الرمز او الكلمة بالرجوع الى معطيات الخبرة *Erlebnisgegeben* . ولمعطيات الخبرة في نظام كارناب الدور المهم في التعريف والبناء ، لانه يعتقد ان جميع الكلمات تعتمد في معناها على معطيات الخبرة ، وان هذه المعطيات هي الاساس التكويني لمعاني جميع الكلمات . فتحديد المعاني يعتمد كلياً على ما ترمز اليه الكلمات من معطيات الخبرة ، ولكننا من جهة ثانية نساأل ما هي هذه المعطيات . ليست تعتمد على الشخص صاحب الخبرة ولا تعتمد على شخص آخر ؟ . الا يمكن ان يقودنا هذا الموقف الى نوع من التجريبية الفردية التي تسمى عادة بالفردية ؟

ان محاولة كارناب بناء مثل هذا النظام التكويني للافكار لم تكن نهائية ولا يمكن لها ان تكون نهائية ، لانها محاولة تخطيطية اراد بها ان يبين انه بالامكان ايجاد نظام تكويني للافكار العلمية جميعاً ، فيكون الاساس لوحدة العلوم<sup>(١)</sup> . ولقد استخدم في النظام مبادئ من المنطق الرياضي واهتدى بطريقته

(١) من الدراسات المهمة في مجال بناء الانظمة وشروطها ما قام به N. Goodman في كتابه « بنية المظهر *The Structure of Appearance* » حيث ناقش فيه نظام كارناب وانظمة مشابهة .

وكانت غايته على ما يظهر حصر العلوم التجريبية في مجموعة افكار ومفاهيم مشتقة بطريقة منطقية من قاعدة تجريبية . وفي سبيل تحقيق هذا الهدف استعان بالتعريف الذي سماه بالتعريف التكويني ويمكن تحديده بما يأتي : - ان تكوين فكرة ما معناه ايجاد قاعدة عامة ، بحيث يكون عقودونا الاستعاضة عن جميع القضايا التي تحتوي هذه الفكرة بقضايا ذات افكار اخرى .

ولما لم تكن جميع الافكار معروفة ، لانه لا بد من وجود افكار غير معروفة ، فان التعريف في درجاته الاولى يعتمد في تحديد معنى فكرة ما على هذه الافكار غير المعروفة Grundbegriffe التي تؤلف اساس الافكار العليا . وعلى هذا الاساس يصبح النظام التكويني معتمداً بأجمعه على قضايا حول افكار من درجات عليا تتحول الى قضايا اخرى تحتوي على الافكار الاولى والمنطقية فقط .

ان عملية تكوين الافكار تسير حسب درجات ، حيث تتكون في بادىء الامر تلك الافكار التي تستلزم او تفترض الافكار الاولى غير المعروفة ، وبعدها تتكون الافكار ذات درجات اعلى تستلزم افكاراً اوطأ وهكذا . ومن الامثلة على ذلك تعريف فكرة التعجيل Beschleunigung التي تعرف بواسطة فكرة تزايد السرعة Geschwindigkeitzunahme والزمن Zeit . وان فكرة السرعة تعرف بواسطة المسير Weg والزمن . اما كيفية تصنيف هذه الافكار في درجات متفاوتة ، فان كارناب يعينها تبعاً لاعتبارات علمية تخص درجة تجريدها . ويمكننا توضيح درجة التجريد لهذه الافكار العلمية استناداً الى تحليل كارناب في كتابه « أسس المنطق والرياضيات »<sup>(1)</sup> ، حيث يرى وجود تباين في التجريد بين مفاهيم الفيزياء والعلوم التجريبية الاخرى ، فبعض الافكار اولية اكثر من غيرها ، لاننا نستعملها في حالات واقعية على اساس من الملاحظات المباشرة اكثر من غيرها من الاشياء الاكثر تجريداً . ويرى كارناب كذلك ان الافكار

(1) Carnap, R., Foundations of Logic and Mathematics P. 61

ذات التجريد العالي بحاجة الى اجراء معقد لحد ما يصل بنا في الاخير الى الملاحظات المباشرة ، كما يرى ان بين المفاهيم الاولى والمفاهيم ذات التجريد العالي توجد مستويات متداخلة كثيرة .

ان الافكار العلمية على هذا الاساس تتدرج في مستويات مختلفة تبعاً لدرجة التجريد ، فتبدأ اولاً الافكار البسيطة القريبة الى الملاحظة والتجربة ، ثم تليها الافكار التي تستلزم هذه الافكار البسيطة ، فتكون اكثر تجريداً من الاولى ، ثم تليها افكار تستلزم الافكار في المستوى الثاني ، وتكون بالطبع اكثر تجريداً منها ... وهكذا . ولعرفة درجة تجريدية الافكار علينا ان نقوم بعملية ارجاعها في خطوات متتابعة ومتلازمة الى الافكار البسيطة القريبة من التجربة .

ان هذا الموقف المنهجي الذي يتخذه كارناب من الافكار العلمية في تكوينها واختلافها في درجة التجريد قريب من موقف البرت آينشتاين في اجاثه الفيزياوية ، مع بعض الاختلافات بالطبع . ففي مقالة لفرانك فيليب F. Philipp عن « آينشتاين والوضعية المنطقية »<sup>(1)</sup> يرى انه بالنسبة لماخ واتباعه ان القوانين الفيزياوية تصاغ بشكل تكون فيها تلك الافكار ذات صلة مباشرة بالملاحظات ، او على الاقل هناك سلسلة فكرية قصيرة تعرف بعلاقتها بالملاحظات مباشرة . ولكن آينشتاين ادرك ان هذا الشرط مبسط جداً ، ففي القرن العشرين تصاغ المبادئ الفيزياوية العامة باستعمال كلمات او رموز تكون لها علاقة مباشرة بالملاحظات بعد سلسلة طويلة من الاشتقاق المنطقية والرياضية .

كان لهذه الافكار الاساسية في علم المناهج الحديث اكبر الاثر في عملية تكوين الافكار وطريقة التدرج بها من القاعدة الى مراتب تجريدية عالية . وقد بني كارناب مذهبه لجميع العلوم التجريبية بعد ان ادرك اختلاف الافكار تبعاً

(1) Schilpp, P.A., Albert Einstein P. 176

لمستوياتها ودرجة تجريدها او من حيث بعدها او قربها من عالم التجربة والملاحظة والحس .

ان المشكلة الاولى التي يواجهها الباحث عند القيام ببناء نظام ما هو اختياره للافكار الاولى التي تعتبر بمثابة اللبنة الاولى في البناء ؟ ولكن هذه اللبنة تبقى غير قادرة على تركيب البناء ما لم تكن هناك مواد رابطة تجعل اللبنة مشدودة الى بعضها ، وكذلك الامر بالنسبة لبناء نظام منطقي تجريبي ، فان علينا اولاً تحديد الافكار الاولى او الأسس التي يقوم عليها البناء . وتلعب العلاقات في الانظمة المنطقية والرياضية الدور الرئيس في عملية البناء .

ان المشكلة بادىء الامر هي : من اين نبدأ البناء ؟

هل نعتد على عالم المشاهدات في اختيار الوحدات الموضوعية ؟ ام هل نعتد على العالم الذي تصوره الفيزياء ، فنختار الافكار الاولى منه ونشتق بقية الافكار بعد المرور بسلسلة من التجريدات ؟ ام يوجد طريق آخر يجمع كل هذه العوالم : عالم الذات الواعية المدركة وعالم المشاهدات وعالم الفيزياء وعالم الناس الآخرين والعالم الحضاري ؟

توقف الاجابة على هذه الاسئلة على وجهة نظر الباحث وغايته . ولاجل ذلك نضع امامنا بعض الاحتمالات الممكنة ونختار واحدة منها هو ما اختاره كارناب .

١ - اذا كان البناء الذي نسعى الى تشييده ينحصر في العلوم التجريبية الفيزيائية فقط ، ويترك مواضيع العلوم النفسية والاجتماعية والحضارية ، فان التركيز في اختيار الاوليات لا بد ان يستند على موضوعية بحث لا مجال للذات فيها . اللهم الا من حيث كونها ذات عارفة ومدركة للموضوع .

٢ - اذا كان البناء الذي يسعى الباحث الى اقامته يأخذ بنظر الاعتبار العلوم التجريبية عامة : الطبيعية والانسانية والحضارية ، بحيث يكون النظام

اساساً لوحدة العلوم ، فان اختيار الاوليات لا يمكن ان يقتصر على  
الناحية الموضوعية البحتة . لذلك لا بد من اختيار اوليات لا تهمل  
في عملية البناء امكانية اقامة عالم الذات الواعية ، وهو عالم « خبرتي  
انا » . ان امكانية هذا البناء معناه ايجاد أسس عامة لجميع الافكار  
العلمية التجريبية ، كما يكون اساساً لمعرفة « عالم غيرنا » .

اختار كارناب الطريق الثاني لاهتمامه بايجاد اساس عام ومشترك لجميع  
الافكار العلمية ، وبعبارة ادق : بناء نظام لوحدة العلوم التجريبية واشتقاق  
جميع الافكار العلمية .

اختار كارناب لتحقيق برنامجه التجريبي الخبرات او « خبرتي انا » او  
« معطيات الخبرة » *Erlebnisgegebeno* . اما السبب في هذا الاختيار فهو ان  
الخبرة سبل من المعرفة المعقدة تتألف من ضروب كثيرة . فالانسان في  
علاقته بالعالم الخارجي يكتسب خبرة ومعرفة ، وفي علاقته بالآخرين في  
مجتمع حضاري يكتسب خبرة ومعرفة ، وفي محاولته العلمية لمعرفة الظواهر  
وتعليقاتها انما يحصل على خبرة كذلك . فالمعرفة بما فيها هذا الكل المعقد ترتبط  
بالانسان ، ولا نقصد بالمعرفة هنا جميع انواعها من ميتافيزيقية وخرافية  
ولاهوتية ، بل المعرفة العلمية التي قوامها التجربة والملاحظة ومعطيات  
الخبرة عند كارناب ليست اجزاء منفردة غير متصلة ، بل هي تيار مستمر  
تفصله علاقات ، ولكن أليست هذه الخبرة متصلة بالذات العارفة ؟

ان موقف كارناب في اتخاذ الخبرة قاعدة لنظريته البنائية انما هو محاولة  
تركيب افكاري او ما يسميها كارناب معطيات او حقائق عقولنا *eigenpsychische*  
وهذا موقف يؤدي الى مذهب التجريبية الذاتية او الفردية ،  
لانه يعتمد في البناء على خبرته ومعطياته العقلية . وان عليه ان اراد التخلص من  
هذه الذاتية الفردية ان يبرهن ان العالم الذي اقامه هو عالم الآخرين كذلك .  
ولكننا كما سنجد بعد ذلك ان عالم الآخرين مرحلة عالية من مراحل التجريد

والتعريف في نظام كارناب . ولقد ادرك هذه الناحية في نظامه المنطقي التجريبي ، وقد سمي منهجه مميزاً طريقته عن الانظمة الميتافيزيقية بالذاتية او الفردية المنهجية *Methodischer Solipsismus* ، وفي رأيه ان هذا الموقف يختلف عن الذاتية الفردية في الفلسفة الميتافيزيقية ، وانه اذا كان اساس النظام التكويني هو معطيات خبرتي ، فان ذلك لا يعني مطلقاً ان هذا الاساس هو خبراتي وحدها هي الحقيقة وكل ما هو غير ذلك ليس له حقيقة ؛ انها لا تعني غير حصر الخبرة بالاشياء التي لا يدركها الفرد كأساس وهي بالطبع خبرات تجريبية وليست سيكولوجية عاطفية او ميتافيزيقية .

يرى كارناب ان اختياره « معطيات الخبرة » كوحدات اساسية في نظامه يرجع الى اعتبارات استمولوجية تمليه عليه طريقته في بناء النظام على أسس من عملية المعرفة واعادة البناء عقلياً<sup>(١)</sup> . كما ان التحليل ضروري في حالة وجود مركبات مؤلفة من عناصر منفصلة غير مجزئة ، بينما لا يمكن تحليل عناصر الخبرة الاساسية الى اجزاء ، لانها غير مؤلفة من اجزاء حقيقية في مركب . والعناصر الاساسية في اي نظام يجب ان تعامل على اساس كونها غير قابلة للتجزئة في ذلك النظام . وعلى سبيل الفرض اذا كانت هذه الوحدات قابلة للتجزئة ، فانها عندئذ لا تصلح ان تكون عناصر اساسية في النظام ، لانها ستكون مشتقة او مركبة من اجزاء ، وان هذه الاجزاء ستكون العناصر الاساسية الحقيقية<sup>(٢)</sup> .

ان معطيات الخبرة التي تمثل الوحدات الاساسية في نظام كارناب التكويني ليست جزءاً من معطيات اخرى ، لان كل خبرة هي اصغر وحدة اساسية ، كما ان اختيار المعطيات كوحدات اساسية او عناصر اولية لا يتضمن القول ان معطيات الخبرة وحدات منفصلة في الخبرة . ومن هذه الاعتبارات جميعها

(1) Carnap, R., *Der logische Aufbau der Welt* § 67

(2) *Ibid.*, §68

يرى كارناب طريقة اخرى لتحقيق نظريته هي الطريقة التركيبية . ففي تيار الخبرة نستطيع ان نميز امكنة Stellen توجد بينها علاقات ، فنستطيع ان نقارن بين الامكنة لنعرف العلاقة بين الامكنة في تيار الخبرة .

فاذا ما اعطيت العناصر الاولى وعلاقة اولية غير معرفة ، فان المشكلة تكون بايجاد طريقة لتعريف المفاهيم والافكار . وما دامت العناصر الاساسية غير مجزئة في النظام ، فان عملية التعريف التي يقترحها كارناب تسمى Quasi-Analyse

ان التحليل في هذا النظام يستعين بأساليب المنطق ، واهم الافكار في هذا المجال ما يعرف بدالة القضية التي تعرف بأنها صيغة فيها متغير واحد على الاقل تتحول الى قضية بمجرد اعطاء قيم لمتغيراتها . وتسمى الدالات ذات المتغير الواحد بالصفات ، وان ما صدقها هو الاشياء التي تحققها . وان مجموعة الاشياء تؤلف ما يسمى بفئة الاشياء التي تعرف بواسطة دالة القضية . واذا كان لدالتين نفس الحدود التي تحققهما ، فان ذلك معناه ان الماصدق فيهما واحد . اما اذا كان لدالة اكثر من متغير واحد ، فهي عندئذ علاقة ، هذا مع العلم ان المتغيرات في الدالة ليست الا رموزاً تشير الى امكنة فارغة يمكن ان توضع فيها حدود كثيرة . فالعلاقة في الصيغة ذات المتغيرات لها الدور المهم في تعيين الشكل ، وان دور العلاقات يشير الى نوع العلاقة ، فاذا كانت العلاقة ثنائية ، فان لها متغيرين ، واذا كانت ثلاثية ، فان لها ثلاثة متغيرات وهكذا .

وعلى الرغم من استخدام كارناب للغة المنطق الرمزي في بناء وتعريف الافكار ، فانه في الوقت ذاته استخدم اللغة المألوفة ولغة واقعية واخرى استنتاجية ، فكان ذلك سبباً في اعتبار محاولته غير دقيقة ومضبوطة ، لان بناء مثل النظام الذي يتوخاه في مجازاة لغة كتاب اصول الرياضيات Principia Mathematica لا بد ان يكون دقيقاً وحاوياً على اللغة الرمزية فقط .

يقوم النظام التكويني على اساس اختيار علاقة او علاقات ضرورية يتم بواسطتها تحديد العناصر الاولى للخبرة . اذ ليست العناصر الاولى سيكولوجية

كما يمكن ان تفهم من اول وهلة ، بل انها مجرد حدود لعلاقات في تيار الخبرة .  
فالعلاقات الاولية وليست العناصر الاساسية هي المكونات الحقيقية للنظام .  
ويختار كارناب علاقة المشابهة . Aehnlichkeitsbeziehung لتقوم بدور  
البناء ، وتصبح الخبرات الاولية اعضاءاً او حدوداً لعلاقة المشابهة .

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال مهم من الوجهة المنطقية هو هل تكفي علاقة  
اولية واحدة غير معرفة لاتمام بناء النظام وتكوين الافكار ؟

يرى كارناب انه لا يمكن اثبات ذلك بصورة قطعية ، ما دام النظام  
التكويني لم ينته بعد ، بحيث يكفي للبناء علاقة اساسية واحدة<sup>(1)</sup> . وان علاقة  
المشابهة بين معطيات الخبرة تصبح معروفة ، عندما تتعقد مقارنة بين خبرة  
اولية حاضرة واخرى تذكرها ، وهذه هي علاقة « تذكر المشابهة  
Aehnlichkeitserinnerung التي تعتبر العلاقة الاولية الاساسية . ثم نعرف بعد  
ذلك علاقة المشابهة الجزئية بأنها علاقة بين خبرتين اوليتين يكون في احدهما  
جزء مكون يشابه عنصراً مكوناً آخر في الاخرى . ثم نعرف دوائر المشابهة  
Aehnlichkeitskreise وصولاً الى فئة الصفات مثل الاحساس والشعور  
وتكون فئات الصفات متشابهة ، اذا كان كل عنصر في فئة يشابه جزئياً عنصراً  
آخر في فئة اخرى . فاذا افترضنا وجود فئتين من الصفات بينها سلسلة من  
الصفات المتشابهة ، فان هذه الفئات من الصفات تنتمي الى حاسة واحدة مثل  
البصر او السمع او غيرها . وهكذا يستعين كارناب بالمنطق الرياضي في الفئات  
لتحقيق بناء المستوى الاول من النظام وهو العلاقة بين الحواس والصفات  
المختلفة التي هي مواضع ادراك الاجهزة الحسية . ثم ينتقل بعد ذلك الى مجال  
اوسع يحدد فيه اولاً مدى الرؤية ليكون اساساً للمكان ، لان مدى الرؤية  
يفترض بعدين فقط ، بينما يفترض المكان ثلاثة ابعاد ، بنفس الطريقة يعرف  
كارناب الزمان او العلاقة الزمنية لعناصر الخبرة . وهكذا تتكون الافكار

---

(1) Kraft, V., Der Wiener Kreis P. 82

الخاصة به لتصبح في المستوى الاول من النظام وهو مستوى عالم المشاهدة Wahrnehmungswelt حيث تتحدد فيه كذلك المكان والزمان والاشياء المدركة حسيًا . ويعرّف المكان والزمان بواسطة فكرة «نقاط الكون Weltpunkte» حيث تتحدد النقطة الكونية بثلاثة ابعاد مكانية . وبعد آخر زماني . ويعرّف كارناب التوافق الزمني بواسطة النقاط الكونية ، فإذا كان لنقاط الكون نفس البعد الزمني كانت متوافقة . وعلى نفس المنوال تصبح الفئة المكانية هي جميع النقاط الكونية المتوافقة زمنيًا .

يظهر من هذه العملية التكوينية ان كارناب يحاول بناء هندسة الكون كما تصوره النظرية النسبية ، وبالفعل فانه يتناول بعد ذلك الانحناءات الكونية بالتعريف لتحقيق هذه الغاية . ولكن العالم الذي نعيش فيه هو عالم نشعر فيه بالاجسام وبالالوان والصفات الاخرى . وهذا امر يستدعي ان نصف النقاط الكونية بالالوان مثلاً . وبالفعل فان كارناب يضيف الى النقاط الكونية الالوان ليعرّف الاشياء المرئية كذلك . ويستمر في الطريق ذاته لبناء بقية العالم الذي نشاهده .

ولكي ينتقل البناء الى مستوى آخر اعلى منه يرى كارناب ان العالم الذي تصفه الفيزياء هو المستوى الذي يفرض نفسه في البناء ، وذلك بعد اهمال الصفات الحسية من عالم المشاهدات واستبداله بالارقام والدقة الرياضية ، فتتجلى في هذا العالم صورة عن العالم الطبيعي الذي تزخر به المعادلات والقوانين الرياضية - الفيزيائية لوصف وتفسير الظواهر الطبيعية .

اما المستويات الاخرى التي تلي في البناء فيمكننا ان نوجزها بالنقاط الآتية :

١ - مستوى عالم الآخرين وفيه يقوم كارناب بنقل عمليات البناء الذاتية الى الآخرين ، ليصل الى نتيجة هامة هي انه لا توجد عقول اخرى من دون اجسام ، وان جميع خبرات الناس الآخرين تحتوي على اعادة ترتيب خبراتي والاجزاء المكونة لها .

٢ - مستوى العالم العقلي او الحضاري . وفيه يقدم كارناب امثلة للاشياء  
الحضارية ومكوناتها وامكانية تكوينها من دون ان يقوم بعملية بناء  
وثيقة مشابهة للمستويات التي سبقت .

واخيراً يميز كارناب استناداً الى نظريته التكوينية العامة بين الحقيقة  
التجريبية التي اكدها في نظامه ، والحقيقة الميتافيزيقية التي لم يذكرها في النظام  
واستبعدها كلياً . فالحقيقة التجريبية يمكن تحديدها تبعاً للطريقة التكوينية في  
النظام ، وبعبارة ادق يمكن للحقيقة التجريبية ان تتكون في النظام ، بينما لا  
يمكن للحقيقة الميتافيزيقية ان تتكون فيه . وبعبارة اخرى ان الحقائق التجريبية  
هي تلك الحقائق التي يسمح النظام بتكوينها ، اما الحقائق الميتافيزيقية فانها تلك  
الحقائق التي لا يسمح النظام بتكوينها .

## الفصل الرابع

### نظرية العلامات

من التطورات الكبيرة التي حدثت في الفلسفة في القرن العشرين ابتعادها عن الاساليب الفلسفية الميتافيزيقية والمادية في بحث العالم الخارجي ، وتركيزها البحث في الناحية اللغوية بأسلوب التحليل المنطقي ، وبذلك تميزت دراسات الفلاسفة عن دراسات علماء اللغة لطبيعة اللغة وابتعادها الاساسية ، لان فيلسوف التحليل المنطقي ينظر الى اللغة من خلال المنطق الرياضي، وغايته صياغة لغة اصطناعية تتجلى فيها الرمزية والدقة والقابلية الاشتقاقية . وهذا معناه ان فيلسوف التحليل المنطقي ينظر الى اللغة على اساس انها حساب منطقي من جهة واداة للتفاهم والنقل الفكري من جهة اخرى . فاللغة بمعناها المؤلف هي نظام مؤلف من اصوات تؤديها الاجهزة الكلامية لتحقيق غرض النقل الفكري والعاطفي بين الناس . اما اللغة بمعناها الواسع فهي نظام مؤلف من رموز ترتب تبعاً لقواعد معينة ، فللرياضيات لغة ، وللفيزياء لغة ، وللعلوم الاخرى لغات ، وغاية فيلسوف التحليل المنطقي هو دراسة هذه اللغات دون الاختصار على لغة الحياة اليومية .

ان التحليل الفلسفي والمنطقي للغة يزودنا بمخاتق كثيرة ومهمة في فهم طبيعة

اللغة وامكانية الاستفادة منها في الدراسات العلمية . وقد قامت جماعة ثينا بالفعل بتطوير هذه الدراسة ، واستطاع احد اعضائها وهو رودلف كارناب تحويلها الى صياغات منطقية بعد ان وجدت دراسة اللغة من قبل الفلاسفة واللغويين والمناطق منطلقات علمية جديدة . فنجد كتاب « معنى المعنى »<sup>(١)</sup> لاولكندن وريتشاردز غزيراً في النتائج والحقائق ، كما نضع ايدينا على ابحاث جارلس موريس في نظرية العلامات<sup>(٢)</sup> وما تنطوي عليه من فروع ، تلك النظرية التي لها اكبر الاثر في ابحاث كارناب في السيمانطيقا<sup>(٣)</sup> والفروع الاخرى . ولا يخفى على الباحث اثر كتابات بلومفيلد<sup>(٤)</sup> وغيره من كتاب علم اللغة في تطوير نظرية العلامات والتمييز بين فروعها وصلتها بالعلوم . ومن اجل ان تكون الدراسة واضحة المعالم يجدر بنا ان نميز بين : —

١ — اللغة باعتبارها اداة للتفاهم والتعاطف ، يستخدمها الانسان في حياته اليومية لنقل خبراته الى الآخرين والاجيال القادمة .

٢ — اللغة العلمية التي تتصف بكونها اصطلاحية من جهة وتخدم اغراضاً غير الاغراض التي تهدف لها لغة الحياة اليومية من جهة اخرى .

لكل علم من العلوم مادة بحث معينة ، فاذا نظرنا الى الفيزياء وجدنا ان العالم الخارجي بما يحويه من اجسام مادية وحركات وآتات زمانية ومكانية وغير ذلك موضوع دراستها . وتقوم البيولوجيا بدراسة الكائنات الحية لتصنيفها وملاحظة تطورها وغير ذلك ، وهكذا يكون لكل علم مادة بحث ويعبر عن نتائج ابحاثه بلغة معينة ذات مفاهيم محددة . فللفيزياء لغة ، وللبيولوجيا لغة ، وللكيمياء لغة ، وقد تتصل هذه اللغات بأواصر نتيجة تشابك حقول البحث .

- 
- (1) Ogden, C.K., & Richards, I.A., The Meaning of Meaning
  - (2) Morris, Ch. W., Foundations of the Theory of Signs
  - (3) Carnap, R., Introduction to Semantics  
Carnap, R., Meaning and Necessity
  - (4) Bloomfield, L., Linguistic Aspects of Science

ان نظرية العلامات تشمل في تحليلها جميع اللغات العلمية وغير العلمية ،  
وتضع نتائج التحليل في اطار يخدم البحث في كل العلوم ، ويساعد على تعيين  
لغة العلم من الفروع التي تنطوي عليها .

اذا نظرنا الى اللغة باعتبارها اداة للتعبير عن الافكار والعواطف والتفاهم  
بين الناس ، فان اول ما يقع نظرنا عليه هو انها سبل من الاصوات التي يطلقها  
الانسان قاصداً نقل ما تجيش به نفسه الى الآخرين . وقد تميز الانسان عن الحيوان  
بتعقيد هذه الاصوات التي ما هي الا اشارات مختلفة يشير بها الى معان واشياء .  
ونجد من جهة اخرى ان هذه الاصوات لا تصدر عن الانسان كيفما اتفق ومن  
دون ان تكون هناك روابط وقواعد ، بل لا بد ان يكون سبل الاصوات  
خاضعاً لقواعد صوتية ونحوية ، والا ضاعت جهود الانسان عبثاً ان لم يراع  
في كلامه مثل هذه القواعد . كما ان الجهد الذي يبذله الفرد في نقل افكاره  
وعواطفه وغيرها بواسطة اللغة لا يحقق الغرض اذا لم تكن المعان والاشياء التي  
يتحدث عنها متشابهة قليلاً او كثيراً عند المستمع ، لان عدم وجود مثل هذا  
التشابه في الموقف يجعل المتحدثين يتكلمون من دون ان يفهم بعضهم بعضاً .  
وبذلك تضعيف الغاية التي يهدف اليها الفرد من حديثه الى الآخرين . ولاجل  
توضيح هذه الحقائق نقدر ان لغة ما يتحدث بها فرد ما وشخص واحد على  
الاقل يستمع الى حديثه ويتجاوب معه ، فاننا نلاحظ ما يأتي :-

أ - سبل من الاصوات ينطقها المتحدث .

ب - استجابة من المستمع تظهر في فهمه للحديث وتبادل الكلام مع  
المتحدث .

ج - حدوث ظواهر سلوكية وحركية في بعض الاحيان وآثار على الوجه .

ان سبل الاصوات يخضع لقواعد صوتية وصرفية ولغوية نحوية ، وان  
الكلمات المنطوقة هنا تمثل رموزاً لمعان واشياء ، وان ما تركه من آثار سلوكية  
هي أرجاع ندل على عملية تبادل وفهم . وانه مما لا شك فيه ان يكون بين

الرموز والتفكير علاقة ضرورية ، ويرى اوكدن وريشاردز ان بين التفكير والرمز علاقات سببية<sup>(1)</sup> . فعندما نستمع الى ما يقوله شخص ما ، فان الرموز تؤثر فينا بشكل يجعلنا نقوم بعمل ما ونتخذ موقفاً يشبه قليلاً او كثيراً موقف المتحدث . وقد حلل اوكدن وريشاردز هذه العملية بالشكل الآتي : -

أ - ان بين الفكر والرمز علاقة سببية ، وقد تكون هذه العلاقة مباشرة في حالة تفكيرنا بشيء قائم فراه ، او غير مباشرة في حالة تفكيرنا بشيء لا تدركه مباشرة .

ب - ان بين الفكر وما يشير اليه علاقة كذلك ، وذلك لان ما يرمز اليه الرمز من فكرة يجعل الفكر على علاقة بالشئ الذي يدل عليه الرمز فالرمز يثير فينا فكرة ما مثلاً ، وتدل هذه الفكرة بدورها على شيء .

ج - ان بين الرمز وما يشير اليه من دلالة علاقة غير مباشرة ، حيث يقوم الرمز مقام الشيء . وعلى هذا الاساس تكون هذه العلاقات على شكل مثلث يكون الفكر في رأسه وعلى جانبيه يكون الرمز والشيء ، فنظهر العلاقات سببية بين الفكر والرمز وبين الفكر والشيء ، بينما هي علاقة غير مباشرة بين الرمز والشيء<sup>(2)</sup> .

الى جانب ذلك نجد المناطق الذين اهتموا بتحليل اللغة من ناحيتها الصورية يلقون اضواءً جديدة على طبيعة العلاقات التي تربط بين الرموز ذاتها من دون الاشارة الى ما تدل عليه هذه الرموز من معان ، اللهم الا تلك المعان التي تحصل عليها نتيجة لعلاقتها فيما بينها في تراكيب منطقية على هيئة متواليات محدودة تخضع لقواعد صورية او منطقية معينة . ونجد في الدراسات المنطقية خير عون لفهم هذه الحقائق ، وهذا امر جعل كارناب يهتم بدراسة التركيب المنطقي

(1) Ogden, & Richards., The Meaning of Meaning P. 10

(2) Ibid., P. 11

Syntax لغة وعلاقته بالفلسفة<sup>(١)</sup> ، وهي الدراسة التي اعطت التجريبية المنطقية دفعاً جديداً في طريق تحقيق برنامجها في وحدة العلوم وتخليص العلم من كل أثر من آثار الميتافيزيقا .

ولكن ذلك لا يعني مطلقاً ان التجريبية المنطقية أهملت الجوانب الاخرى التي تنطوي عليها طبيعة الرموز واقتصرت على بحث الصفات الصورية للرموز ، بل كانت منذ البداية تؤكد اهمية المعنى والدلالة في جميع تحليلاتها ، وان اهتمام موريتز شلك بنظرية المعرفة والدراسات التجريبية يدل دلالة قاطعة على ادراك جماعة فينا لاهمية الرمز من الناحية الصورية التي تتجلى في المنطق والرياضيات ، ومن الناحية التجريبية التي تتجلى في الفيزياء والعلوم التجريبية الاخرى . ولكننا في الوقت نفسه نلمس تطوراً جديداً في اتجاه المدرسة ، وذلك عندما طرح كارناب دراسة السيمانطيقا كنظرية منطقية تخدم العلوم اضافة الى الستاكس وما ينطوي عليه من اهمية في الدراسات المنطقية والرياضية . ولأجل توضيح هذا الاتجاه وغيره يجدر بنا أولاً ان ندرس نظرية العلامات لجاريس موريس باعتبارها الاطار العام الذي يبين أبعاد الرموز الصورية والدلالية والشخصية ، ونبسط امامنا الطريق مفتوحاً للدراسات المنطقية التي طورتها التجريبية المنطقية متمثلة في انتاج كارناب المنطقي .

ان اهتمام كارناب بالستاكس المنطقي للغة في بداية الامر جعله ينظر الى الفلسفة على اساس انها منطق العلم<sup>(٢)</sup> . وان المنطق هو ستاكس لغة العلم<sup>(٣)</sup> . واذا عرفنا كذلك ان مهمة الفلسفة هي توضيح المعنى ، وهو أمر تنطوي عليه فعالية التحليل المنطقي التي يمكن ان ننظر اليها على

(1) Carnap, R., Philosophy and Logical Syntax راجع

(2) Carnap, R., The Logical Syntax of Language P. 279

(3) Ibid., P. 281

اساس كونها عملية توضيح للافكار والرموز وما تنطوي عليه من معان ، فان العمل الفلسفي في تشرح المعنى يتعدى حدود الستاكس او الجانب الصوري للغة الى دراسة علاقة الرموز بالاشياء والاشخاص الذين ينطقون الرموز او يستعملونها . وبذلك ينتقل التحليل الفلسفي الى دراسة خصائص لغوية جديدة تتصل بالبراجماتيقا . وقد بين هذا الاتجاه بشكل قاطع موريس الذي يرى ان مفهوم الفلسفة باعتبارها تطبيقاً لطريقة توضيح الافكار كان متمثلاً باستمرار في المذهب البراجماتيقي الذي يمثلته فلاسفة امريكان من بداية ظهوره حتى الآن <sup>(١)</sup> . واذا عرفنا ان البراجماتيقا تنظر الى اللغة من زاوية بيولوجية واجتماعية تجريبية ، وان جماعة فينا تنظر الى اللغة من زاوية منطقية وتجريبية ، فان نظرة عامة فاحصة لهذه الدراسات المتصلة بجوانب اللغة وابعادها تجعلنا نفهم المعنى التشرحي للمعنى على اساس ان النظرية في المعنى لا بد ان تضم في ابعادها الجانب الصوري والتجريبي والبيولوجي للغة . وهذا هو ما قام به موريس في ابحاثه لبناء نظرية العلامات وما يتفرع عنها .

طرح موريس نظريته في العلامات في بحث له تحت عنوان « أسس نظرية العلامات » <sup>(٢)</sup> بشكل موجز ومنظم ، حيث ناقش فيه طبيعة العلامات والابعاد الحقيقية لها وامكانية دراسة هذه الابعاد كل على حده . والنظرية العامة للعلامات التي يدعو لها موريس هي السيميوطيقا Semiotic ، التي يرى فيها الاساس العلمي لتوحيد العلوم ، لانها تؤلف القاعدة لاي علم يختص بالعلامات مثال ذلك علم اللغة والمنطق والرياضيات وغير ذلك . ولا يخفى على من بحث في طبيعة العلوم وأسسها أنه من الممكن ان

---

(1) Morris, Ch. W., Logical Positivism, Pragmatism and Scientific Empiricism P. 11

(2) Morris, Ch. W., Foundations of the Theory of Signs

تكون السيميوطيقا الاساس الصلب للدراسات الانسانية والحضارية والطبيعية ما دامت هذه العلوم تسعى لبناء هيكلها معتمدة على العلامات . فعلم اللغة مثلاً يهتم بالجانب الصوتي للعلامات والجانب الصوري والسيمانطقي اضافة الى تأكيده على دراسة معاني الكلمات في الاطار الاجتماعي والحضاري والسيكولوجي . ويختص المنطق والرياضيات بالجانب الصوري للعلامات ، بينما تركز العلوم الطبيعية اهتمامها في دراسة العلامات من الناحيتين الصورية والتجريبية معاً .

نستنتج من الحقائق المتقدمة حقيقة هامة هي ان السيميوطيقا اضافة الى كونها علماً تصلح ان تكون اداة هامة لجميع العلوم التي تستعمل العلامات . وتقودنا هذه النتيجة الى القول ان دراسة اللغة هو ما تقصد اليه من دراسة العلامات ، وان هذه الدراسة لا تقتصر على الجانب الصوري للعلامات ، بل تتعدى ذلك الى علاقتها بالاشياء والاشخاص . وما دامت العلوم تستخدم لغات خاصة بها ، فان على السيميوطيقا إذاً مهمة تزويدنا بلغة ممكنة التطبيق على اية لغة خاصة<sup>(1)</sup> .

ويمكننا النظر الى السيميوطيقا من زاوية اخرى اضافة الى اهميتها كعلم يستخدم علامات خاصة لتبيين حقائق هامة حول العلامات ، وذلك باعتبار ان السيميوطيقا كعلم يضم الفروع الاساسية المتعلقة بالعلامات والاشياء والاشخاص ، وهذه الفروع هي التركيب اللغوي او الستاكس Syntax ، والمعنى والدلالة او السيمانطيقا Semantics ، والبراجماتيقا Pragmatics . واذا علمنا ان الستاكس علم يهتم بدراسة العلامات وارتباطاتها بعلامات اخرى في صورتها الشكلية من دون الرجوع الى المعنى والشخص المتكلم ، فان دراسة هذا العلم ستكون محصورة في دائرة واحدة هي تحليل العلامات وعلاقتها ودراسة التراكيب الشكلية

---

(1) Ibid., P. 3

للعبارات اللغوية . وتختلف السيمانطيقا في ناحية هامة هي اضافة الى كونها لا تهمل الجانب الصوري للعبارات ، انها تركز اهتمامها في دراسة المعان والدلالات التي تشير اليها العلامات . اما البراجماتيقا فانها علم يهتم بدراسة علاقة اللغة بالشخص المتكلم والوضعية الاجتماعية . وهذا يدل على ان للناحية السيكلولوجية والاجتماعية وعلاقتها باختلاف المعنى اهمية كبيرة وموضوع دراسة تفصيلية .

بناءً على ما تقدم نجد انفسنا أمام علوم ذات فاعلية كبيرة في تقرير وحدة العلوم . فاذا علمنا ان العلوم تنقسم الى ما يهتم بالناحية الصورية مثل المنطق الرياضيات ، وما يهتم بالدلالة وما تشير اليه العلامات في العالم الخارجي مثل الفيزياء والكيمياء ، وما يهتم بالناحية السيكلولوجية والحضارية والاجتماعية مثل علم النفس والاجتماع والانثروبولوجيا ، ادركنا ما تنطوي عليه علوم الستاكس والسيمانطيقا والبراجماتيقا من اهمية في سبيل وحدة العلوم ، وهو الهدف الذي تسعى له التجريبية المنطقية . نستنتج من التحليل الآنف الذكر ان نظرية اللغة والمعنى تعتمد على دراسة الجوانب المختلفة للعلامات ، بحيث يكون معنى العلامة هو مجموع الابعاد الثلاثة للمعنى .

ان التطور الكبير الذي اصاب أسس المنطق والرياضيات ومحاولة المناطق بناء نظريات منطقية بأسس جديدة ومختلفة<sup>(١)</sup> ، جعل الكثيرين من المفكرين ينظرون الى الطريقة المنطقية على اساس انها مفتاح بناء المعرفة الانسانية بشئى صورها . فمن المعروف في الدراسات المنطقية انه في سبيل بناء نظرية منطقية نحتاج الى افكار او رموز اولية لتؤلف التراكيب الاخرى

---

(١) نذكر المدارس المنطقية الكبرى وهي : المدرسة المنطقية **Logistics** والمدرسة الحدسية **Intuitionism** والمدرسة الشكلية **Formalism** . ويوجد الى جانبها نظريات منطقية اخرى منها منطق القيم الكثيرة ومنطق الكم والمنطق الارتباطي

الأكثر تعقيداً ، ثم نختار بديهيات وقوانين استنتاجية ونبرهن على القضايا الأخرى التي ليست بديهيات . وفي هذا الصدد نجد موريس يقرر أنه بالإمكان بناء نظام استدلالى للسيمبوتيقا بعد تقرير الحدود أو الأفكار غير المعروفة والبديهيات التي تسمح بإشتقاق القضايا الأخرى باعتبارها مبرهنات<sup>(1)</sup> . وعلى الرغم من عدم وجود هذه المحاولة في دراسات التجريبية المنطقية ، إلا أنها ولا شك تؤلف حجر الزاوية في بناء وحدة العلوم . ويعود السبب في عدم تحقيق هذه المحاولة إلى الصعوبة التي تقف في طريق بناء لغة رمزية عامة للسيمبوتيقا ، لأن مثل هذه اللغة معقدة إلى درجة أنه يصعب علينا الإحاطة بها كلياً ، إذ لا بد أن تستوفي بعض الشروط الأساسية إلى جانب الشروط المنطقية المعروفة مثال ذلك : إنها يجب أن تثبت الأساس العام للفروع الداخلة فيها - الستاكس والسيمانطيقا والبراجماتيقا - بحيث يكون بمقدورنا الاستهداء بها عند بناء هذه الفروع بصرف النظر عن طبيعة كل فرع منها . وهناك لا بد لنا من الاستعانة بنظرية العلاقات المنطقية واعتبار الرمز أو العلامة مجرد مفهوم مجرد يرتبط بعلامات أخرى . وهناك صعوبة أخرى هي أن طبيعة الفروع الثلاثة مختلفة ، واختلاف هذه الطبيعة يقرر نوع العلاقة التي تربط الرموز فيها ، وبالتالي صعوبة إيجاد محصلة عامة أو معيار يحتوي خصائص الرموز في الستاكس والسيمانطيقا والبراجماتيقا .

أن نظرة الباحث إلى اللغة واستعمالها في الحياة اليومية واعتبار السيمبوتيقا نظرية عامة للعلامات واللغات تدفعه إلى التمييز بين دراسة اللغة كما هي في الحياة اليومية وما تثيره من مواقف وانفعالات وردود فعل زيادة على الناحية التحوية والسيمانطيقية في تكوين العبارات والإشارة

---

(1) Joergensen, J., The Development of Logical Empiricism  
P. 57

الى المعاني والاشياء في العالم الخارجي ، وبين السيميوطيقا باعتبارها نظرية استدلالية تتألف من بديهيات واشتقاقات . فبالنسبة للناحية الاولى تكون السيميوطيقا وصفية Descriptive Semiotic بينما تكون السيميوطيقا نظرية او بحتة Pure Semiotic في الحالة الثانية . وتبعاً لهذا التقسيم تصبح الفروع الاخرى بين وصفية وبحتة ، فنميز بين ستاكس بحت وآخر وصفي ، وكذلك الامر بالنسبة للسيمانطيقا والبراجماتيقا ، اذ تكون لدينا سيمانطيقا وصفية واخرى بحتة ، وبراجماتيقا وصفية واخرى بحتة . ومن الجدير بالذكر هنا ان كارناب قد اكد في كتابه « الستاكس المنطقي للغة » على دراسة الستاكس البحت والوصفي محاولة منه في بناء لغة منطقية ورياضية من جهة ولغة فيزيائية من جهة اخرى<sup>(1)</sup> . ان التمييز بين العلم البحت والوصفي جعل موريس يوسع من نظراته الى حدود وآفاق علمية اخرى كان لها من جديد اكبر الاثر في تفكير كارناب فيما بعد عند محاولته بناء نظرية في السيمانطيقا<sup>(2)</sup> موسعاً بذلك مجال دراسة التجريبية المنطقية ومضيفاً اليها نتائج علمية جديدة تحقق هدف المدرسة . وقد انعكست هذه النتائج على تفكير كارناب نفسه الذي اعتبر الفلسفة منطق العلم في كتابه « الستاكس المنطقي للغة » على اساس ان منطق العلم هو ستاكس اللغة العلمية ، ثم عاد بعد بحثه في السيمانطيقا الى توسيع مفهوم الفلسفة على اساس انها التحليل السيميوطيقي وازدادة السيمانطيقا الى الستاكس<sup>(3)</sup> . ومعنى ذلك ان اهتمام الفلسفة ينصب على التحليل المنطقي للستاكس والسيمانطيقا والبراجماتيقا ، وان تحديد الفلسفة بأنها منطق العلم يبقى قائماً ما دمنا نقصد بمنطق العلم الستاكس والسيمانطيقا للغة العلم .

(1) Carnap, R., The Logical Syntax of Language P. 78

(2) Carnap, R., Introduction to Semantics P. 9

(3) Ibid., Appendix P. 250

ان تحليل اللغة الى الابعاد الآتفة الذكر يتيح الفرصة لدراسة هذه الابعاد على انفراد وبالدقة العلمية المطلوبة من جهة والتغلغل في فهم العلاقات الصورية والدلالية والاجتماعية والنفسية للغة من جهة اخرى . واذا علمنا ان الحقول العلمية المختلفة تتناول هذه الابعاد على انفراد او مجتمعة ، ادركنا اهمية دراستها وكشف العلاقات التي تربط بينها ، وفهم وظيفة اللغة من نواحيها المختلفة . فمن المعروف ان نظرة المدرسة الصورية الى اللغة تختلف عن نظرة المدرسة التجريبية ، اذ تؤكد الاولى على العلاقات والرموز وارتباطاتها فيما بعضها ضمن تراكيب شكلية لا صلة لها بالاشياء الواقعية . وتقوم الرياضيات البحتة والمنطق بتزويدنا بنتائج هامة حول خصائص العلامات وعلاقاتها الصورية ، وهي المعرفة التي تقع ضمن حدود الدراسة الستاكسية للغة . ومن الممكن دراسة اللغة بما تشير اليه من حقائق ومعلومات وخبرات تجريبية ، وازضافة نتائج البحث العلمي التجريبي الى هذه الدراسة ، لالقاء الضوء على طبيعة اللغة من الناحية السيمانطيقية . واذا علمنا ان الدراسات الطبيعية بما تقوم به من تجارب وابحاث تضع في حسابها مهمة بناء لغة فيزيائية ، ادركنا على الفور اهمية عزل هذا البعد او المظهر ودراسته بامعان . كما لا يخفى علينا دراسة اللغة وعلاقتها بسلوك الافراد والانماط الحضارية والقيم والظواهر البيولوجية ، وهي المعرفة التي تقع ضمن حدود البراجماتيقا .

ومن الجدير بالذكر هنا ان نظرية كارناب في الابعاد الثلاثة متأثرة الى حد كبير بنظرية موريس في العلامات ، مع بعض الاختلافات البسيطة . وقد تناول كارناب نظرية العلامات وحدد موقفه من الابعاد الثلاثة في كتابه « مقدمة في السيمانطيقا »<sup>(1)</sup> ، حيث يرى ان ملاحظتنا للغة اثناء استعمالها تبيّن ان الانسان يقوم باصدار الاصوات والعلامات والاشارات

(1) Ibid., § 4

للتعبير عن شيء . وبذلك نتميز بين ثلاثة عوامل في اللغة هي : الشخص المتكلم ، والعبارة ، والشيء المراد التعبير عنه . وإذا قمنا بتحليل اللغة ، فإن اهتمامنا ينصب في بادئ الامر على العبارات ، بحيث يمكننا الاستغناء عن الاشخاص المتكلمين والاشياء ، على الرغم من ان هذه العوامل موجودة كلما استعملت اللغة ، ولكن بإمكاننا تجريدتها وتحليل اللغة من الناحية الشكلية . ويرى كارناب ان السيميوطيقا هي علم اللغة الذي يحتوي على الستاكس والسيমানطيقا والبراجماتيقا . ويتفق مع موريس في تحديد الستاكس والسيمانطيقا ، ولكنه يختلف في فهمه للبراجماتيقا . يعرف موريس البراجماتيقا بأنها الحقل الذي يهتم بالعلاقات بين المتكلمين والعبارات ، بينما يرى كارناب ان هذا التحديد غير دقيق ، لانه لا يوجد حد فاصل بين دراسات هذا النوع وتلك التي تهتم بالمعان والدلالات (1) .

يظهر من التحليل المتقدم ان اهتمام المنطقة ينحصر في تحليل اللغة الى عواملها وأبعادها وخصائص العلوم التي تقوم بدراسة هذه الابعاد . ولكن بقيت نقطة هامة جدية بالملاحظة هي : اذا افترضنا دراسة اللغة العربية من ناحيتها الشكلية والدلالية والسيكولوجية ، فاننا نضطر الى استعمال عبارات نتحدث عن عبارات اللغة العربية ، فتحليل اللغة قواعدياً يحتاج الى ادوات تحليلية مثل المبتدأ والخبر والفعل والفاعل والمفعول وغير ذلك ، بحيث يكون من الصعب خلط هذا المستوى من العبارات مع المستوى الاعتيادي للغة ، لان اللغة في الحياة اليومية تحتوي على عبارات لها صلة مباشرة بمعاني فكرية او بالاشياء في العالم الخارجي ، اما لغة النحو والصرف فانها تتخذ عبارات لغة الحياة اليومية بالتحليل . فاذا كانت لغة الحياة اليومية شبيهة لارتباطها مباشرة بالعالم الخارجي ، فان لغة النحو والصرف ستكون اللغة التي تحلل اللغة الشبئية . وقد ميز المنطقة بين هذين المستويين

---

(1) Ibid., P. 10

من اللغة : بين لغة الموضوع *Object-Language* واللغة الفوقية *Meta-Language* ، على اساس ان نتائج التحليل والدراسة للغة الموضوع تصاغ بعبارات لغة فوقية . بغض النظر عن طبيعة لغة الموضوع سواء كانت لغة شيئية أو لغة من مستوى ارفع . وهذا معناه اننا عندما نحلل عبارات اللغة الفوقية نحتاج الى لغة ثالثة هي لغة فوق *Meta-Meta-Language* وهكذا . وهنا يطرح المناطقة سؤالاً فلسفياً هاماً هو : هل نستطيع تحليل لغة ما بعبارات تنتمي الى مستوى اللغة ذاتها ؟

يجيب كارناب بالاجاب ، وذلك اننا نستطيع ان نصوغ قواعد وقوانين الستاكس للغة معينة بواسطة اللغة ذاتها . وقد اتخذ كارناب هذا الموقف في كتابه « الستاكس المنطقي للغة » <sup>(1)</sup> حيث ميّز في بادئ الامر بين لغة الموضوع والستاكس المنطقي وهو التمييز المرادف للغة الموضوع واللغة الفوقية ، وصاغ لغة الموضوع ثم تناول ستاكس لغة الموضوع على اساس امكانية وضع القواعد والقوانين الخاصة بالستاكس باللغة ذاتها دون اللجوء الى لغة ثالثة .

ولا بد لنا ان نذكر هنا محاولات المناطقة وعلماء الرياضيات في بحث المنطق والرياضيات من حيث المتانة والاشتقاق وعدم التناقض وغيرها ، وهي الدراسات التي أدت الى نشوء علوم جديدة مثال ذلك الرياضيات الفوقية *Meta-Mathematics* والمنطق القوي *Meta-Logic* ، ويعود الفضل إلى نشوء الرياضيات الفوقية الى دافيد هلبرت الذي كان اول من قام بوضع نظام من القواعد التي تتخذ الصيغ الرياضية موضوعاً لها ، وكانت غايته البرهنة على ان الرياضيات الكلاسيكية خالية من التناقض . واذا دققنا النظر في تمييز هلبرت بين الرياضيات والرياضيات الفوقية

---

(1) Carnap, R., The Logical Syntax of Language P. 53

لوجدنا ان محاولة كارناب في التمييز بين لغة الموضوع واللغة الفوقية لا تختلف عن طريقة هلبرت ، خاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار اهتمام كارناب بان تكون لغة الموضوع لغة رمزية دقيقة تحتوي على الرياضيات الكلاسيكية والقواعد المنطقية ، وان تكون لغة الستاكس نظاماً من القواعد تتخذ صيغ لغة الموضوع موضوعاً لها .

## الفصل الخامس

### الستاكن المنطقي للغة

استفادت جماعة فينا من الدراسات العديدة التي انجزها المنطقة وعلماء الرياضيات في حقل العلوم البرهانية ، وذلك باتخاذها اساساً لخدمة اهدافها في وحدة العلوم وابعاد الميتافيزيقا من نظرية المعرفة والعلم. ولم تقتصر ابحاثها على ما قدمه فريجه ورسل وفتجنشتاين في بحث المنطق وأسس الرياضيات ، بل استفادت من جميع التطورات الاخرى التي شملت المنطق وفلسفة الرياضيات عند المدرسة الشكلية والحدسية ، ناهيك عن محاولات المنطقة في بناء منطق جديد يهتم بالقيم الكثيرة والاحتمالية . وهكذا اصبحت امام اعضاء جماعة فينا حصيلة كبيرة من الدراسات المنطقية تشمل العلوم البرهانية والتجريبية ، فكان عليها واجب توحيد هذه النتائج في اطار نظرية موحدة ، وقد تم تحقيق هذا الغرض عندما نشر كارناب دراسات منطقية متعددة كان اهمها كتابه المعروف «الستاكن المنطقي للغة» <sup>(1)</sup> الذي تناول فيه موضوعات لها نتائج عظيمة

---

(1) Carnap, R., Logische Syntax der Sprache (1934)

في حقل المنطق والرياضيات والفيزياء والفلسفة .

ناقش كارناب في كتابه الموضوعات الآتية :-

١- التركيب المنطقي للرياضيات والفيزياء ، حيث قام ببناء لغتين هما اللغة الاولى « I » واللغة الثانية II .

٢- امكانية بناء ستاكس في اللغة ذاتها ، وهذا الموضوع هو بمثابة الرد على فثجنشتاين الذي يرى انه لا توجد غير لغة واحدة وانه من المستحيل التعبير عن الستاكس ، وأن كل ما نستطيعه هو ان نشير اليه . كما تمثل محاولة كارناب هذه الرد على الرأي القائل ان التحدث عن لغة يستدعي لغة اخرى ، وان تحليل اللغة يستدعي لغة ثالثة وهكذا الى ما لا نهاية .

٣- بناء ستاكس عام لجميع اللغات . وعلى الرغم من ان هذا العمل هو مجرد محاولة غير ناضجة ، الا انها رسمت الخطوط الاولى لبناء الستاكس العام .

٤- علاقة الستاكس بالفلسفة والمنطق والميتافيزيقا . وقد وردت في هذا الموضوع نتائج هامة في طبيعة القضية الميتافيزيقية والاختفاء التي يقع فيها فلاسفة الميتافيزيقا .

ان اللغة التي يتحدث عنها المنطقة في ابخاشهم الصورية ليست لغة الحياة اليومية ، بل لغة رمزية تتميز بالدقة والوضوح ، تتحكم في تكوينها قواعد ثابتة ، وتتجلى فيها الاشتقاقية بعد تثبيت الصيغ الاولى فيها والقوانين الاستنتاجية . ويفضل المنطقة الابتعاد عن لغة الحياة اليومية ، لانها غير دقيقة وغامضة وليست منطقية في قواعدها البنائية . وتبقى امامهم مهمة بناء لغات اصطناعية او رمزية لتحقيق شرط الاشتقاقية من جهة والغاية التي يتوخاها عالم المنطق من جهة اخرى .

فبالنسبة لكارناب فان هدفه يتجلى في بناء لغة رمزية للمنطق

والرياضيات والفيزياء ، لذلك اختار عدداً من البديهيات او القضايا  
الاولية للعلوم التي يسعى الى ضمها في النظرية ، ليستطيع اشتقاق قضايا  
اخرى مهمة . وفي سبيل بناء اللغة الرمزية التي هي لغة الموضوع عند  
كارناب نميز بين نوعين من القواعد :

القواعد البنائية Rules of Formation و القواعد التحويلية Rules of Transformation .  
تحدد في القواعد البنائية الافكار الاولية والتعريفات  
الضرورية وكيفية بناء القضايا الصحيحة البناء واستبعاد تلك التعابير التي  
لا تصلح لأن تكون قضايا في النظام او النظرية . اما في القواعد التحويلية  
فتجلى فيها خاصية اللغة الاشتقاقية ، حيث يجب تثبيت القضايا الاولية  
او البديهيات التي تتألف منها اللغة ، كما يجب تعيين القوانين الاستنتاجية  
والبديهيات التي يتم بموجبها اشتقاق قضايا جديدة ؛ وفي هذه الزاوية  
تكمن الخاصية الحسابية والمنطقية ، ولاجله نستطيع القول ان الحساب  
هو نظام مؤلف من قواعد ذات صلة بالرموز وما يترتب عليها من ارتباطات  
في صيغ ، وتكون لهذه القواعد القدرة على تعيين الشروط التي يجب ان  
تستوفيها الصيغة لتكون صحيحة البناء ، وتعين الشروط التي يتم بموجبها  
اشتقاق قضية من قضية او اكثر . وعلى ضوء هذا التحديد للحساب  
المنطقي تصبح اللغة هي الحساب ، وتصبح الافكار الاولية هي الف باء  
اللغة ، كما تعتبر القضايا الاولية هي قضايا اللغة الاساسية : والقضايا  
المشتقة هي تلك التعابير التي تعتمد على القضايا الاساسية .

ان اعتماد المناطقة على الحساب في تحليلهم المنطقي وفي بناء اللغات  
المنطقية يجعل مهمة المنطق محصورة في ناحية واحدة من اللغة هي الخوصية  
الشكلية التي تصبح بدورها مادة لتحليل الستاكس المنطقي . ويكون  
الستاكس المنطقي بمعناه الواسع ليس الا شيئاً مساوياً لتكوين الحساب  
واستخدامه<sup>(1)</sup> . واذا كانت الناحية الشكلية والتركيبية في اللغة اساس

---

(1) Carnap, R., The Logical Syntax of Language P. 5

دراسة الستاكس المنطقي ، فان التمييز بين نوعين من الستاكس يصبح ضرورة منطقية ، وذلك بالنسبة للعناصر التي تؤلف الحساب وعلاقاتها فيما بينها من جهة وعلاقة هذه العناصر بالخبرة والتجربة من جهة اخرى . ولتوضيح هذه الحقيقة نأخذ على سبيل المثال هندسة اقليدس في صورتها الشكلية ، حيث تألف من بديهيات وقوانين استنتاجية ومبرهنات تشتق من المقدمات تبعاً لخصائصها الصورية من دون حاجة الى اثباتها بالرجوع الى علم الخبرة والتجربة . ولكننا في الوقت نفسه لا ننكر ما للهندسة من اهمية في الحياة اليومية وتطبيقات كثيرة ، وهذا امر يجعلنا نتميز بين الهندسة البحتة والهندسة التطبيقية او الفيزيائية . وينطبق الشيء ذاته على الستاكس اذ يميز كارناب بين الستاكس البحت والستاكس الوصفي<sup>(1)</sup> ، وذلك لاهتمام الاول بالبناء الرمزي للتعبير من دون الاشارة الى الاشياء التي تشير او تدل عليها الرموز والصيغ ، واعتماده في تكوين اللغة على ترتيب الرموز وعلاقاتها الصورية وتعيين الصيغ الصحيحة البناء لتكون الاساس في الحساب ، بينما يهتم الستاكس الوصفي بالناحية الصورية للغة مع مراعاة الناحية التجريبية وما تشير اليه الرموز من حقائق . وتكمن اهمية التمييز هذا في نظرة كارناب الى الرياضيات البحتة والفيزياء واختلاف طبيعة القضية في كل منهما على الرغم من اتفاق العلمين في بناء اللغة ستاكسياً او صورياً . فالرياضيات البحتة ليست الا مجموعة رموز ترتب في صيغ تبعاً لقواعد ستاكسية معينة من دون ان يكون للرمز او للترتيب اية علاقة بالناحية التجريبية ، بينما تعتمد الفيزياء في الثبوت من نتائجها على التجربة والخبرة ، فلا بد ان يكون لرموزها وصيغها اضافة الى خصائصها الصورية جوانب تجريبية .

وتظهر الغاية الاساسية التي يتوخاها كارناب في بناء حساب اللغة

(1) Ibid., P. 76

مستعيناً بالدراسات المنطقية المختلفة هي : -

١- إيجاد طريقة دقيقة في بناء قضايا حول القضايا ، وهي طريقة الستاكس المنطقي . فمن المعروف ان تحليل لغة ما مهما كان نوع تركيبها يحتاج الى لغة اخرى نعبر بها عن نتائج التحليل . وغاية كارناب هي في بناء طريقة يكون بمقدورنا بواسطتها صياغة نتائج التحليل للغة الموضوع في اللغة ذاتها .

٢- إيجاد نظام من رموز ( لغة ) لنستطيع بواسطته ان نصوغ بدقة نتائج التحليل المنطقي من جهة ولاشتقاق قضايا جديدة بعد الاستعانة بالقوانين الاستنتاجية من جهة اخرى .

٣- تحويل الفلسفة كلياً الى منطق العلم ، والقضاء نهائياً على الآثار الجدلية والميتافيزيقية فيها . وبذلك تصبح مهمة الفلسفة محصورة في التحليل المنطقي لمفاهيم وقضايا العلوم من دون ان تزج نفسها في مسائل ليست من اختصاصها . ويكون المنطق ( بالنسبة لكارناب في كتابه الستاكس المنطقي للغة ) ليس الا الستاكس المنطقي للغة العلم .

٤- بالاضافة الى ما تقدم يزودنا الحساب المنطقي بالمعدات الضرورية لبحث طرق ومناهج العلوم وإيجاد مسالك جديدة تغني البحث العلمي . وهذا ما قام به كارناب في صياغة الستاكس على هيئة لغتين : - اللغة الاولى وهي لغة بسيطة التركيب ومحدودة المفاهيم ، واللغة الثانية وهي لغة غنية بضروب التعبير ، وتشتمل على جميع القضايا الخاصة بالرياضيات الكلاسيكية والقيزياء الكلاسيكية .

٥- توسيع النظرية المنطقية وعدم تحديدها باللغة المنطقية الرياضية فقط . فقد كانت نتائج بحث كارناب ذات دلالات مهمة ،

لأنها لم تقتصر على الدراسات المنطقية البحتة ، بل اهتمت كذلك  
بالتاحية التجريبية اضافة الى الصور والاشكال التي ينطوي  
عليها الستاكس البحث . وهذه نقطة جوهرية ، لان القضايا  
التجريبية تؤلف اساس العلوم الطبيعية ، وهي ذات محتوى  
حقيقي ، بينما القضايا الستاكسية تحليلية ، وليس لها محتوى  
حقيقي .

٦- الاستفادة من الطريقة الحسابية Arithmetization التي  
استحدثها كورت جودل واستخدمها في مقالته المشهورة «حول  
القضايا الصورية غير المقررة» لاصول الرياضيات » والانظمة  
ذات القرابة له <sup>(١)</sup> . فقام كارناب بتطويرها في التعبير عن ستاكس  
اللغة في اللغة ذاتها . فمن المعروف ان الخلط بين مستويين  
مختلفين يؤدي الى حدوث متناقضات ، فلا يمكن مثلاً وضع  
رمز او صيغة من مستوى معين مع رمز او صيغة من مستوى  
آخر مختلف على قدم المساواة . اما الطريقة الجديدة لجودل والتي  
استخدمها كارناب في بحثه ، فانها تلغي امكانية حدوث  
المتناقضات .

يتضح من تحليل كارناب للغة بمعناها الواسع وبناء لغة رمزية دقيقة  
انه في سعيه يتوخى بناء حساب منطقي Logical Calculus تتجلى فيه  
الدقة المنطقية من جهة ويساعد الباحثين في مجالات التحليل العلمي والفلسفي  
من جهة اخرى . والحساب في مفهوم كارناب نظام يتألف من قواعد  
ذات صلة بالرموز وعلاقاتها لبناء الصيغ المختلفة . والصيغة او العبارة

---

(1) Gödel, K., Ueber formal unentscheidbare Sätze der  
Principia Mathematica und verwandter Systeme  
(1931)

تصبح مجرد متوالية نهائية او محدودة من هذه الرموز . وتقوم القواعد بتعيين الظروف التي يتم بموجبها القول . ان صيغة ما تنتمي الى فئة معينة من العبارات في الحساب . كما ان لقواعد الحساب الدور المهم في تعيين الظروف التي يمكن لعبارة او اكثر ان تتحول الى عبارة او عبارات اخرى . فاذا كانت لدينا قضية ما مؤلفة من رموز مترابطة بطريقة معينة ، وقضية اخرى مؤلفة من رموز مترابطة بطريقة اخرى ، فانه من الممكن ان تكون الثانية مشتقة او مستنبطة من الاولى . وهكذا يصبح مفهوم اللغة عند كارناب مجرد حساب منطقي .

وعندما يتحدث المناطقة عن اللغة كحساب ، فانهم يضعون امامهم مهمة تمييز واضحة بين المفاهيم والرموز ، بحيث يكون لكل رمز مفهوماً منطقياً لا يتجاوزه اضافة الى تعيين القواعد البنائية في كيفية تركيب العبارات البسيطة والمركبة واستبعاد تلك العبارات التي لا تخضع لقواعد الستاكس ، ثم اشتقاق الصيغ بطريقة منطقية معينة ، بحيث لا يمكن اشتقاق القضية ونقيضها من الحساب المنطقي . فاذا كانت اللغة المقترح تكوينها مؤلفة من رموز او مفاهيم محدودة ، فان ظهور هذه الرموز في الصيغة او القضية لا يكون اعتباطاً وكيفما اتفق ، بل لا بد من وجود قواعد لضبط ترتيب الرموز في الاماكن التي تسمح بها القواعد . فنقول مثلاً ان التعبير ( او الصيغة ) كذا يظهر في اللغة كذا على اساس انه قضية اذا كان يحتوي على رموز مرتبة بطريقة كذا وكذا وانه ينتمي الى فئة كذا وكذا من العبارات . والى جانب ذلك كله لا بد من تعيين قوانين الاستدلال المنطقي ، فاذا صادف في حساب منطقي ما ان وجدت صيغة هي بدئية تحتوي على رموز مرتبة بطريقة معينة وصيغة اخرى ليست بدئية تتألف من ترتيب آخر من الرموز ، فان الصيغة الثانية يمكن ان تكون مشتقة من الاولى . اما اذا صادف امكانية اشتقاق القضية A من الحساب المنطقي ، وامكانية اشتقاق نقيضها (  $\neg A$  ) ، فان الحساب المنطقي الذي يسمح باشتقاق

القضية وتقيضها يفقد صفته المنطقية كلياً ، ويعتبر فاسداً من الوجهة المنطقية ، لأن متانة الحساب المنطقي تقاس بخلوه من التناقض وعدم السماح باستنتاج القضية وتقيضها منه .

يبدأ كارناب ببناء لغة الموضوع ، وهي لغة رمزية دقيقة يطلق عليها تعبيراً « اللغة الاولى » تمييزاً عن لغة الموضوع الاخرى التي يطلق عليها تعبير « اللغة الثانية » ، وللتمييز هذا مبررات منطقية اهمها ان اللغة الاولى تحتوي في جانبها الرياضي على نظرية الاعداد الطبيعية بطريقة لا تظهر فيها غير الصفات العددية المحدودة ، بينما تحتوي اللغة الثانية اللغة الاولى كجزء منها ، يضاف اليها مفاهيم غير محدودة ونظرية الاعداد الحقيقية والتحليل الرياضي ونظرية الفئات . ولا تقتصر اللغتان على الجانب الرياضي فقط ، بل تتعدى ذلك الى الفيزياء ، ففي اللغة الثانية مثلاً يمكن صياغة الفيزياء الكلاسيكية والنسبية . وهذا يدل على ان كارناب قد تجاوز في بناء المنطق حدود القضايا التحليلية ليضم الى نظريته امكانية بناء قضايا تجريبية ذات صلة بالعالم الخارجي .

وفي سبيل بناء اللغة الاولى لا بد من تثبيت القواعد البنائية ، حيث يتناول كارناب اول الامر الف باء اللغة الرمزية او الرموز المستعملة بها بالطريقة الآتية : -

١- ان عدد الرموز المستعملة في اللغة الاولى احد عشر ، منها الروابط المنطقية وهي النفي والبدل والعطف والالزام والذاتية يضاف اليها الثابت المنطقي المحدود « يوجد واحد على الاقل » والثابت او المعامل الوصفي « K » والتابع في نظرية الاعداد الطبيعية .

٢- يميز بين نوعين من الرموز هي المتغيرات العددية باعتبارها تشير الى امكنة نستطيع وضع الاعداد فيها ، والثوابت العددية

وهي الاعداد ( ٠ ، ١ ، ٢ ، ٣ ... الخ )

٣- تقوم الروابط المنطقية ببناء قضايا مركبة من القضايا البسيطة  
مثال ذلك - ق ، « ق ٧ ل » ، « ق ٨ ل » ، « ق - ل » ، « ق = ل »  
على اساس ان ق ، ل متغيرات قضايا ، وان الرموز - ٧ ،  
٨ ، - ، = تشير على التوالي الى النفي والبدل والعطف  
والالزام والمساواة . ويحدد جداول قيم الصدق لكل رابطة من  
الروابط بالطريقة المعروفة في المنطق الحديث .

٤- يميز بين الرموز المعرفة والرموز غير المعرفة . ويضع القواعد  
للتعريفات ، ففي التعريف تميز بين الحد المعرف *Definiendum*  
والحد المعرف *Definiens* . ويختلف التعريف الواضح او  
البسيط *Explicite Definition* عن التعريف المركب *Regressive*  
*Definition* بان الرمز الذي يعرف بالنسبة للنوع الاول لا  
يظهر الا في الحد المعرف فقط ، بينما يتألف النوع الثاني من  
قضيتين يظهر الرمز الذي نريد تعريفه في الحد المعرف للقضية  
الثانية .

ويستعمل كارناب لغة عددية في اللغة الاولى بدلاً من لغة الاسماء ،  
فمن المعروف في المنطق اننا نستعمل الاسماء للإشارة الى الاشياء ، في  
حين يرى كارناب ان الطريقة العددية افضل من لغة الاسماء ، حيث  
يشير العدد الى الوضع او المكان فنقول مثلاً ان « المكان ٣ اكثر حرارة  
من المكان ٥ » . ولهذه الطريقة فوائد منطقية اذ نستطيع ان نقول مثلاً  
ان « كل الامكنة حمراء » او « يوجد مكان واحد على الاقل احمر »  
في حالة الكلية والوجودية .

ويضيف كارناب الى ذلك كله قضايا عددية مستعملاً ايها في اللغة  
الاولى ، لان هذه اللغة تضم في بنيتها بعض القضايا الاساسية لعلم

الحساب والذاتية . ثم ينتقل بعد الخطوة الاولى في البناء الى الخطوة الثانية التي تشتمل على القوانين التحويلية للغة الاولى . ويذكر كارناب عدداً من القضايا الاولى او البديهيات الخاصة بالمنطق والرياضيات والقيزياء ، والتي يمكن تصنيفها على النحو الآتي : -

١ - ثلاث بديهيات لمنطق القضايا .

ب - ثلاث بديهيات لمعامل القضايا Sentential Operators

ج - قضيتان او بديهيتان للذاتية

د - بديهيتان لعلم الحساب البسيط

هـ - بديهية للمعامل الوصفي

اما الخطوة التالية فهي تعيين القواعد الاستنتاجية للغة الاولى ، حيث يقدم كارناب اربع قواعد استنتاجية هي : -

١ - قانون التعويض Rule of Substitution

٢ - قانون الروابط Rule of Junction

٣ - قانون الالتزام او الشرط المنطقي Rule of Implication

٤ - قانون الاستقراء التام Rule of Complete Induction

لقد استخدم المناطق قانون التعويض والشرط المنطقي في المنطق ، ولم يذكر رسل في منطق الرياضيات . قانون الروابط لسبب منطقي بسيط هو اتخاذه النفي والبدل لامعرفات عرّف بواسطتهما العطف والالتزام والمساواة . اما بالنسبة لكارناب فانه اعتبر الاحد عشر رمزاً ومنها الروابط المنطقية لامعرفات ، لذلك وضع قانون الروابط ليقوم مقام التعريفات عند رسل . اما قانون الاستقراء التام فانه يمثل احدى البديهيات الخمسة في حساب بيانو وتسمى بديهية الاستقراء الرياضي ، وقد ادخله كارناب في جدول القوانين الاستنتاجية لبناء نظرية الاعداد الطبيعية .

اما الخطوة الاخرى في النظرية المنطقية فمهمة ، خاصة انها تبين

قدرة الحساب المنطقي او اللغة الرمزية على اشتقاق قضايا جديدة. وفي هذا المجال يحدد كارناب بعض المفاهيم الضرورية بالشكل الآتي :-

١- نفترض وجود متوالية محدودة من مقدمات او قضايا . فيحدد كارناب الاشتقاق **Derivation** انه متوالية محدودة من قضايا . بحيث تكون كل قضية في المتوالية احدى المقدمات او قضية تعريف او قضية مشتقة من قضية او اكثر من القضايا التي تسبقها في المتوالية .

واذا كانت لدينا قضية ما وكانت القضية الاخيرة في الاشتقاق « المتوالية » وسبقها مقدمات ، فان القضية المذكورة تكون مشتقة **Derivable** من المقدمات .

٢ - اذا كانت لدينا قضية ما ، فانها تكون قضية مبرهنة **Demonstrable** اذا كانت مشتقة من متوالية خالية من مقدمات ، وبذلك تكون مشتقة من اية متوالية من مقدمات ، وبعبارة اخرى : ان قضية ما مبرهنة اذا كان بالامكان الحصول عليها من القضايا الاولى او البديهيات بمساعدة القوانين الاستنتاجية .

٣- ان قضية ما في اللغة الاولى تكون تحليلية **Analytic** اذا كانت ناتجة من فئة فارغة لقضايا . وان قضية ما في اللغة الاولى تكون متناقضة **Contradictory** اذا كانت كل قضية ناتجة منها . وتكون القضية تركيبية **Synthetic** اذا لم تكن تحليلية او متناقضة .

وفي اللغة الرمزية الاولى يعطينا كارناب قائمة من المبرهنات **Theorems** منها ما يسمى عادة قانون الثالث المرفوع والنفي المزدوج وغير ذلك . ينتقل كارناب الى النقطة التي اختلف بها عن اسلافه في امكانية صياغة الستاكس في اللغة ذاتها ، فيتخذ اللغة الاولى اساساً لصياغة الستاكس مبيناً امكانية صياغة الستاكس في لغة الموضوع الاولى من

دون حدوث متناقضات . وفي سبيل تحقيق ذلك يجب صياغة بناء الستاكس على هيئة تعريفات حسابية ، بحيث تكون جميع الرموز المستعملة في التعريفات هي الرموز المنطقية الاولى للغة الاولى او رموزاً تحتاج الى تعريفات . ويقدم كارناب قائمة من التعريفات الستاكسية تتناول الحدود العامة<sup>(١)</sup> وقوانين البناء<sup>(٢)</sup> وقوانين التحويل<sup>(٣)</sup> .

ان الذي نلاحظه في لغة الموضوع الاولى انها محدودة وغير غنية بالمفاهيم الرياضية والفيزيائية ، لذلك فان الخطوة الاساسية التالية هي في صياغة لغة ذات مفاهيم غير محدودة وتحتوي على مبادئ وقوانين لا يمكن التعبير عنها في اللغة الاولى ، ويسمى كارناب هذه اللغة ، اللغة الثانية . واهم ما تمتاز به اللغة الثانية انها تضم اللغة الاولى كجزء منها ، بحيث تصبح جميع الرموز للغة الاولى هي رموز للغة الثانية وجميع القضايا للغة الاولى هي قضايا للغة الثانية . واذا عقدنا مقارنة بسيطة بين اللغتين امكننا ببساطة ملاحظة سعة اللغة الثانية في المفاهيم والقضايا .

١ - اقتصرت اللغة الاولى على المفاهيم المحدودة ، بينما تحتوي اللغة الثانية على مفاهيم غير محدودة .

٢ - تحتوي اللغة الاولى في حقل الرياضيات على حساب الاعداد الطبيعية بطريقة محدودة تطابق وجهة نظر المنطقة الحدسية ، بينما تحتوي اللغة الثانية على جميع فروع الرياضيات الكلاسيكية .

٣ - ان اللغة الاولى بسبب محدوديتها لا تستطيع التعبير عن القوانين الفيزيائية ، بينما تحتوي اللغة الثانية على قضايا عامة او قوانين فيزيائية للفيزياء الكلاسيكية والنسبية .

---

(1) Carnap, R., The Logical Syntax of Language §20

(2) Ibid., §21

(3) Ibid., §23

٤ - لغة الاولى قائمة معينة للبديهيات او القضايا الاولى ، ولغة الثانية قائمة معينة للبديهيات ، ولكن تمتاز ببديهيات اللغة الثانية انها اكثر عدداً من ببديهيات اللغة الاولى ، اذ تضم ببديهيات حساب المعامل غير المحدود وحساب المعاملات الوصفية وبديهية الاستقراء الرياضي وبديهية الاختيار Axiom of Selection ( او ببديهية التعدد في نظام رسل المنطقي )

اضافة الى ما تقدم توجد اختلافات اخرى ذات صلة باختلاف مستويات الانماط المنطقية للرموز في اللغة الثانية وعدم وجودها في اللغة الاولى .

ويمكننا استعراض جدول ببديهيات اللغة الثانية بالشكل الآتي :

- ١ - ست ببديهيات لحساب القضايا .
- ب - ثلاث ببديهيات لمعاملات القضايا (محدودة) ، حيث يستخدم كارناب الثوابت المنطقية او اسوار القضايا المحدودة وهي « الكلية والوجودية » .
- ح - ببديتان للذاتية .
- ء - ببديتان لعلم الحساب
- هـ - ببديتان للمعامل الوصفي K
- و - اربع ببديهيات لمعاملات القضايا ( غير محدودة )
- ز - ببديهية الاستقراء التام
- م - ببديهية الاختيار او التعدد
- ط - ببديتان للماصدية Extensionality

واقصر كارناب في اللغة الثانية على ذكر قانونين من القوانين الاستنتاجية هما قانون الالتزام او الشرط المنطقي وقانون المعامل الكلي . اما القوانين الاستنتاجية التي ذكرها في اللغة الاولى ، فانه اعتبرها ببديهيات في اللغة الثانية . فقانون الروابط الذي يشمل على امكانية استبدال قضية فيها رابطة

باخرى قد تحولت القضايا فيه الى بديهيات حساب القضايا . اما قانون الاستقراء التام فتحول الى بديهية في اللغة الثانية . ولا يرى كارناب اي ضير او عقبة تمنع قيام عالم المنطق بمثل هذه العملية <sup>(١)</sup> .

اما بصدد تعريف الاشتقاق والقضية المشتقة والقضية المبرهنة في سنناكس اللغة ، فانها اي التعريفات تبقى كما هي في اللغة الاولى . ولكن تغييرات تطرأ على تعريف التحليلية والمتناقضة وغيرها من المفاهيم الستاكسية المهمة في اللغة الثانية . وتبعاً لطبيعة اللغة الثانية ، فان نتائج ابحاث كورت جودل في القضايا غير المقررة ، تجد لها صدى في ابحاث كارناب ، وهذا معناه انه من الممكن الحصول على قضية لا يمكن البرهان عليها في تلك اللغة . وتبرز مشكلة منطقية تتعلق بمعيار صحة قضية ما في اللغة الثانية وهو الموضوع الذي اولاه كارناب اهتماماً خاصاً ، حيث ميز ثلاثة انواع من معايير الصحة هي المعيار المحدود وطريقة الاشتقاق وطريقة التتابع *Method of Consequence* ، وكانت غايته ايجاد معيار تام للصحة . فبالنسبة للمعيار المحدود ، فان الطريقة المقترحة للثبوت من صحة قضية في اللغة التي تحتوي على الأسس المنطقية للرياضيات تناول كل حالة لتقرير صحتها بعدد محدود من الخطوات ، وبذلك يمكن حساب صدق او كذب كل قضية ، ولكن بحث جودل في القضايا غير المقررة قد اوصد الباب امام مثل هذه المحاولات . فلا يمكننا ايجاد مثل هذا المعيار لكل القضايا . اما بالنسبة للمعيار الثاني الذي يستخدم طريقة الاشتقاق فهو المستعمل بكثرة في الدراسات المنطقية الحديثة والتي تناول أسس الرياضيات . فهي تقدم قائمة من البديهيات وقوانين استنتاجية يبرهن بواسطتها على القضايا الاخرى . فاذا كانت قضية ما مشتقة منطقياً من النظام فهي إذاً صادقة او صحيحة ، ولكن هل نستطيع الجزم بان القضية غير المشتقة من النظام غير صحيحة ؟ لقد اثبت بحث جودل ان

(1) Ibid., §31

جميع الانظمة التي تتناول الأسس المنطقية للرياضيات غير كاملة ، لانه تبقى لدينا قضايا غير مشتقة او غير مقررة خارجة عن النظام ، وانه مهما اضفنا بدسيات اخرى فان النظام يبقى غير كامل . وعلى هذا الاساس يبقى امامنا المعيار الثالث الذي يرى فيه كارناب المعيار التام للصحة ، لان الطريقة الاستدلالية فيه تعتمد على عدد غير محدود من الخطوات ومن دون ان يكون عدد المقدمات متناهياً . وهنا يستخدم كارناب فئات القضايا التي يمكن ان تكون لا متناهية في العدد بدلاً من القضايا كافراد . ولتحقيق طريقته يعرف « التحليلية » بطريقة تنطبق فقط على جميع القضايا الصحيحة من الوجهة المنطقية والرياضية في اللغة الثانية ، ويعرف « المتناقضة » بطريقة تنطبق على جميع القضايا الكاذبة من الوجهة المنطقية والرياضية . ولما كانت اللغة الثانية تحتوي على قضايا تركيبية ذات صلة بالعالم الخارجي ، فان تعريف « التركيبية » يقتصر على القضايا غير التحليلية وغير المتناقضة .



## الفصل السادس

### نظرية المعنى والدلالة

( السيمانطيقا )

اهتم أعضاء جماعة فينا منذ البداية بتحليل اللغة المستعملة في الحياة اليومية وفي العلوم ، وكانت غايتهم تركز حول دراسة العوامل التي تولد اللغة وأسس المعرفة التجريبية والرياضية . وقد ساهم رودلف كارناب في تحقيق الكثير من أهداف المدرسة سواء في الحقل الرياضي او التجريبي ، كما عمل على تطوير مفاهيم جديدة كان لها الفضل الكبير في اعطاء التجريبية المنطقية صيغة الشمولية في جميع فروع المعرفة . وقد ظهرت في الوقت ذاته اختلافات في وجهات النظر بين أعضاء الجماعة تتصل بأسس المعرفة التجريبية وبناء النظريات وفلسفة المناهج العلمية . وعلى الرغم من الاختلافات التي ظهرت في تحليل أسس المعرفة التجريبية ومنهجيتها ، الا اننا نضع ايدينا على نقاط اساسية كان لها اكبر الاثر في تطوير الفلسفة التجريبية لجماعة فينا .

وجدنا في تحليلاتنا السابقة للجوانب التحليلية للغة ان العلوم الاساسية

لدراسة هذه الجوانب هي الستاكس والسيمانطيقا والبراجماتيقا ، وانضج لنا ان الستاكس المنطقي الوصفي يعنى بلغة الفيزياء ، بينما يهتم الستاكس المنطقي البحث بلغة المنطق والرياضيات . وتبعاً لتعريف السيمانطيقا تصبح لغات العلوم التجريبية مادة لها ، لان القضية التجريبية تركيبية تعتمد في صدقها على الخبرة والملاحظة والتجربة . وازضافة الى ما تقدم فان تطور المنطق الحديث قد اضاف نظرية في السيمانطيقا اسهم في وضع أسسها اعضاء جماعة وارشو Warsaw School ، وقد ركزت اهتمامها على مفهوم الصدق وتفسير الانظمة الشكلية . واذا اردنا ان نبين النتائج التي حققتها التجريبية المنطقية في هذا الميدان الفسيح ، فمن الضروري ان نقسم البحث الى قسمين :-

١- السيمانطيقا التجريبية ونقصد بها الدراسات التي تناولتها التجريبية المنطقية لأسس العلوم التجريبية ونظرية المعرفة ومقيار صدق القضية التجريبية .

٢- السيمانطيقا المنطقية ونقصد بها الدراسات التي طورها رودلف كارناب بعد ان أحس بالحاجة العلمية لتوسيع نظريته في الستاكس المنطقي . ولهذا النوع من السيمانطيقا مفاهيمه المنطقية الخاصة .

تختلف السيمانطيقا التجريبية عن المنطقية بان الاولى تهتم بمفاهيم العلوم التجريبية والكيفية التي تم بها المعرفة العلمية ، في حين ان الثانية تهتم بمفاهيم منطقية وتحليلات للغة من وجهة نظر الدراسات المنطقية .

واضافة الى الاختلافات المتقدمة ، فان مقيار الصدق للقضايا في السيمانطيقا التجريبية يختلف عن مقيار الصدق للقضايا في السيمانطيقا المنطقية ، ويمكن جوهر الاختلاف في ان القضية التجريبية تكون صادقة في حالة الثبوت منها بالوسائل التجريبية ، بينما يتحدد صدق القضية في السيمانطيقا المنطقية ( النظام السيمانطيسي ) تبعاً لقواعد غايتها تعيين معنى القضية .

وفي سبيل التمييز بين الاثنين اثناء استعراضنا لهما نستخدم عبارة

« المعرفة العلمية » بدلاً عن السيمانتيقا التجريبية ، والسيماطيقا فقط بدلاً عن السيمانتيقا المنطقية .

ان العلاقة بين اللغة والتجربة في العلوم التجريبية هي ما تتميز به عن العلاقة في العلوم الرياضية ، فاذا كانت الرياضيات والمنطق لا علاقة لهما بالتجربة ، لان قضايها غير مشتقة من التجربة ، فان قضايا العلوم التجريبية مشتقة من التجربة ، بل ان صدقها او كذبها او احتماليتها تقاس بالنسبة للتجربة . ومعنى ذلك ان الثبوت من صدق القضية في العلوم التجريبية يعتمد على التجربة ، بينما يعتمد الثبوت من صدق القضية في الرياضيات والمنطق على طريقة اخرى لا علاقة لها بالتجربة . فمن المعروف في بناء الانظمة المنطقية ان يختار المناطقة مجموعة من البديهيات او القضايا التي يفترض صدقها ويبرهن على صدق القضايا بطريقة استدلالية اساسها الاشتقاق المنطقي ، فاذا كانت القضية مشتقة من النظام المنطقي فهي صادقة ، واذا كانت غير مشتقة منه فهي اما كاذبة او غير مقررة . ويقال عن قضايا المنطق والرياضيات انها تحليلية او قبلية لكونها لا علاقة لها بالتجربة ، وتدخل بالتالي في نطاق الستاكس المنطقي . اما قضايا التجريبية فانها تركيبية وتدخل في نطاق السيمانتيقا .

لقد ادى تطور العلم الى زيادة كبيرة في القضايا والقوانين التجريبية ، واصبح من مهمة التحليل المنطقي للمعرفة فهم الأسس التي تقوم عليها مفاهيم وعبارات العلوم التجريبية . وقد طرح بعض اعضاء جماعة فينا وعلى رأسهم كارناب ونيوارث وشلك مفهوم القضايا الاساسية Protokollsätze لتفسير المعرفة العلمية ، لاعتقادهم ان جميع القضايا العلمية ترجع في الاخير الى قضايا ذات صلة مباشرة بالمشاهدات الحسية . وهكذا تصبح مهمة التحليل محصورة في نقطتين اساسيتين هما : —

١ — ما هي طبيعة القضايا الاساسية وكيف يمكننا تحديدها او تعريفها ، على اساس انها تمثل نقطة البداية في بناء المعرفة التجريبية .

٢- ما هي الوسائل التي نستطيع بواسطتها اثبات ان جميع قضايا المعرفة العلمية تعتمد على القضايا الاساسية .

يطرح كارناب لحل المشكلة المتقدمة فكرة وجود «قضايا اساسية بدائية» ويقصد بها قضايا تعتمد على المشاهدة المباشرة وغير مفتقرة الى الثبوت . وبعبارة اخرى ان القضايا البدائية لا تحتاج الى الثبوت من صدقها ، لانها صادقة وبسيطة . ويظهر من هذا التحديد ان كارناب اراد للمعرفة التجريبية قضايا اولية تقع في بداية النظام ترجع اليها القضايا الاخرى ، وبذلك يكون كارناب قد حاول بناء المعرفة التجريبية بطريقة شبيهة ببناء المعرفة المنطقية والرياضية .

وعلى الرغم من اختلاف نيوراث عن فلسفة كارناب في هذه المسألة ، الا اننا نجد اتفاقاً بينهما في تبني تجريبية متطرفة في مناقشة أسس المعرفة التجريبية ورفض الافكار والعبارات الميتافيزيقية وعدم السماح لها في الدخول في بناء المعرفة العلمية . واذا اردنا الثبوت من صدق قضية فلسفية ، فان علينا مهمة ارجاعها الى قضايا لها علاقة بالمشاهدات المباشرة ، اما اذا استخدم الفلاسفة عبارات لا يمكن اخضاعها الى القضايا الاساسية ، فان هذه العبارات ميتافيزيقية لا يمكن الحكم عليها بالصدق او بالكذب ، لانها فارغة من المحتوى التجريبي .

ويصدق الشيء نفسه بالنسبة للغة العلوم التي يرى نيوراث انها لغة تعتمد قضاياها على القضايا الاساسية ، وعليه لا يمكن للقضايا الميتافيزيقية ان تنفذ اليها . ومن الضروري ان نذكر ان بين لغة الحياة اليومية ولغة العلوم علاقة وثيقة ، وانهما تستخدمان مفاهيم مشتركة كثيرة ، وهذا امر يسهل على الباحث مهمة بناء لغة فيزيائية موحدة للعلوم الطبيعية والنفسية والحضارية . يظهر ان محور الدراسة يستلزم تحديداً للقضايا الاساسية ، وهو التحديد الذي لا نجد له اجماعاً بين اعضاء جماعة فيينا . فيرى نيوراث في مقالة

تحت عنوان « القضايا الاساسية » <sup>(١)</sup> ان القضية الاساسية التامة تحتوي على العوامل الاربعة الآتية : —

ا — الشخص الملاحظ ، وليكن السيد « س » .

ب — وقت الملاحظة

هـ — الشيء الذي هو موضوع الملاحظة

ء — المكان الذي يشير اليه الشخص في ملاحظته

واذا ربطنا هذه العوامل مجتمعة فان الصيغة العامة للقضية الاساسية التامة تكون كما يأتي : — ان السيد س لاحظ في الوقت كذا وكذا شيئاً هو كذا وكذا في المكان كذا وكذا . ويضرب نيوراث مثلاً على القضية الاساسية التامة بالطريقة الآتية : « سجل اوتو « Otto » في الساعة ٣:١٧ [ في الساعة ٣:١٦ قال اوتو لنفسه : ( في الساعة ٣:١٥ كانت منضدة في الغرفة مدركة من قبل اوتو ) ] » <sup>(٢)</sup>

واذا كانت القضية الاساسية بهذا المعنى ، فانها ولا شك ليست الا تعبيراً عن الواقعة باسط ما يمكن من دون زيادة او تغيير ، وانها من حيث البساطة في تركيبها تسبق كل قضية اخرى لها علاقة بالعالم الخارجي . ان الوقائع التي تعبر عنها القضايا الاساسية لا يمكن ان تكون موضع شك ، لانها موجودة فعلاً ، وان المشكلة الحقيقية هي امكانية التعبير عن الوقائع في قضايا اساسية . فاذا استطعنا تحقيق هذا الشرط ، فاننا نكون قد وضعنا انفسنا في بداية بناء المعرفة جميعها . ومن جهة اخرى فان سبق او اسبقية القضايا الاساسية لا يعني اسبقية زمنية ، بل اسبقية من حيث كونها ابسط من القضايا الاخرى التي ترجع في النهاية الى القضايا الاساسية .

---

(1) Ed., Ayer, A.J., Logical Positivism [Protocol Sentences] P. 199 - 208

(2) Ibid., [The Foundation of Knowledge] P. 202

وقد تظهر بعض التساؤلات حول الطريقة التي تتعامل بها جماعة فينا مع الوقائع الاولى ، وهل يكمن هدف المعرفة في بحث الوقائع الاولى ؟ يرى شلك ان هدف بناء أسس المعرفة يكمن في البحث عن القضايا الاولى <sup>(١)</sup> . وعند بحث القضايا الاساسية تظهر بعض المشكلات التي تعرض المفهوم ذاته الى النقد ، فاذا افترضنا وجود شخص يلاحظ من خلال تلسكوب فلكي بعض الظواهر الفلكية ، وقام بتسجيلها في وقت معين ومكان معين ، فما هو المعيار الذي نستطيع ان نحكم به على ان الملاحظة كانت صحيحة ، وان القضايا التي عبرت عن هذه الملاحظات لم ينفذ اليها الخطأ ؟ فاذا كانت هذه القضايا شرطية ، فانها عندئذ ستكون عرضة للتغيير شأنها شأن القضايا العلمية الاخرى ، وعندئذ لا يمكن ان تكون اساساً سليماً للمعرفة ، بل ولا يمكن وصفها انها قضايا اساسية . وتبدو المشكلة الآن وكأننا نبحث عن معيار للصدق ، فبالنسبة لفتجنشتاين ورسل تكون القضية الاولى او البسيطة صادقة اذا كانت مطابقة للواقع . ولكن هذه النظرية غير مضمونة الا اذا افترضنا وجود علاقة واحد بواحد بين القضية والواقعة وهي فرضية ميتافيزيقية لا تستند الى تحليل علمي دقيق على الرغم من انها استعانت بالنظرية المنطقية . اما اذا فحصنا صدق القضية على اساس توافقها مع نظام من القضايا ، فمن الضروري ان نفهم طبيعة نظام القضايا ومعنى توافق القضية مع النظام .

ان مفهوم الصدق يختلف تبعاً لطبيعة القضايا ، فاذا افترضنا وجود نظام من قضايا في المنطق او الرياضيات ، فان صدق القضية في هذا النظام لا يعتمد على التجربة مطلقاً ، بل على اساس البرهان ، لان القضايا المنطقية والرياضية متعادات . واذا اردنا ان نعرف ان قضية ما صادقة ، فاننا نبرهن عليها بواسطة النظام المنطقي ، وبعبارة اخرى : ان القضية صادقة

(1) Ibid., P. 212

إذا كانت لا تناقض قضايا النظم أو أننا لا نستطيع اشتقاق تناقض منه ، وهذا التحديد للصدق صوري لا علاقة له بالخبرة أو التجربة .

أما في حدود القضايا التجريبية ، فإن الصدق يختلف ، وعليه يجب أن يكون معيار الصدق مختلفاً كذلك ، لأن صدق القضية التجريبية يعتمد على الواقع . ولكنتا في الوقت ذاته يمكن الاستعانة بمعيار الصدق المنطقي مع بعض التحوير . فإذا افترضنا وجود نظام من قضايا تجريبية ( علمية ) ، فإن صدق القضية يعتمد على إمكانية توافقها مع نظام القضايا التجريبية ، والمقصود بالتوافق هنا عدم حدوث تناقض في قضايا النظام . ولكن المشكلة سرعان ما تظهر عند السؤال عن طبيعة القضايا التجريبية . فإذا افترضنا أن القضايا تولف نظرية ، فإن صدق القضية يكون في توافقها مع النظرية ، فإذا كانت النتائج صادقة كانت القضية الأولى صادقة ، وإذا حدث تناقض في النتائج رفضت القضية الأولى .

ولكن شلك يرى أن خطأ هذه النظرية أو المعيار في أنه ينحصر في حدود القضايا العلمية ، وأنه لا يستقيم في تطبيقه بشكل عام ، لأن النظرية تبقى صحيحة في حالة تطبيقها على القضايا الموجودة في قصص الجن والعفاريت ، حين لا نشق أي تناقض فيها ، وبذلك تصبح هذه القضايا في مستوى قضايا العلوم<sup>(١)</sup> . ويمارس شلك نقداً لهذه النظرية من زاوية أخرى ، فإذا ما أعطيت مجموعة من القضايا ، حيث يوجد بينها قضايا تناقض الأخرى ، فأنني أستطيع أن أبين متانة هذه المجموعة بطرق كثيرة منها عن طريق اختيار عدد محدود من القضايا وإجراء تغيير عليهم ، وأقوم بالعمل ذاته بالنسبة لعدد آخر من القضايا تناقض الأولى<sup>(٢)</sup> . وبذلك نستطيع البرهان على متانة النظام على الرغم من كونه محتويًا على قضايا متناقضة .

(1) Ibid., P. 215

(2) Ibid., P. 216

يظهر الآن أننا نواجه مشكلة ليست بسيطة كما قد تظهر لأول وهلة ،  
لأنها يجد ذاتها فرعين : -

١ - يتعلق الفرع الاول باختيار قضايا اولية لا يتطرق اليها الشك  
لتكون قاعدة لجميع المعرفة .

ب - ويتعلق الفرع الثاني بمعيار صدق القضايا او بعبارة اخرى :  
ما هي الطريقة التي نحكم بواسطتها ان قضية ما صادقة ؟

فاذا استطعنا الحصول على هذا النوع من القضايا الاولية الصادقة ،  
فان المشكلة تبدو عندئذ اقل صعوبة ، لان مهمتنا تنحصر بعد ذلك في  
ان تكون جميع القضايا الاخرى في توافق مع القضايا الاولية . ويطرح  
شك هنا تعبيراً جديداً للقضايا الاولية هو *Basic Statements* بدلاً من  
القضايا الاساسية *Protocol Statements* ويضع المشكلة بطريقة جديدة  
متوخياً البحث عن قاعدة في اختيار قضايا اولية لا تحتاج الى تغيير كبير  
في كل نظام القضايا في سبيل التخلص من كل التناقضات <sup>(١)</sup> .

يعود شكك الى نظرية فتجنشتاين في المطابقة مع بعض التغييرات اهمها  
انه لا يأخذ بالفلسفة الذرية والعلاقة بين الواقعة والقضية على اساس التماثل  
في التراكيب ، بل ينظر الى المسألة من خلال مبدأ الاستقراء الذي يستخدمه  
الباحث من اجل الوصول الى القوانين ، فتكون لدينا يادى الامر مشاهدات  
اولية لاتسبقها مشاهدات ابسط منها ، ونقصد هنا بالمشاهدات الاولية  
الملاحظات المباشرة التي يستخدمها الباحث كأساس ينتقل منها الى قضايا  
اعقد منها تستلزمها حتى يصل بعملية منطقية الى صياغة القانون . وتبدو  
المسألة من جديد مرتبطة بالفرضيات او القوانين العلمية ، وتثار المشكلة  
حول طبيعة القضايا الاولية ووظيفتها . يرى شك ان القضايا الاولية ليست

---

(1) Ibid., P. 216

افتراضية وان وظيفتها مقترنة بالتحقق من قانون او فرضية علمية ، فاذا نظرنا من خلال تلسكوب فلكي مستهدين بنظرية او قانون ولاحظنا خلال الجهاز ما يتنبأ به القانون فان الواقعة التي لاحظناها تثبت صحة القانون ، وانها يقينية لا يتطرق اليها الشك . وان القانون او الفرضية تبقى صادقة طالما كانت القضايا التي تعبر عن مشاهدات مباشرة لا تناقضها . وعلى هذا الاساس تكون القضايا التي تعبر عن مشاهدات مباشرة ضرورية لبناء المعرفة العلمية ، وذات وظيفة علمية تظهر في الثبوت من تنبؤات القانون او النظرية ، فعندما نشاهد حادثة او ظاهرة ما نشعر انها قد انجزت ما نهدف اليه وهو التحقق من صدق القانون .

ونعود الآن للتمييز بين المفاهيم المختلفة للصدق في العلوم ، فنوجزها بالنقاط الآتية : -

١- مفهوم الصدق الشكلي **Formal Truth** ، وتقصد به معيار صدق القضايا المنطقية والرياضية ، حيث نستطيع الثبوت من صدق القضية بالبرهان او بالاشتقاق من دون الرجوع الى التجربة .

٢- مفهوم الصدق المادي **Matterial Truth** ، وتقصد به معيار صدق القضايا او الصيغ عن طريق اعطاء قيم للمتغيرات او تفسيرها ، بحيث نستطيع الثبوت من صدق القضية مادياً .

٣- مفهوم الصدق التجريبي **Empirical Truth** ، وتقصد به معيار صدق القضايا العلمية عن طريق البحث عن القضايا الاولى او الاساسية المشتقة منها والتي تؤلف اساس المعرفة العلمية .

يتجلى مفهوم الصدق الشكلي في الستاكس المنطقي للغة ، بينما يكون لمفهوم الصدق المادي دوره في السيماطيقا . اما مفهوم الصدق التجريبي فاننا نجد له اهمية في أسس العلوم وبناء المعرفة العلمية ومناهج البحث . وغايتنا الآن دراسة بعض الجوانب المنطقية لمفهوم الصدق في السيماطيقا ،

وهو المفهوم الذي اولاه كارناب اهتماماً خاصاً في بحثه «مقدمة في السيمانطيقا»، حيث قام ببناء انظمة سيمانطيقية بسيطة وعيّن صدق القضية فيها. وتركزت فكرته حول تفسير الرموز الستاكسية من جهة، وتثبيت قواعد الصدق في النظام من جهة اخرى.

يقصد كارناب بالنظام السيمانطريقي ما يلي :-

- ا - انه نظام يتألف من قواعد قد صيغت بلغة فوقية.
  - ب - تشير هذه القواعد الى لغة موضوع.
  - ج - ان القواعد تعيّن حالة صدق كل قضية من لغة الموضوع<sup>(1)</sup>
- وبهذه الطريقة تكون القضايا مفهومة بعد تطبيق قواعد التفسير، ويكون لها معنى محدد. ونقصد بالتفسير Interpretation في الانظمة السيمانطيقية تعيين معان الرموز المختلفة، فتتحول الصيغة او الصيغ الى قضايا تحتمل الصدق او الكذب. ومن الامثلة على ذلك الصيغة الآتية أ ب من منطق ارسطو التي تشير الى كلية موجبة، فاذا اعطينا للمتغير أ القيمة «انسان» وللمتغير ب القيمة «فان» وللثابت المنطقي «A» القيمة «كل».
- فان الصيغة بعد التفسير تتحول الى القضية «كل انسان فان». ويصدق التحليل نفسه فيما اذا كانت هناك اكثر من قضية، غير ان المسألة تختلف في حالة القضايا غير المحدودة العدد: لاننا نستطيع في حالة القضايا المحدودة ان نشيت من صدق القضايا واحدة بعد الاخرى، بينما لا يمكن تطبيق هذا الاجراء في حالة وجود نظام يتألف من عدد لامتناه من القضايا. لذلك لا بد من صياغة قواعد الصدق بطريقة تمكننا من تعيين حالة الصدق للقضايا الموجودة في النظام بغض النظر عن تعدادها.

يسير بناء النظام السيمانطريقي بطريقة كارناب بالخطوات الآتية :-

---

(1) Carnap, R., Introduction to Semantics P. 22

- ١ - تصنيف الرموز التي تؤلف الف باء النظام .
- ٢ - قواعد البناء التي يتم بموجبها تكوين الصيغ الصالحة في النظام .
- ٣ - قواعد تعيين القيم Designation
- ٤ - قواعد الصدق .

ولتوضيح دور هذه الخطوات في بناء النظام نأخذ المثال البسيط الآتي : -

I : نفترض ان الف باء النظام ما يأتي من الرموز .

رموز للحدود هي ا ، ب ، ح

رموز للمحولات هي م ، ح

II : وتبعاً لشروط قواعد البناء تتكون الصيغ الآتية : -

ام ، ب م ، حم

اح ، ب ح ، حح

III : واذا اعطينا للرموز قيمة معينة تبعاً لقواعد تعيين القيم ، بحيث ،

ا تشير الى بغداد

ب تشير الى القاهرة

ح تشير الى دمشق

م تشير الى عاصمة

ح تشير الى مدينة عربية

IV : فان الصيغ تتحول الى قضايا ، وتكون قواعد الصدق

بالشكل الآتي : -

ام صادقة في حالة بغداد عاصمة

ب م صادقة في حالة القاهرة عاصمة

حم صادقة في حالة دمشق عاصمة

اح صادقة في حالة بغداد مدينة عربية

ب ح صادقة في حالة القاهرة مدينة عربية

## ح ح صادقة في حالة دمشق مدينة عربية

وينتقل كارناب من بناء الانظمة السيمانطيقية البسيطة الى اخرى اكثر تعقيداً ، وذلك عن طريق زيادة الرموز والصيغ في النظام ، ويتخذ من جداول الصديق قواعد سيمانطيقية يعتمد عليها في تعيين معاني الروابط المنطقية . وهكذا يتيح للانظمة السيمانطيقية استعمال الروابط المنطقية في بناء الصيغ المركبة ، غير ان هذه الانظمة تختلف كذلك باختلاف الروابط المنطقية وعددها . فاذا اضفنا الى النظام السيمانطيقى السابق رابطة النفي والبدل مثلاً ، فان النظام الجديد يظهر بالشكل الآتي : —

١ — الف بء النظام : ثلاثة حدود هي ا ، ب ، ح

محمولان هما م ، ح

الروابط المنطقية — ، ٧ (النفي والبدل)

٢ — قواعد البناء : ان تعبيراً ما مثل س في النظام M يصبح قضية في

في M ، اذا كانت له احد الاشكال الآتية : —

(١) موضوع ومحمول ، (٢) — ق ، (٣) ق٧ ق٧

٣ — قواعد تعيين القيم : هي قواعد النظام السيمانطيقى السابق .

٤ — قواعد الصديق : ق صادقة اذا استوفت احد الشروط الآتية : —

ا — ان يكون لق شكل مؤلف من موضوع ومحمول ، بحيث ان الشيء الذي يشير اليه الموضوع يتصف بصفة المحمول .

ب — ان يكون لق الشكل — ق٧ ، وان تكون ق٧ ليست صادقة .

ح — ان يكون لق الشكل ق٧ ق٧ ، وان تكون قضية واحدة منها صادقة على الاقل .

ويمكن توسيع هذا النظام باضافة روابط منطقية اخرى فيترتب على ذلك زيادة عدد الصيغ وقواعد الصديق في النظام . ولكن المهم من كل هذه المحاولات

هو ما يهدف اليه كارناب من تعريف لبعض المفاهيم السيمانطيقية المهمة ،  
فاستناداً الى مفهوم الصدق يعرف مفهوم « الكذب » ، « الملتزمة » *implicate*  
و « المساواة » و « البديل » وغيرها ويشق منها بعض المبرهات السيمانطيقية  
المهمة ، فيبدأ بتعريف الصدق لفئة القضايا في النظام بالشكل الآتي : —

ان فئة القضايا صادقة اذا كانت كل قضية في الفئة صادقة .

ويعرف الكذب للقضية وفئة القضايا بالشكل الآتي : —

ان قضية او فئة قضايا كاذبة في  $M$  اذا كانت القضية او فئة القضايا منتمة  
الى  $M$  وغير صادقة في  $M$  .

استناداً الى التعريف الاول والثاني نحصل على مبرهنة مؤداها :

ان فئة القضايا كاذبة اذا كانت قضية واحدة من الفئة على الاقل كاذبة .

ومن الخطوات المهمة التي يخطوها كارناب في بناء نظريته السيمانطيقية  
تمييزه الواضح بين المفاهيم المنطقية في السيمانطيقا والتي يرمز لها بالحرف  $L$  ،  
وبين المفاهيم الواقعية في السيمانطيقا والتي يرمز لها بالحرف  $F$  الذي يمثل  
الحرف الاول من الكلمة *Factual* . واستناداً الى اختلاف المفاهيم  
السيمانطيقية ، لابد من التمييز كذلك بين السيمانطيقا المنطقية *L. Semantics*  
والسيمانطيقا الواقعية ، حيث تهتم الاولى بمشكلات تتعلق بالصدق المنطقي  
والاشتقاق المنطقي والمفاهيم المتصلة بهما ، بينما تهتم الثانية بالمفاهيم الواقعية مثل  
الصدق الواقعي « *F. True* » والكذب الواقعي وغيرهما . ثم ان السيمانطيقا  
المنطقية في معالجتها لمشكلات النظرية الاستدلالية والصدق المنطقي تجعل  
موضوع المنطق بأجمعه جزءاً منها<sup>(1)</sup> ، وتصبح السيمانطيقا نظرية شاملة  
لموضوعات كثيرة .

ويتناول كارناب المفاهيم المنطقية والواقعية في السيمانطيقا بالتحليل من

(1) Ibid., P. 56

زاوية جديد في كتابه « المعنى والضرورة »<sup>(١)</sup> ، حيث يستهدف بناء نظرية جديدة في المعنى والدلالة مستعيناً بمفاهيم منطقية هي المفهوم والمصدق . وقد استطاع كارناب تطوير وتعديل كثير من النظريات المنطقية المتعلقة بالمعنى والدلالة على ضوء مفاهيم نظريته الجديدة ، غير ان نظريته في المفهوم والمصدق لم تقتصر على بحث الافكار او الفئات فحسب ، بل احتوت في مجتها مواضيع منطقية اخرى في القضايا والعبارات الوصفية ، بحيث يمكن القول ان كارناب استطاع بناء نظرية شاملة في المعنى والدلالة مستعيناً بأدوات المنطق الرمزي . ولم يقف عند هذا الحد ، بل عمل على بناء لغة محايدة لتبسيط نظريته في المفهوم والمصدق بأساليب المنطق الرمزي ، وقد صاغ السيمانطيقا في هذه اللغة المحايدة .

احتفظ كارناب بتقسيمه للمفاهيم السيمانطيقية الى منطقية وواقعية ، فاعتبر المفاهيم منظوراً اليها من زاوية المفهوم على انها منطقية ، اما المفاهيم منظوراً اليها من زاوية المصدق فانها واقعية . واهم ما جاء في نظريته انه تناول موضوعات فلسفية من زاوية تحليلية ومنطقية : فقد عرّف مفهوم المصدق المنطقي بطريقة جعله معادلاً لمفهوم الفلاسفة للحقيقة الضرورية او التحليلية ، ثم جعل تعريفه للمصدق المنطقي اساساً لتعريف كثير من المفاهيم السيمانطيقية الاخرى . ولتحقيق مثل هذا التعريف تقدم كارناب باصطلاح جديد هو عالم الوصف State-description : وهو المفهوم المعادل لفكرة لينتز في العوالم الممكنة . ويقصد بعوالم الوصف فئة القضايا في النظام M الذي يحتوي لكل قضية ذرية على هذه القضية او نفيها من دون ان يحتوي عليهما معاً ومن دون وجود قضايا اخرى<sup>(٢)</sup> . واستناداً الى هذا التحديد يعرف كارناب القضية الصادقة منطقياً بأنها قضية صادقة في جميع العوالم الوصفية<sup>(٣)</sup> .

(1) Carnap, R., Meaning and Necessity

(2) Ibid., P. 9

(3) Ibid., P. 10

واستناداً الى تعريفات مفاهيم النظرية السيمانتيقية بصورة عامة ، يجب التمييز بين الحدود او الافكار والقضايا ، ثم ان اختلاف مفهوم الصدق في النظرية واعتماد مفاهيم السيمانتيقا عليه يجعلنا نميز بين انواعه المختلفة ، والتي يمكن ايجازها بالنقاط الآتية : —

١ — ينظر كارناب الى مفهوم الصدق من زاويتين :

ا — الصدق المنطقي L. Truth

ب — الصدق الواقعي F. Truth

٢ — ينظر كارناب الى مفهوم الكذب من زاويتين : —

ا — الكذب المنطقي L. False

ب — الكذب الواقعي F. False





## المراجع الاساسية

- Ayer, A.J., Language, Truth and Logic [London, 1956]  
(ed., Ayer, A.J.,) Logical Positivism [Illinois, 1960].
- Carnap, R., Der Logische Aufbau der Welt [Berlin, 1928]
- Carnap, R., The Logical Syntax of Language [London, 1954]
- Carnap, R., Foundations of Logic and Mathematics [Chicago, Vol. 1. No. 3]
- Carnap, R., Introduction to Semantics and Formalization of Logic [Harvard, 1959].
- Carnap, R., Meaning and Necessity [Chicago, 1956].
- Curry, H.B., Outlines of A formalist Philosophy of Mathematics [Amsterdam 1958].
- Dedekind, R., Was sind und was sollen die Zahlen [Brunswick 1888]
- Eddington, A., The nature of the Physical World, [New York, 1929, Cops. 2, 3, & 4 are Everymans Library].
- » The Philosophy of Physical Science [Cambridge 1939]
- Einstein, A., & Infeld, L., The Evolution of Physics (New York 1942).
- Frege, G., Begriffsschrift [Halle 1879, Neudruck Hildesheim 1964]
- Frege, G., Die Grundlagen der Arithmetik [Breslau, 1884, Eng. Trans. The Foundations of Arithmetic, by J.L. Austin, Oxford, 1953]

Frege, G., Grundgesetze der Arithmetik [Bd. I, Jena 1893, Bd. II: Jena 1903, Neudruck Darmstadt u. Hildesheim 1962].

Frege, G., Funktion, Begriff, Bedeutung [Göttingen, 1962]

ويحتوي على مقالات فريجة الآتية :

- a) Funktion und Begriff (1891)
- b) Sinn und Bedeutung (1892)
- c) Begriff und Gegenstand (1892)
- d) Was ist eine Funktion? (1904)
- e) Ueber die wissenschaftliche Berechtigung einer Begriffsschrift (1882).

Gödel, K., Ueber formal unentscheidbare Sätze der Principia Mathematica und verwandter Systeme [1931]

Goodman, N., The structure of Appearance [Harvard, 1951]

Harris, E.E., Nature, Mind and Modern Science

Jeans, J., The Mysterious Universe [Cambridge 1932]

(الكون الغامض: ترجمة عبدالحليم حمدي مرسي)

Jeans, J., The New Background of Science [1933, 2d. ed. Cambridge 1934].

Joergensen, J., The Development of Logical Empiricism [Chicago, 1954].

Jordan, J., Der Naturwissenschaftler vor der religiösen Frage [Oldenburg, 1965].

Khalil, Y., Prinzipien zur strukturellen Sprachanalyse (Anwendung Logisch - Positivistische Sprachanalyse) [Kramer/Münster, 1961].

Kraft, V., Der Wiener Kreis [Wien, 1950].

Mill, J.S., A System of Logic, (London, 1884).

Moore, G., Philosophical Studies [«The Refutation of Idealism, A Defence of common-sense»].

Morris, Ch. W., Logical Positivism, Pragmatism and Scientific Empiricism (Paris, 1937)

Morris, Ch. W., Foundations of the Theory of Signs (Chicago, vol. I. No. 2)

- Newton, I., *The Mathematical Principles of natural Philosophy* (1st ed. in Latin 1687, Trans. by A. Motte, 3 vols. London, 1803).
- Ogden, C.K. & Richards, I.S., *The Meaning of Meaning. A study of the Influence of Language upon thought and the Science of Symbolism* (London, 1923)
- Planck, M., *The Philosophy of Physics* (London, 1936).
- Planck, M., *Where is science Going ?* (1933)
- Popper, K., *The Logic of Scientific Discovery* (New York, 1961).
- Ramsey, F.P., *The Foundations of Mathematics, and other Essays* (ed. by R.B. Braithwaite London 1954).
- Russel, B., *The Principles of Mathematics* (London, 1956).
- Russell, B., *The Problems of Philosophy* (London, 1962)
- Russell, B., & Whitehead., *Principia Mathematica* (I, II, III, Cambridge 1957).
- Russell, B., *Introduction to Mathematical Philosophy*, (London, 1956)
- Russell, B., *The Analysis of Mind* (London, 1949)
- Russell, B., *Logic and Knowledge* (London, 1956)  
«see *The Philosophy of Logical Atomism*»
- Russell, B., *Our Knowledge of the external World* (London, 1914)
- Russell, B., *Mysticism and Logic*, (London, 1949)
- Russell, B., *An Inquiry into Meaning and Truth* (London, 1940)
- Schilpp, P.A (ed) *Albert Einstein [German Text]*
- Stebbing, S., *Philosophy and the Physicists* (Pelican Series, 1944)
- Thomson, O.P., *The Atom* (Oxford, 1955)
- Whitehead, A.N., *An Enquiry concerning the Principles of natural Philosophy* (Cambridge, 1925)
- Whitehead, A.N., *The Concept of Nature* (Cambridge, 1964)

- Whitehead, A.N., Science and the Modern World (New York 1925)
- Whitehead, A.N., Function of Reason (Princeton 1929)
- Whitehead, A.N., Process and Reality  
An Essay in Cosmology (New York, 1941)
- Whitehead, A.N., An Anthology  
Selected by F.S.C. Northrop and Mason W. Gross,  
(New York, 1953)  
Function of Reason Princeton 1929.
- Wittgenstein, L., Tractatus Logico-Philosophicus (London, 1955)
- \* Philosophical Investigations, Oxford, 1967 [1958].

### مراجع عربية :

- لنكولن بارنت : العالم وآينشتاين - ترجمة محمود عاطف البرقومي - سلسلة اقرأ  
جون كيمي : الفيلسوف والعلم - ترجمة امين الشريف - المؤسسة الوطنية  
للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٥
- مرسيل داغر : النسبية : من نيوتن الى آينشتاين - وزارة الثقافة والارشاد  
القومي (سوريا)
- ياسين خليل : نظرية ارسطو المنطقية - بغداد ١٩٦٤
- ياسين خليل : نظرية جوتلوب فريجه المنطقية « المنطق واللغة » مجلة كلية  
الآداب جامعة بغداد ١٩٦٤
- ياسين خليل : نظرية جوتلوب فريجه المنطقية « الطريقة في المنطق » . مجلة كلية  
الآداب جامعة بغداد ١٩٦٦
- ياسين خليل : نظرية جوتلوب فريجه المنطقية « الافكار الاولى في المنطق »

مجلة كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٦٧

ياسين خليل : الذرية المنطقية — مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٦٧  
ياسين خليل : المنطق والرياضيات — مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٦٤

## فهرس الأعلام

ارسطو ٢٩٦، ٢٤٩، ٢٢٩، ١٦٠، ١٤٥، ١٤٤، ٨٠، ٣٩، ١٣	Aristotle
آير ٢٨٧، ٢٨٤، ٢٨٢، ٢٧٣، ٢٦٩	Ayer
بيكون ٢١٤	Bacon
بيركلي ٢٣٥، ١٩٩، ٧٤، ٧٠، ٢١	Berkeley
جماعة برلين ٢٦٣، ٢٥	Berliner Gruppe
بلومفيلد ٣١٠	Bloomfield
بولتزمان ٢٦١، ٢٥٧، ١٠٩	Boltzmann
بول ٣٠، ١٥	Boole
برادلي ٩١	Bradley
برور ١٦	Brouwer
كانتور ٥٦، ٣٤، ٣١	Cantor
كارناب ٢٦٥، ٢٥٩، ٢٥٥، ٢٥٣، ١٢٢، ٣٥، ٢٦، ٢٥، ١٦	Carnap
٣١٣، ٣١٢، ٣١٠، ٣٠٨-٢٩٤، ٢٧٤، ٢٦٨، ٢٦٧	
٣١٨-٣٢٢ (القسم الثالث-الفصل الخامس: السادس)	
كونت ٢٦١، ١٨	Comte
كوبرنيكوس ١٤٥	Copernicus
ديدكند ٣١	Dedekind

ديكارت ٢٤٢، ٢٣٦، ٢٠٧، ٣٩، ١٤	Descartes
ادنجتون ٢٣، ١٧ (القسم الثاني - الفصل الخامس)	Eddington
آينشتاين ١٧، ١٦ (القسم الثاني - الفصل الثاني)، ١٩٨، ١٨٣، ٢٦١، ٢٦٠، ٢٥٧، ٢٣١، ٢١٩، ٢١٥، ٢١١، ٢٠٨	Einstein
٣٠١	
أقليدس ٢٩٣، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٦، ١٥٢، ١٤٢، ٦٦، ٦٠	Euclid
٣٢٦	
فايجل ٢٦٥، ٢٥٨	Feigl
فيورباخ ٢١٨	Feuerbach
فرانك ٣٠١، ٢٦٥	Frank
فريجه ١٥ (القسم الاول - الفصل الاول)، ٨٢، ٧٣، ٧١، ٣٢٣، ٢٦١، ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٥٤، ٢٠٦، ١٢٨، ١١٠، ٨٩	Frege
جاوس ٣١	Gauss
غاليلو ٢٢٩، ١٦٠، ١٤٦، ١٤	Galileo
جودل ٣٢٨، ٢٥٨	Goedel
هان ٢٦٧، ٢٦٥، ٢٥٩، ٢٥٨	Hahn
هيجل ٢٤٥، ٧٠، ٦٦	Hegel
هايزنبرك ١٩٨، ١٩٤، ١٧٧، ١٦٠	Heisenberg
هيلمهولتز ٢٦١	Helmholtz
هيمبل ٢٨١	Hempel
هلبيرت ٣٢١، ٢٦١، ٢٥٧، ٢٥٦، ١٦	Hilbert
هيوم ٢٦١، ٢٦٠، ١٨، ١٥	Hume
هويجنز ٢٣٥، ١٥٢، ١٤٨	Huygens
جينس ٢٣، ١٧ (القسم الثاني، الفصل الرابع)، ٢٧٧، ٢٢٨	Jeans
يورجنسن ٣١٧، ٢٩٠، ٢٦٨، ٢٦٥	Joergensen

كانت ٢٩٠، ٢٧٨، ٢٧٣، ٢٢٧، ٧٠، ٦٦، ٤٠	Kant
كبلر ١٤٥، ١٤	Kepler
كيرى ٣٥	Kerry
كرافت ٢٦٩، ٢٥٧	Kraft
ليبنز ٢٣٦، ٢٠٧، ٢٠٠، ١٢٧، ١٢٥، ٦٣، ٣٩، ٣٠، ١٤	Leibniz
٣٥٢، ٢٧٧، ٢٧٣، ٢٦١، ٢٦٠، ٢٥٩، ٢٤٤	
لوك ٢٣٤، ١٥	Locke
ماخ ٢٩٣-٢٩٠، ٢٦١، ٢٥٧، ٢٥٦، ١٨	Mach
ماركس ٢٧٨، ٢٦١، ٢٢٨، ١٨	Marx
ميكلسن ومورلي ٢١٠، ١٦٤، ١٥٥، ١٥٣، ١٥٢، ١٤٩	Mickelson & Morley
مل ٢٧٣، ٢٦١، ١٤٧، ٤٠، ١٥	Mill
مينكوفسكي ١٦٧	Minkowski
مور ٩٢، ٩١، ٢٢، ٢١	Moore
موريس ٣١٧، ٣١٥-٣١٣، ٣١٢، ٣١٠، ٢٦٨، ٢٦٥، ٢٦	Morris
٣١٩	
اوكلن ورشاردنز ٣١٢، ٣١٠	Ogden & Richards
نيوتن ٨٤ (القسم الثاني - الفصل الاول) ١٥٢، ١٥١	Newton
٢٩٢، ٢٣٥، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢١١، ١٥٣	
نيورات ٣٤١، ٢٦٨، ٢٦٧، ٢٥٩، ٢٥٧	Neurath
بيانو ٢٦١، ٨٨، ٨٧، ٧٠، ٦٦	Peano
بلانك ٢٢، ١٦ (القسم الثاني - الفصل الثالث) ٢٥٧	Planck
افلاطون ٢٧٧، ٢٤٨، ١٩٣، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٧، ٩٩، ١٣	Plato
بوانكاريه ٢٦١	Poincaré
بوبر ٢٨٧، ٢٨٤، ٢٦٦، ٢٥٤	Popper
رائجنباخ ٢٦٣، ٢٥	Reichenbach

ريمان ٢٦١، ١٦٨	Riemann
روجيه ٢٦٩	Rougier
رسل ١٦، ٢٤، ٣٦، ٣٧، ٦٢، (القسم الاول - الفصل الثاني)، ١٠٧، ١١٠، ١١٦، ٢٠٦، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٧٤، ٣٢٣، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٤٤	Russel
شلك ١٠٨، ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٦٧، ٣١٣، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٤ - ٣٤٧	Schlick
شولتز ٢٦٩	Scholtz
شرودر ٣٤، ٣٠	Schroeder
ستيبنك ١٨٦، ١٩٦، ١٩٩، ٢٦٥	Stebbing
وايزمان ٢٥٨	Waismann
١٦، ٢٤، ٦٦، ٧٤، ١١٠، (القسم الثاني - الفصل السادس) ٢٦١	Whitehead
جماعة فيينا ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٧٢، ٧٦، ١٢٣، (القسم الثالث) ٢٠، ٣٥، ٧١، ٧٥، ٧٦ - ١٠٢، (القسم الاول - الفصل الثالث) ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٨، ٢٧٧، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٤٦، ٣٤٤	Wiener Kreis Wittgenstein

مطابع دار الكتب

بيروت - لبنان